

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٣/١٣/٩

٤٥٤
٨٥



كتاب الامام X

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني

(المتوفى بعد سنة ١١٧٥ هـ / ١٢٧٢ م)

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانكي پور

طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محمد علي العباسي مدير دائرة المعارف العثمانية

مُطْبَعَةُ مَكْتَبَةِ دَارِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِسْكَانْدَرِيَّةٍ

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

جميع الحقوق محفوظة
لدارة المعارف العثمانية بجيدرآباد
All copyrights reserved.

محتويات الجزء الثالث

من

كتاب الإمام

موضوع	(محتويات)	صفحة
مقدمة الجزئين الثالث و الرابع		الف
تكملة مرثاة ابن أبي حجلة		١
السبع الموبقات		١٤
الستر على العباد		١٨
فائدة في الذنوب		٢٣
الكبائر و الصغائر		٣٦
باب الزنا و الشهادة على الزاني		٤٢
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة		٥٩
بطرس لو سنيان و الثغور الإسلامية		٦٤
في الرباط و المراقبة		٦٨
إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨		٧٨
مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢		٨٢
الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط		٨٦
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة		٨٨
مدينة صبة و خليجها		٨٩

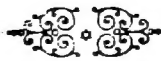
كتاب الإلام	(محتويات)	ج- ٣
موضوع	صفحة	
البحر الأعظم و كروية الأرض	٩١	
الجواهر الأربعة و الأغذية	٩٣	
جزر بحر الروم	٩٨	
الحمام: منافعها و مضارها	١٠٠	
ذكر الأغذية	١٠٢	
عود إلى الحمام	١٠٤	
عود إلى جزر بحر الروم	١٠٨	
وصف مدينة رومة	١٠٩	
مدينة قرقشونة	١١٢	
قصة خرقه بنت النعمان	١١٣	
الحريز و أسماؤه و أنواعه	١١٣	
تكلمة قصة خرقه بنت النعمان	١١٤	
ذكر بعض مدن الفرنج	١١٨	
جزيرة صقلية	١٢٠	
قسطنطين بن هرقل	١٢١	
عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق	١٢٣	
مدن بحر الروم و جزره	١٢٥	
قصة يوشع بن نون	١٣٠	
قصص عن زيد بن أسلم و أبي بكر الصديق	١٣٣	
ب	لح	

صفحة	موضوع
١٤١	لمع من أخبار أبي بكر و عمر و عثمان
١٤٣	عمر بن الخطاب و مناقبه
١٤٦	خلافة عثمان بن عفان
١٥٣	خلافة علي بن أبي طالب
١٥٦	قصص و أخبار من عهد معاوية و يزيد
١٦٩	موت الحسن بن علي
١٧٠	في تقطع و الأقطاب
١٧٢	عود إلى جزر بحر الروم
١٧٤	عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة
١٧٧	السلطان ابو الحسن علي بن يعقوب المربني
١٨٢	ذكر لورانة
١٨٣	حروب أبي الحسن المربني و ابن الأحمر في الأندلس
١٩٢	تبادل الرسائل و القذف بين فتنش و المربني
١٩٨	غزو الأندلس سنة ٧٦٨
٢٠٢	عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة
٢٠٣	قصة ملك قمار و المهرج
	عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير صلاح الدين
٢٠٨	ابن عرام سنة ٧٦٨
٢١٠	قصة يعقوب اليهودي مع بطرس لوسنيان

موضوع	صفحة
دخول بلغا الحاسكى الإسكندرية	٢١٢
ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية	٢١٣
المراثى الأخرى للاسكندرية	٢١٦
عمارة الاسطول المصرى لغزو الفرنج	٢٣١
حدود مصر	٢٣٤
فى مصر النيل	٢٣٥
فى الحفة الانهار	٢٤٦
القيوم	٢٤٨
فروع النيل	٢٤٩
فيضان النيل و المقياس	٢٥١
النهر فى اللغة و الأدب	٢٥٤
السك المعروف بالأوال	٢٥٨
التماح و آفته	٢٥٩
انهار الأندلس	٢٦٠
الماء العذب و الملح	٢٦٢
ما قيل فى بحر النيل و أصوله	٢٦٣
عود لفيضان النيل و المقياس	٢٦٦
فى القناة	٢٦٨
حكاية جعفر البرمكى و الرشيد	٢٧٣

موضوع	صفحة
مصر في القرآن و ذكر من دخلها من الانبياء و العلماء و غيرهم	٢٧٤
قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨	٢٧٧
من اخبار مصر	•
من دخل مصر من الانبياء	٢٨٠
من دخل مصر من الصحابة	•
من دخل مصر من العلماء	٢٨١
من دخل مصر من الاولياء	٢٨٣
احمد بن طولون و القاضي بكار	٢٨٥
من دخل مصر من الادباء	٢٨٨
الاصمعي و الاعرابي و خبر طيبتين	٢٩٠
افصح من سحان وائل و اعيان باقل	٢٩٣
من اخبار الامويين الاول و بعض الصحابة	٢٩٤
خبر مسكين الدارمي	٢٩٩
من اخبار القاضي التنوخي	٣٠١
من دخل مصر من الحكماء	٣٠٤
بعض ما قيل في الجن و الشياطين	٣٠٥
خبر أمية بن أبي الصلت و الساحرة	٣٠٨
سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر	٣١١
ما أحدثه حكماء الهند	٣١٣

صفحة	موضوع
٣١٦	قارون و هامان و بخت نصر
٣٢١	الإسكندر و تأسيس الإسكندرية
٣٢٧	أخبار أهل الفترة
٣٣٢	ذكر ملوك مصر الكفار
٣٣٦	خبر نوح و الطوفان
٣٤٠	ملوك مصر القبط
٣٤١	فضائل مصر
٣٤٨	عن الإبل
٣٥٥	شجرة اللسان
٣٦٠	من عجائب مصر العرس
•	بجستان بعراق العجم
٣٦١	أول من ابتدع المساحة
٣٦٢	من عيوب مصر
•	عن الأهوية
٣٦٣	وصف مصر مدينة فرعون
٣٦٤	في موضوع اللعنة
٣٦٧	صفة دار فرعون و الهرمين



مقدمة

الجزئين الثالث والرابع

إنه لمن دواعي غبطتنا أن نتقدم اليوم من جديد إلى قراء العربية بالجزئين الثالث والرابع من «كتاب الإمام» لأبي القاسم بن محمد النويري الإسكندراني . وبتمام نشر هذين الجزئين نختم النص الكامل ٥ لمخطوطة برلين ، و نبتدئ مرحلة جديدة شاقّة تشتمل على القسم الأخير من مخطوطة بانكي بور ، و يليها النص الكامل المطول لمخطوطة القاهرة التي لا بد من تقييم محتوياتها عن كثب لمعرفة صلاحية نشرها في مجلدين آخرين على وجه التقريب .

- ١٠ و يلاحظ من الاطلاع على نص الجزئين الحاضرين طيبة الاستمرار في مادتهما مع الجزئين السابقين . و قد كان في نيتنا طبع الجزئين الثالث والرابع في مجلد واحد ، إلا أن طول النص بالإضافة التي أخذناها عن مخطوطة بانكي بور جعل ذلك أمراً صعب المنال بما حدا بنا إلى تقسيمهما . و سيجد القارئ أن موضوع حملة القبارصة على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ لا زال يشغل النويري في تعليقاته على بقية ١٥ مرثاة ابن أبي حجلة ، و كذلك في عدد من الحكايات التي سردها عن مغامرات بعض الأسرى من أهل الإسكندرية - من عاد منهم و من لم يعد ممن قرر البقاء في أرض النصرانية كقصة البنت المرتدة .

هذا وقد تصدى المؤلف أيضا في هذين المجلدين إلى عدد من الشئون التي يمكن الإمام بها من جدول محتويات الكتاب . وقد أخذنا هذه في كل من الجزئين عن رهوس موضوعات الأبواب المختلفة التي اضطررنا إلى صياغتها من عندياتنا بين قوسين و أدخلناها في صلب ه الكتاب لتيسير مطالعته على القارى و لباحث ، إذ أن المؤلف كتبه في أسلوب مرسل دون تبويب أو ترتيب ، فأصبح نشر النص على غرار الأصل جملة واحدة غير مستساغ .

و تتضح طبيعة المتفرقات التي جمع لتورى شتاتها إلى جانب تدرج الإسكندرية من نظرة عابرة على أبواب الكتاب ، من ذلك البيانات ١٠ الجغرافية عن الجزر و الأنهار و المدن في حوض البحر الأبيض المتوسط ، و قد حاولنا تحقيق بعضها و لم نحاول تحقيق البعض الآخر مما لم يرد في كتب الجغرافيا عند العرب . و هى مادة جديدة تركناها لهذه الجغرافيا التاريخية من المستشرقين . و منها أيضا لمع في الأفلاك و كروية الأرض و الآهوية و فلسفة الروح و النفس و العقل و وظائف أعضاء الجسم ١٥ البشرى و الأغذية و غير ذلك . ثم إنه وصل في معرض الكلام إلى الشرق الأقصى و مملكة المهرج و بلاد القمار ، و يقال إنها بمنطقة اندونيسيا في عصرنا هذا .

ولكن صلب المتن بقى قائما على موضوعين رئيسيين آخرين: أحدهما الأدب بما فيه الأدب الرفيع و الأدب الشعبي الذى لم يتورع

الكاتب فيه من ذكر حكايات قد يمجها الذوق الحاضر لرقاعتها ولكنها بدون شك ناحية من نواحي الأدب التي أقبل الذوق الوسيط عليها . والشق الثاني هو التاريخي . وربما كان أهم ما جاء فيه يتعلق ببعض حروب المسلمين في الأندلس والمغرب ، كما خصص المؤلف قسما من جهده لتاريخ مصر الإسلامية ولا سيما الجزء المعاصر لحياته "تويرى" وفيه ٥ بذلها قيمتها الخاصة ، خذ مثلا عهد الناصر محمد من سلاطين المماليك . وقد أورد فيه المؤلف المرسوم السلطاني لتفريد الذي نقله المؤلف ريمته في كتابه .

وفي كل هذه الحالات قننا بمقارنة دقيقة بين مخطوطي برلين و بانكي بور ، يرى القارئ ثمرتها بجلاء في الحواشي الضخمة ، كما ١٠ أننا ملأنا الثغرات التي سقط منها الكلام في مخطوطة برلين ووردت في بانكي بور و انعكس بالنعكس حتى يكتمل النص الأصلي بقدر الاستطاعة . وقد حاولنا الاحتفاظ بأسلوب المؤلف في جملة مع الاكتفاء بتصحيح الأغلاط "نحوية الظاهرة و هجاء الكلمات حتى تصبح صيغة الكتاب مقبولة . ولكتنا أثبتنا في الحواشي جميع تلك المفارقات ١٥ كاملة . كذلك أدجنا بالحواشي ما أمكن تحقيقه من الأماكن و تواريخ الخلفاء و السلاطين و الملوك و مكان الآيات القرآنية في سورها من المصحف .

و رجاؤنا أن نكون بذلك قد قننا بواجبنا الأدبي في صدق نشر و كتب الإمام . لأول مرة بكل ما حوى من الموضوعات ٢٠

المتفرقة في مختلف فنون الأدب و التاريخ و العلوم و القصص و غير ذلك مما جمعه مؤلفه من بطون الأصول الخطية العديدة التي كان ينسخها لأغنياء تجار الإسكندرية . مضافا إليها المعلومات الفريدة التي سردها عن الإسكندرية كشاهد عيان في القرن الرابع عشر الميلادي .

عزيز سوريال عطيه

أستاذ التاريخ و اللغات بجامعة يوتا
بالولايات المتحدة الأمريكية

حيدرآباد الدكن بالهند
٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تكملة مرثاة ابن أبي حجلة]

[١٥٤ : الف] ^٢ نعود إلى مرثية ابن أبي حجلة المتقدم آياتها في
وقعة ^٢ الإسكندرية :

و حَقَّكَ هَذَا مِنْ ذُنُوبٍ تَقَدَّمَتْ^١ وَ قَرَعَ كُؤُوسَ الْخَمْرِ فِي الشَّجَرِ بِالشَّعْرِ
فِي هَذَا الْبَيْتِ تَوَيْخٌ وَ تَقْرِيعٌ لِأَهْلِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَ تَعْرِيزٌ لَذِكْرِ هـ
عِيُوبِهِمْ . كَأَنَّهُ يَقُولُ : مَا جَرَى عَلَيْهِمُ الَّذِي جَرَى مِنَ الْقَتْلِ وَ النَّهْبِ
وَ الْأَسْرِ إِلَّا بِذُنُوبِهِمُ الَّتِي اقْرَفُوهَا فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْفُسَادِ وَ شَرَبِ الْخَمْرِ
وَ غَيْرِهِمَا . وَ مِنْ أَيْنَ عِلْمُ ابْنِ أَبِي حَجَلَةَ أَنَّ لِكُلِّ أَهْلِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ذُنُوبًا
وَ عِيُوبًا ؟ بل لَا تَخْلُو ^١ الْإِسْكَندَرِيَّةُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ السَّالِمِينَ عَمَّا

(١) هذا العنوان غير موجود في الأصل ، و أضفناه كما أضفنا غيره من عناوين
الفصول المختلفة أيضا بين قوسين فيما يلي من هذا الكتاب ، و ذلك لتيسير متابعة
محتوياته حيث أن الأصول وردت مرسلة في الجملة بغير تبويب .

(٢-٢) الجملة في بن [١٠٣ : ب] : فلنرجع إلى ما قاله ابن حجلة في مرثيته
لأهل .

(٣) في الأصل و بن : ذنوب و عيوب . و قد صححت بقلم آخر في بر .

(٤) في بن : لَا يَخْلُو .

ذكره في هذا البيت . قال الله تعالى في خطابه لإبليس اللعين^١ : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغوين^٢ " . فعباد الصالحون المتقون المخلصون^٣ عاقبهم الله من الذنوب لحفظه لهم . وكان ينبغي لابن أبي حجلة الصمت و السكوت^٤ عن هذا البيت سترًا على المسلمين الموحدين . فالتبلى بها أمره راجع^٥ إلى الله تعالى ، والله تعالى يعفو أو يغفر ، إن ربك واسع^٦ المغفرة . ولو قدرنا أن لهم ذنوبًا كما ذكر^٧ فلسان حالهم يقول :

.. إن يكن^٨ هذا الذنب سابقًا^٩ قد جرى منا بجهل^{١٠} و غرر
أو يكن منا إساءة^{١١} بدت فآله العرش أولى من غفر

(١) قرآن كريم : ١٥ : ٤٢ .

(٢) في الأصل : الغاوين . وهي صحيحة في بن .

(٣-٣) في الأصل و بن : الصالحين المتقين المخلصين .

(٤) من بن ، وفي الأصل : السكون .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن مطموسة في ترميم الوردية .

(٧) في الأصلين : سابق .

(٨) من بن ، وهي في الأصل : و جهل .

(٩) في الأصل و بن : إساءت - بالتاء المفتوحة . والكلمة مصدر بالتاء

المربوطة .

فكان ينبغي له الصمت عن ' ذكر هذا البيت ' :

' في الصمت إلا في الخير '

كن صامتا حتى يقال كأنما زبر الحديد على لسانك^٣ سُمرت
فاذا دعتك إلى الكلام ضرورة فانطق بما خير الأمور تيسرت
و كان ينبغي لابن أبي حجلة سد خلل أهل الإسكندرية ، لأن ه
سد خلل المسلمين أحسن من إظهار عيوبهم . قال الحريري^٥ في ملحمة
الإعراب^٥ :

وإن تجدد عيا فسد الحلالا فجّل من لا عيب فيه وعلا
وقال غيره :

لا تكشف من عيوب الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويك^{١٠}
فاذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك
وقال غيره :

المرء إن كان عاقلا ورعا يمنع عن عيوبنا ورعه
كالليل السقيم يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه^٦

(١ - ١) في بن [١٠٤ : الف] : ذلك . وبهامش بر : في الصمت .

(٢ - ٢) في بن : قال بعضهم في لزوم الصمت إلا في خير .

(٣) في بن : لسانه . وهي جائزة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) واردة في بن ، وساقطة من بر .

(٦ - ٦) الأبيات كلها ساقطة من بر و واردة في بن وقد أخذناها عن الأخيرة .

وقال غيره :

إن كانت الأعضاء خالفت الذى أمرت به فى سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتموها فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما فهبوا له ما حلّ فى الأركان
٥ ذكر الاستاذ أبو القاسم ٢ القشبرى فى شرح الأسماء الحسنى له
عن ابن المنكدر قال : قلت فى الطواف : اللهم اعصمنى ، وأقسمت
على الله طويلا ، فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى : أنت الذى قلت :
اعصمنى ؟ قلت : نعم ، فقال : إنه [١٥٤ : ب] لا يفعل . فقلت :
لِمَ ؟ قال : يريد أن يُعصى حتى يغفر .

١٠ وقال إبراهيم بن أدهم الكبير المقدار ، صاحب المقامات والأنوار :
طُففت ذات ليلة بالبيت الحرام ، وكانت ليلة ممطرة كثيرة الظلمة ،
وقد خلى الطواف وطابت نفسى فوقفت عند الملتزم وقلت : اللهم
اعصمنى حتى لا أعصيك ؛ فهتف بى هاتف فقال : يا إبراهيم ! أنت سألتنى
أعصمك وكل عبادى يسألنى العصمة ، فإذا عصمتهم فعلى من أفضل
١٥ ولمن أغفر ؟

(١) فى بن : اودعتمهم .

(٢) فى بن : وذكر .

(٣) فى بن : القسم .

(٤) فى بن : قال .

(٥) فى بن : يسألنى .

وذكر أبو طالب المكي في كتاب قوت القلوب له عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان يقول: العبد لا بد له من مولاه على كل حال، وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء، إذا عصي يقول: يا رب استر علي، فإذا فرغ من معصيته قال: يا رب تب علي، فإذا تاب قال: يا رب ارزقني العصمة. فإذا عمل قال: يا رب تقبل مني. ٥

وقال الجزولي في شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه: ينبغي للإنسان أن يتأول لأخيه المسلم ولا يسيء به الظن. قال الله تعالى: "ان بعض الظن اثم" ٢. ٣ وقد قال ٣ النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث"، ٤. ٥ واعلم أن الإنسان مشتق من الظهور لقوله تعالى: "فان انتم منهم رشداً" ٦. أي فان ظهر لكم ١٠ منهم، كما سمي الجن جنا لاستتاره. ٧ وكما يقال يضرب على يد اليتيم حتى يستقيم. ٨ وقيل سمي الإنسان إنساناً لإنسانيته، كما سمي الوحش وحشاً لتوحشه. ٩ وقيل مشتق من النسيان لأنه ينسى؛ وهذه المعاني كلها موجودة في الإنسان - انتهى.

نعود إلى ما جاء في فضل التستر على المؤمن. قال النبي صلى الله ١٥

(١) في بن: للنا. وربما كانت النون مطموسة في ترميم الورقة.

(٢) قرآن كريم: ٤٩: ١٢.

(٣-٣) في بن: وقال.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) قرآن كريم: ٤: ٦.

عليه وسلم : « من ستر عورة أخيه ، ستر الله عورته يوم القيامة » . . وقال
عمر رضي الله عنه : « لا تظن بأخيك سوءا ، أنت تجدله في الخير »
مسلكا . . وقال عليه السلام : « لا تعجل^٢ على أخيك وأنت تجدله وجها
تدفع^٣ به عنه . . وإياكم والتعنيف وأنتم تجدون سبيلا إلى التخفيف ،
ه فان الله عز وجل قد أعذر إلى خلقه^٤ وبالغ في العذر^٥ . وقال بمض
أهل الصلاح : لا ينبغي للؤمن أن يسيء^٦ الظن بأخيه حتى يلتبس له
سبعين مخرجا . وقيل لبعضهم : رأيت الذي يشهد فيه بالصلاح على باب
الحانة واقفا . فقال^٧ : لعله وقف لأمر معروف ونهى عن منكر .
ف قيل له ليس هو ممن نُصِبَ لذلك . فقال : ولعل له غريما تحصن بها .
١٠ ف قيل له : ليس هو ممن يدين الناس . فقال^٨ : لو كان يدينهم لما اشتد
طلبه ، وإنما تجددت عليه المداينة فندم عليها فجاء في طلب الغريم .

(١) في بن : انقيمة .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : لا لا تعجل .

(٤) في بن : قد وقع .

(٥) في بن : خالقه .

(٦) زيد في بن : وقال أبو الحسن المغربي : ارحم خليلي عباد الله فالمحبة والنظر
إليهم بعين اللطف والشفقة . . . و ارحم صغيرهم وراع في كل خلق الله من خلقه .

(٧-٧) الجملة مطموسة في بن في الترميم .

(٨) في بن [١٠٤ : ب] : قل .

(٩) في بن : وقال .

وقيل [١٥٥: الف] لبعضهم فلان الذي يُشْهَد فيه بالصلاح رأيته اليوم يقبل امرأة في الطريق ، فقال : و لعلها من ذوات محارمه . ف قيل له :
 ٢ وهل لا ٢ أمهلها حتى يجمعهما سائر ؟ فقال له : و لعله حلف لا يجمعهما سائر .
 وقيل لآخر مثله فقال : و لعلها زوجته . ف قيل له : ٢ وهل لا ٢ كان في ستره ؟ فقال : ٣ و لعل السفر ٢ أعجله عن ذلك ٤ . قال بعض ٥
 الأشياخ : فإذا كان السر مسنونا و فعله مشروعا و مندوبا معمولا به عند العلماء * خاصة ، في حق المسلمين عامة ، فانه يتأكد في أهل الفضل المشهود لهم بالخير في الأصل . و لقد أحسن القائل في وصف أحوال الإخوان :

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره و من لا له عذر فعندى له عذر ١٠
 عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من أسلم بلسانه و لم يفيض الإيمان إلى قلبه ! لا تعيروا المسلمين و لا تسبواهم و لا تتبعوا عوراتهم » ، و من يتبع الله عورته يفضحه^٧ و لو في

(١) من بن ، و في بر : فلانا .

(٢-٢) كذا في الأصل ، و ربما كان الأصوب قراءتها : و هلا .

(٣-٣) في بن : و لعله للسفر ثم .

(٤) زيد في بن : قيل له : ليس هو ممن يداين الناس . فقال : أو كان يداينهم لما اشتد طلبه و إنما تجددت عليه المداينة . فندم بخدي في طيب القرير ، و قيل لبعضهم فلان الذي يشهد فيه بأ . . . و الجملة مكررة و مشطوبة .

(٥) في بن : الفقها .

(٦) زيد هنا في بن : فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته .

(٧) في بن : يفضح .

جوف بيته . . و قال أبو سعيد الخزاز : استسراك لعيوب^١ الناس ذل لك لأن الله عز وجل ستر عباده بستره الجميل ، فمن تعرض لهتك ستره أذله الله في الدنيا ومقته في الآخرة .

واعلم أن الشفقة على خلق الله تعظيم^٢ لأمر الله^٣ ، والستر عليهم^٤ يرتجى به^٥ من الله^٦ . لأن من ستر ستر ومن قهر قهر . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبداً إلا ستره الله يوم القيامة » . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان في بني إسرائيل رجلان متآخيان^٧ أحدهما مجتهد والآخر مذنب ، فكان المجتهد يقول للمذنب : اقصر ، فيقول المذنب : خلني وربي ! فوجد المجتهد يوماً على عظمة ، فقال : اقصر ، فقال المذنب : خلني وربي أبعثت على رقيبا ؟ فقال : والله لا بدخلتك^٨ الله الجنة ! فبعث الله ملك الموت فقبض أرواحهما . فقال الله عز وجل للمذنب : ادخل الجنة برحمتي^٩ . وقال للمجتهد : أكنت قادراً على ما في يدي ؟ أتستطيع أن تمنع عبدى رحمتي ؟ أدخلوه النار .

(١) في بن . بعيوب .

(٢) في بن : تعظيماً .

(٣) زيد في بن : تعالى .

(٤) زيد في بن : الستر .

(٥) في هامش بر : نكتة .

(٦) في الأصلين . متواخيان .

(٧) في بن : يدخلك .

(٨) ساقطة من بن .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته» ذكره البزار في سننه .

قال الشيخ أبو العباس المرسى في قوله سبحانه: "يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلاً للملك يومئذ الحق للرحمن" . ولم يقل: للقهار ولا للعزیز، فلو قال: للقهار أو العزیز، لم يطق ذلك العذاب ٣ وانفطرت ٥ قلوبهم ففرق بهم أن قال: "الملك يومئذ الحق للرحمن" . وهكذا قوله: "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن [١٥٥: ب] وفداً" ، ولم يقل: للقهار ولا للعزیز، لأن الحشر وهول المطلع شديد فلاطفهم في رحابته في ظهور سلطان قهره . وقال أبو الحسن الشاذلي: من آمن بالله آمن من كل شيء، ومن أسلم لله قل ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن ١٠ اعتذر إليه قبل عذره . وقال ابن عمر^٦: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه عليه وستره . فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب! حتى يقرره بذنوبه ورأى نفسه أنه

(١) زيد في بن: و تعالى . قرآن كريم: ٢٥: ٢٥ و ٢٦ .

(٢) « للرحمن » ساقطة من بن .

(٣) في بن: العباد .

(٤) قرآن كريم: ١٩: ٨٥ .

(٥ - ٥) في بن: برحمانيته .

(٦) في بن: قدرته .

(٧) زيد هنا في بن: رضى الله تعالى عنهما .

هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا . و أنا أغفرها لك اليوم ، . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبدٌ عبداً إلا ستره الله يوم القيامة » . .
قال بعضهم : كنا قعوداً^٢ ببغداد عند^١ معروف الكرخي على الدجلة إذ مر بنا قوم أحداث في زورق يضربون بالدفوف و يشربون و يلعبون ، ه فقالوا -^٣ لمعرف : ما تراهم يعصون الله مجاهرين ؟ فهل لا دعوت عليهم ؟ فرفع يده و قال : إلهي ! كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة . فقالوا : أيها الشيخ ! سالتك أن تدعو عليهم فدعوت لهم . قال^٤ : إذا فرحتهم^٥ في الآخرة تاب عليهم .

قال : بعض العارفين : إذا كان الحق سبحانه حرس السماء بالكواكب ١٠ و الشهب كيلا يسترق^٦ السمع منها ، فقلب المؤمن أولى بذلك^٧ لقول الله سبحانه^٨ فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تسعني^٩ أرضي

- (١) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٢) في بن [١٠٠ : الف] : القيمة .
- (٣) في الأصلين : قعود .
- (٤) في بن : مع .
- (٥) في بن [١٠٠ : الف] : ثقيل .
- (٦) في بن : فقال .
- (٧) في بن : فرحوا .
- (٨) في بن : يسترقوا .
- (٩ - ٩) في بن : لقوله .
- (١٠) زيد في بن : و تعالى .
- (١١) في الأصل : لم يسعني .

و لا سماء ، و يسعى قلب عبدى المؤمن . فانظر رحمك الله هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه المرتبة أهلاً . و لقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : لو كشف عن ' نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء و الأرض ، فما ظنك بنور المؤمن المطيع ؟ قال بعض المريدين : صليت خلف شيخى صلاة ، فشهدت ما أبهر عقلى ، و ذلك أنى شهدت ' بدن ٥ الشيخ و الأنوار قد ملأته . و أنبت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه . فلو كشف الحق عن مشرفات أنوار قلوب ' أوليائه لانهطى نور الشمس و القمر من أنوارهم ، الشمس يطرئ عليها الكسوف و الغروب . و أنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها و لا غروب . و لذلك قال قائلهم :

١٠ ' إن شمس النهار تغرب فى الليل و شمس القلوب ليس تغيب
و كان كل خليفة ولى الخلافة ببغداد يرفع إليه حراس الدروب
فى كل صيحة يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة و الطالحة .
فلما ولى الطاهر ' الخلافة أمر ' بتعطيل ذلك ' ، و قال : أى فائدة فى كشف
أحوال الناس و إظهار أسرارهم ؟ [١٥٦ : الف] فقيل له : إن ترك ذلك

(١) فى بن : من .

(٢) فى بن : وجدت .

(٣) فى بن : قلبى .

(٤) بطرى فى الأصل بمعنى يطرأ و هى كذلك فى بن .

(٥) الخليفة العباسى و حكمه ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م .

(٦ - ٦) فى بن : بتبطل ذلك كله .

يفسد الرعية ، فقال : نحن ^١ ندعو ^٢ الله لهم أن يصلحهم . وأرسل إلى القاضي عماد الدين عبد القادر الحنبلي بعشرة آلاف دينار يقضى بها ديون من في سجنونه الذين لا يجدون وفاة ، وفرّق في العلماء بقية المائة ألف دينار . ولامه بعض الناس في هذه الأفعال فقال : نحن فتحنا هـ الدكان بعد العصر فذروني ^٣ أعمل صالحا ، فكم مقدار ما بقيت أعيش . وكان يبيع بالخلافة وعمره يومئذ اثنان وخمسون عاما ^٤ فلم يزل ^٥ الخلافة من بني العباس أسنّ منه . ولم تزل سيرته محمودة حتى توفي رحمه الله تعالى ، ورخصت الأسعار في أيامه بعد غلاء كبير ^٦ ، أكلت الناس فيه الكلاب ييلاد الجزيرة والموصل ^٧ ، فزال ذلك عن الناس ١٠ بخلافته . فانظر إلى حسر ^٨ خلق هذا الخليفة كيف كان يحسن إلى الناس ويسترهم ! يرجو بذلك الشفقة على عباد الله والرحمة لهم ، لأن من رحم العباد رحمه ^٩ رب العباد ^٨ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الراحمون

(١) في بن : ان نحن .

(٢) في الأصل « ندع » مصححة بقلم آخر إلى « ندعو » وهو الصواب ،

وفي بن : ندعوا .

(٣) في بن : فدعوني .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصلين : يلى .

(٦) في بن : كثير .

(٧) في بن : وبالموصل .

(٨-٨) في بن : الله تعالى .

يرحمهم الرحمن' . . قال عامر الدوسي : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد التفت عليه فقال : يا رسول الله ! مررت بغضة شجر فسمعت أصوات أفراخ ، فأخذتهن فوضعتن في كسائي ، فجاءت أمهتن فاستدارت علي رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوَقعت عليهن . فلففتهن في كسائي فهم هؤلاء معي . فقال : هـ صَعْنهن . فوضعتهن وأبت أمهتن إلا لزومهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الأفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ! قال : والذي نفسي بيده ٣ الله أرحم بعباده ٣ من أم الأفراخ بأفراخها ، ارجع حتى تضعهن من حيث أخذتهن و أمهن معهن . فرجع بهن كما أمره . ذكره أبو داود في سننه . فانظر إلى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم في ١٠ قوله : ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن .

ومن علامات خلق النبي صلى الله عليه وسلم إشفاقه أيضا على أهل الكبار من أمته وأمره بإيأام بالستر . فقال : من بُلي بهذه القاذورة فليستر - يعني المحرمات . و عتب النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز لما حرضه على إشهار نفسه عنده بأقراره بالزنا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ١٥ عليه وسلم برجمه بعد أن قال له : أهلك جنون ؟ قال : لا . ولا خلاف

(١) زيد بن : تبارك و تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

(٢) في الأصلين : يرسول .

(٣-٣) في بن : لله بعباده أرحم .

(٤) في بن : فراخها . و بقية الجملة مطموسة في ترميم الورثة .

بين العلماء في إلزام المقر ما أقرب ما لم يمنع من ذلك مانع . ولما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن ماعزاً قرّ من الرجم فتبعناه إلى أن قتلناه بالحجارة ، فقال : 'أهل لا أتيتموني به ؟ وأمر أمته أن [١٥٦ : ب] يستغفروا للحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه وسبوه ولعنوه ' .

هـ فقال : قولوا : اللهم اغفر له وارحمه ! وقال لهم في رجل كان ٣ كثيراً ما يؤتى به سكراناً بعد تحريم الخمر ، فلعنوه مرة ، فقال : لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله . فأظهر لهم خبيثة قلبه لما رفضوه بظاهر فعله لأن حبة من مواجيد القلوب خير من قراريط من أحوال النفوس ، وحبة من أحوال النفوس تنشأ عن أصل معرفة من القلوب خير من قراريط ١٠ من أعمال الأبدان ، وإمّا ينظر الله إلى القلوب ، وخبياً رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته ليقى له عمل يعمل به يوم القيامة لم يبق ' لآدمي سواه . فقال : اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

[السبع الموبقات - *]

- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا ١٥ السبع الموبقات ^٦ . قيل : يا رسول الله ^٧ ! وما هن ؟ قال : الشرك بالله (١-١) 'عله « هلا » .
- (٢) ساقطة من بن .
- (٣) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٤) في الأصلين : لم يبق .
- (٥) العنوان غير وارد بالنص وقد أخذناه عن الهامش .
- (٦) في الهامش : السبع الموبقات .
- (٧) في الأصلين : رسول .

و السحر و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق و أكل مال اليتيم و أكل الربا و التولى يوم الزحف و قذف المحصنات - خرجه مسلم . و عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال : الشرك بالله و عقوق الوالدين و قتل النفس و قول الزور .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا : يا رسول الله ! هل يشتم الرجل والديه . قال : نعم ، يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه و يسبّ أمه فيسبّ أمه . و سيأتي ما قيل في الكبائر و الصغائر إن شاء الله تعالى . و قال النبي صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .

يحكى * أن أعرايا أتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فأناخ راحلته ١٠ بباب المسجد و جاء بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال منشدا : يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهن القاع و الآكم

(١) في الأصل : و قتل . صححت إلى « و قذف » و في الهامش : صواب « و قذف » . و هي كذا في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : يرسل .

(٤) في بن : قال .

(٥) في بن : حكى .

(٦-٧) الجملة مكررة في بن .

نفسى القداء لقبر أنت ساكنه فيه تعفاف وفيه الجود والكرم
ثم التفت الأعرابي لقبرا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بآبى أنت
وأبى يا رسول الله ! خصك الله يا رسول الله وأنزل عليك كتابا
جمع لك فيه خير الأولين والآخرين ، قُلْتَ عن الله فسمعنا قولك ،
وَوَعَيْتَ عن الله فوعينا عنك ، وكان مما أنزل عليك ”و لو أنهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما“ ، وقد أتيتك تائبا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربى ! فتودى من
القبر أن الله قد غفر لك .

قال المؤلف غفر الله له ولوالديه وللأقربين إليه وجميع المسلمين ؛
١٠. وقفت على آيات فيها زيادة على بيتى الأعرابي [١٥٧ : ألف] فأحببت
ذكرها هنا - ٥ - وهى :

أقول والدمع من عيني يسجم لما رأيت جدار القبر يستلم
والناس من حوله باك ومنقطع من المهابة أوداع فملتزم
فما تمالك أن ناديت من حرق^٦ في الصدر^٧ كادت بها^٨ الأجاد تضطرم

(١) فى بن : إلى قبر .

(٢) فى الأصلين : يرسل .

(٣) قرآن كريم : ٤ : ٦٤ .

(٤-٤) فى بن : رحمه الله .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) مطموس فى الترميم .

(٧-٧) فى بن : والصدر .

(٨) فى بن : به .

ياخير من دفت بالقاع أنظمه فطاب من طيهن القاع و الأكم
 أنت النبي الذي ترجى شفاعته عند الصراط إذا ما زلت القدم
 'الولاك ما خلقت شمس ولا قر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم'
 نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
 وفيه شمس التقى^٢ والدين قد غربت من بعد ما أشرقت من نوره الظلم^٥
 حاشا^٣ لوجهك أن يبلى وقد هدبت في الشرق والغرب من أنواره الأمم
 لئن رأيناه قبرا إن باطنه لروضة من رياض الخلد^٤ تبسم
 طافت به من حوالى^٦ ملائكة تغشاه في كل ما يوم وتزدحم
 لو كنت أبصرته حيا لقلت له لا تمس^٧ إلا على خدى لك القدم
 لقيت ربك و الإسلام صارمه ماض وقد كاد^٨ جيش الكفر يصطدم^{١٠}
 اقممت فيه مقام المرسلين إلى أن عزّ فهو على الأيادى يحكم^٩

(١-١) هذا البيت ساقط من بر و وارد في بن [١٠٦: الف]

(٢) في بن : التقا .

(٣) في بن : حاشى .

(٤) في بر : الخلد . وصحته في بن .

(٥) في الأصلين : حواليه . ولا يستقيم بها الوزن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصل : لا يمشى - كذا .

(٨) في بن : كان .

او يروى أن أعرابيا سمع ابن عباس وهو يقرأ "و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها" . فقال الأعرابي : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يعيدهم فيها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه - انتهى .

(الستر على العباد)

٥

نعود إلى ذكر فضل الله و كرمه و ستره على عباده المؤمنين فله

(١) زيد هنا في بن : و اعلم أن الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للذين "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" (قرآن كريم : ٤٧ : ١٠٩) والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى "وإن طائفتين من المؤمنين اقتضوا فاصلحوا بينهما فأنهت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي" (قرآن كريم : ٤٩ : ٩) سماء مؤمنا حال كونه باغيا وقال "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى" (قرآن كريم : ٢ : ٧٨) سماء مؤمنا حال ما قتل الناس بغير الحق فثبت بهذا أن الله تعالى أمر محمدا أن يستغفر للفاسق فإذا طاب محمد صلى الله عليه وسلم المغفرة للفاسق فلا بد أن يريد ألا يرد الله عن مطلوبه بل يقبل شفاعته و إذا ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ذلك وجب أن يرضيه الله تعالى بذلك كقوله تعالى "واسوف يعطيك ربك فترضى" (قرآن كريم : ٣ : ٩٠) و يلزم من مجموع ذلك أن الله سبحانه و تعالى يقبل شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم في حق الفاسق .

(٢) قرآن كريم : ٣ : ١٠٣ .

(٣) في بن : للأعرابي .

(٤) في بن : نقدهم .

الحمد والشكر دائما على إنعامه^١ اعلم أن معنى^٢ الحمد في اللغة الثناء على
المحمود بجميل صفاته و أفعاله^٣ والشكر و الثناء^٤ على^٥ إنعامه . فكل شكر
حمد ولا يتعكس . وقيل إن كل واحد منهما عام من وجه ، خاص
من وجه . لأن الحمد لا يكون إلا باللسان ، والشكر يكون^٦ باللسان وغيره .
قال الشاعر :

٥

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد والمدح معناهما واحد وإن افترقا من جهة أن الحمد
خاص بأولى العلم ، والمدح يكون لأولى العلم وغيرهم^٧ - انتهى^٨ .
نعود إلى ذكر كرم الله و ستره على عباده . ورد في الحديث

(١) زيد هنا في بن : فلنذكر ما قيل في الحمد والشكر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : وفعاله .

(٤) كذا في بن وفي الأصل : عليه .

(٥) زيد في بن : قال بعض العلماء في صدر كتابه : الحمد لله بلا ابتداء الأخير
بلا انتها ، أحمد على حله بعد عليه ، وعلى عفوه بعد قدرته ، وصلى الله على محمد النبي
المكرم و الشافع المقرب ، الذي بعث آخرا و اصطفى أولا . وجعلنا من أهل
طاعته و عتقنا بشفاعته .

- عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لو لم تذبوا لذهب الله بكم و أتى بقوم يذبون و يستغفرون فيغفر لهم » .
 و خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 [١٥٧ : ب] « و الذى تقى يده لو لم تذبوا لذهب الله بكم و لجاء
 ٥ . بقوم يذبون فيستغفرون فيغفر لهم » . و قال صلى الله عليه وسلم : « ما أصرَّ
 من استغفر و لو عاد فى اليوم سبعين مرة » . و قال صلى الله عليه وسلم :
 « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد اطلع عليه غفر له و إن لم يستغفر » .
 و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ٢ : العجب من يهلك و معه النجاة .
 قيل : و ما هو ؟ قال : الاستغفار . و قال الفضيل بن عياض : قول العبد :
 ١٠ . أستغفر الله - يعنى أقلنى ٣ . و لما دخلوا إخوة يوسف عليه و هو قاعد
 على سرير ملكه و على وجهه البرقع المكلل بأنواع الجواهر - ٥ فعرفهم

(١) زيد بن : رضى الله عنه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) تلى الجملة هنا فى بن زيادة من ٦ ؛ سطرًا [١٠٦ : ب - ١٠٧ : الف] كلماتها الأولى
 مطبوسة فى الترميم و البقية تتكون من عبارات فيها ما هو مفهوم و ما هو
 غير مفهوم ، و الظاهر أن ناسخ بر تجاوز عنها و أسقطها لهذا السبب و لقلّة
 فائدها فى خدمة النص ، و قد اتفقنا أثره فى ذلك فوضعنا من هذا الهامش .

(٤) فى بن الواو ساقطة من « و لا » .

(٥) فى بن : اللؤلؤ و الجواهر .

ولم يعرفوه نقر صواعه الذهب^١ وأدناه إلى أذنه لسمع طينه ، فقال لهم : إن هذا الصواع يخبرني أنكم طرحتم أخاكم في البئر ثم أخرجتموه وبعتموه بثمن بخس . فأنكروه وقالوا : لم نفعل ، لعل الملك قد سمع غلطا . فأخرج الكتاب الذي كتبه يوم يعه لمالك بن دعر وفيه خطوطهم ، فقال : هذا الكتاب وجدته في خزاتي وهو مكتوب ه بالعبرانية ، فقرأه^٢ وفسره لنا . قال فأخذه يهودا ونظر فيه ، ثم قال لأخيه رويل : أتعرف خطك ؟ فلما نظر إليه رويل داخلهم الجزع وبهت أبصارهم وخرست ألسنتهم ، فقال لهم يوسف : ما لكم ضئتم ؟ فقالوا : أيها الملك نعم^٣ هذا كتاب كتبناه لعبد بعناه كان لنا . قال : فأخبروني ما فيه . فقرأه عليه رويل . فقال يوسف : وبحكم القد جئتم^٤ بما لا يليق بكم ، فلو كنتم كما تقولون ما ارتكبتم مع^٥ أصغركم ما ارتكبتم . ثم نقر الصواع^٦ وأصغى بأذنه إليه وقال : إن الصواع

(١) زيد في بن : الذي يكل به البر في زمن الفلا فادناه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : فقرأه .

(٤-٤) في بن : نعم أيها الملك .

(٥) في الأصلين : من .

(٦-٦) الجملة مطموسة بالترميم في بن .

أخبرني^١ أن أخاكم الذي تزعمون موته حتى^٢ وأنه سيرجع فيخبر الناس بصنيعكم معه . ثم نقر الصواع وقال : يقول هذا إنكم أذنبتم هذا الذنب وما زلتم مصرين لم تتوبوا ولم تستغفروا الله لأصيرتكم نكالا للعالمين ، ولأذيقنكم وبال أمركم . على بالحدادين^٣ حتى أقطع أيديكم وأرجلكم .

٥ فلما سمعوا ذلك ضاق ذرعهم وأسألوا دموعهم وخضعوا . فقال لهم يهودا : ما حذرتكم منه يوم فعلتم بأخيكم ما فعلتم وقلت لكم إن الله عز وجل بالمرصاد لا يترك ظلم العباد . فكيف يكون حال ذلك الشيخ الضعيف يعقوب إذا وصله فقد أولاده جميعا وقد أصابه ما أصابه لفقد واحد ، فتوبوا إلى الله واعترفوا بين يديه وأشهدوا هذا الملك الجليل قدره على أنفسكم بالتوبة ، فلعل الله تعالى أن يجعل لكم في قلبه شفقة ورحمة . فان الله أرحم الراحمين . قال : فبكوا جميعا وقالوا : اعترفنا بذنوبنا وتبنا عما كسبت أيدينا ، ولئن من الله [١٥٨ : الف] علينا برجوع^٤ أخينا يوسف^٥ إلينا لنكونن نرابا لقدميه . ولنقبلن رأسه ويديه . فلما سمع يوسف مقالهم وتوبتهم ورأى حالهم فاضت عيناه بالدموع

١٥ وقال : إلى كم أقلق^٥ قلوب إخوتي ؟ إنما كان حرصي على توبتهم

(١) في بن [١٠٧ : ب] : يخبرني .

(٢) في الأصاين : حيا . وهي مصححة في بر بقله آخر .

(٣) في بن : بالحدادين .

(٤-٤) في بن : يوسف أخينا .

(٥) في : أقلقك .

و زوال الإصرار من قلوبهم ، فأمر أن يحلى سيلهم و ينصرفوا^١
 لايبهم .^٢ فلنذكر الآن أدعية المذنبين المتضرعين لرب العالمين^٣ ،
 و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ارحم من هتك الستور ، و عاتق
 الفجور ، و لم يراقبك^٤ يا غفور . و قال بعضهم^٥ في المعنى :
 و كم زللت و لم أذكرك في زللي و أنت يا سيدى فى الغيب تذكرنى ه
 و اكشف الستر جهلا عند معصيتى و أنت يا سيدى بالغيب تسترنى
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يرين أحدكم من أخيه عورة
 فيسترها إلا دخل الجنة » . و قال صلى الله عليه وسلم : « أمى هذه أمة
 مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة » . و قال عقبة بن عامر : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من وجد مسلما على عورة فستره ١٠
 فكأنما أحيا مؤودة من قبرها . و من ستر مسلما ستره الله » .

فائدة [فى الذنوب - ٢]

تشتمل على أسس لقلوب المؤمنين المذنبين ، و هى أن زليخا لما^٨

(١) فى بن : ينصرفون

(٢-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن و يكتمل بها السياق .

(٣) فى بن : براعيك .

(٤-٤) فى بن : و كان بعضهم يقول .

(٥) فى بن : قل

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ما بين الحازرين فى العنوان غير وارد بالأصل و أضفناه .

(٨) ساقطة من بن .

علمت أن النسوة يلتهن في حبها ليوسف عليه السلام احتالت لعدوها ،
فابتلى بها إياهم لما كان منها حتى صيرن^١ لسان الملامة لسان العذر
و السلامة . فكذاك الله عز وجل لما لامت الملائكة نبي آدم بالمعاصي
و ترك الأمر و ارتكاب النهي^٢ ، و ركب فيها الشهوات و إنهاء زمام
ه الآفات ، فرجعوا عن لسان الملامة إلى لسان الاستغفار . قال الله عز وجل^٣
في صفتهم^٤ : « يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا » .
و قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله عز وجل^٥ : « يا عبادي !
إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم » .
عن أبي هريرة^٦ عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه
١٠ عز وجل أنه قال : أذنب عبد^٧ ذنبا فقال : أى رب اغفر لى ذنبي .
فقال الله تعالى : « أذنب عبدى ذنبا فلم أن له ربا يغفر الذنب » و يأخذ

(١) في الأصلين : صرن .

(٢) في بن : المنهى .

(٣ - ٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وصفهم .

(٥) قرآن كريم : ٤٠ : ٧ و يلاحظ أن « و يؤمنون به » ساقطة من الآية
في الأصلين .

(٦) في الهامش : فوائد في الذنوب . و هى بقلم غير قلم المخطوط .

(٧ - ٧) في بن : روى عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٨) في بن : عبدى .

(٩) في بن : الذنوب .

بالذنب^١ . ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك . فقال الله تعالى : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » - أخرجه البخارى و مسلم .

قال الشيخ أبو العباس المرسى هذا الحديث عظيم الموقع في الدين ، كثير النور و البركات ، فتح باب الرجاء بسبيل الخيرات ، شرح الله تعالى بنوره الصدور ، و يتر بوجوده الأمور ، و سكن به قلوب الخائفين ، [١٥٨ : ب] و جبر به كسر المذنبين ، و سهل به الأسباب ، و فتح به بواسع فضله و عظيم مغفرته كل باب ، فله الحمد على ما وفق و هدى ، و منح و أعطى .

اعلم أن هذا العبد صار قلبه لا يألف الذنب و لا يقر عليه ، بل كل ١٠ ما قوى قلبه بنار المعصية^٢ و عاود التوبة و لم يعقد أصلاً في قلبه عقدة^٣ إصرار ، و هذا حال من أحوال التوبة شريف ، و سلوك لأهل الأذواق لطيف ، و هو حال حسن للتائبين ، و منزل معلوم للسالكين . فلما علم الله تعالى أن هذا عبد ليس له على ذنب قرار بل كل ما لم يذنب عاود^٤ التوبة و الاستغفار ، قيل له : اعمل ما شئت^٥ إذا ، فانك إن قضى^٥ عليك ١٥

(١) في بن : الذنوب .

(٢-٣) مطموسة في بن في الترميم .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن [١٥٨ : الف] : عاد .

(٥-٥) في بن : فأنى لن أفضى .

بذنبت تبت إلينا ، و عاودت أبواب كرمنا ، ونحن أيضا أجرينا عوائد
 كرمنا أن من تاب إلينا قبلناه ، وإن عاود ٢ في كل يوم مائة مرة جبرناه ،
 فأنت كلما وقعت في الذنوب والعصيان ، وراجعت التوبة فتحنا لك
 باب العفو والغفران ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر
 ٥ الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، فاعمل ما شئت ! فانك بتوفيقنا تفتح
 لك باب المتاب ، وأنا بسابق كرمي وعظيم إحساني أغفر لمن تاب و أناب .
 و قال أنس بن مالك ٣ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني و رجوتني إلا ٤ غفرت
 لك على ما كان منك . ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء
 ١٠ ثم استغفرتني . غفرت لك يا ابن آدم ! لو أتيتني بتراب الأرض خطايا
 . ثم لقيتني . لا تشرك بي شيئا لأنيتك بترابها مغفرة . ٦ قال الشيخ
 محي الدين النووي ٧ معناه ما يقارب ملاحظها .

قال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا
 متفكرا في ذنوب أمته و خطاياهم فأشفق لذلك . فبينما هو كذلك إذا

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : عاد .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٤) ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) ساقطة من برو واردة في بن .

بطائر منظوم بالدر والياقوت من أحسن الطير خلقا قد وقع بين يديه ،
 فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب من حسنه و صورته ، ثم
 أن الطائر طار حتى أتى البحر و كشف الله عن بصره حتى رآه ، فأتى
 جزيرة من الرمل فصار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرمى في البحر زمانا ،
 ثم طار حتى وقف بين يديه و قال : السلام عليك يا رسول الله ! قال : ه
 و عليك السلام أيها الطائر ! فقال : ألا تسألني : من أين جئت ؟ ولِمَ فعلت
 ما فعلت ؟ قال : رأيته قد ٢ وصلت البحر و رأيته تأخذ الرمل بمنقاره
 و ترميه في البحر . قال : نعم ، أردت أن أرد جرى ماء البحر و أطمس
 أمواجه بما أخذته من الرمل ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فقال : ما [أضحكك - ٣] ؟ ضحك الله منك ! قال : عجبت من حسن عقلك وكيف ١٠
 تقدر [١٥٩ : الف] أن ترد ماء البحر بما تأخذه بمنقارك من الرمل . فقال :
 إن الله عز وجل ضربني لك مثلا حين علم ما خطر ببالك ، و الذي بعثك
 بالحق ! ما ذنوب أمتك في سعة عفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره و يجعله
 في البحر - ذكره صاحب كتاب الغرائب و إظهار العجائب .

و قال الفضيل بن عياض : يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزل ١٥
 « بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم ، و حذر الصديقين إن وضعت

(١) في بن : أتى .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من بر .

عليهم عدلى عذبتهم - قال^١ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: من ذكر خطبته ألم^٢ بها فوجل منها قلبه مُحِيتْ عنه فى أم الكتاب . قال الله تعالى: " وإنى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى^٣ " . قال الشيخ أحمد بن الجَلَّا: لو أن رجلا عصى الله^٤ "عز وجل" بين يدى بمعية ثم استتر عنى بهذا العمود - وكان مستندا إلى عمود - لم يسعنى فيما بينى وبين الله^٥ أن أعتقد فيه مارأيت عليه لأنه يمكن أن يكون تاب حين استتر عنى . و التوبة رجوع إلى الله^٦ بعد الفرار منه . و يروى أن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة . فأنظره إلى يوم القيامة^٧ ، فقال : لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح^٨ ، فقال الله سبحانه وتعالى : هـ وعزى

(١) فى بن : وقال .

(٢) فى بن : انهم .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ٨٢ .

(٤) زيد فى بن : تعالى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : القيمة .

(٧) وردت العبارة من هنا إلى « فلا يزال » فى بن مع بعض الزيادة على الوجه التالى : وقال : « فبعزتك لاغوينهم إجمعين ، استثنى المخلصين عن إغوائه وإضلاله فوسوسة إبليس وصلت إلى المخلصين وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب كانوا من المخلصين . قال الله تعالى « إنا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار » [قرآن كريم ٢٨ : ٤٦ - وفى الأصح بياض] . وقال فى حق يوسف إنه من عبادنا المخلصين . فالذين =

و جلالى لا.....' عنه التوبة ما لم يفرغ . و قال ابن الجون^٢: إن الرجل ليحدث الذنب فلا يزال نادما حتى يموت فيدخل الجنة ، فيقول إبليس: يا ليتنى لم أوقعه فيه! و قال^٣ سفيان بن عيينة: لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قد استجاب دعاء شر الخلق و هو إبليس ، قال: رب فانظرنى الى يوم يبعثون ، قال: فانك من المنظرين ، و قال سفيان^٥ ابن عيينة أيضا: يستحب للرجل^٤ أن يقول فى دعائه: اللهم استرني بسترِكَ الجليل . و معنى الستر الجليل: أنه يستر على عبده فى الدنيا و يستر عليه فى الآخرة من قبل أن يوبخه عليه . و قيل الصبر* الجليل الذى لا جزع فيه = لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم السلام [هنا كلمات مطموسة بالترميم فى آخر ١٠٨: الف تم يتألف الكلام بعدئذ فى ١٠٨: ب] فدل هذا على أن الأنبياء ما أدنوا البتة و أجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكفر و البدعة .

قال ابن الجوزى: ليحدث الذنب لا يزال - الخ .

(١) بياض بالأصل (بر) و لعل العبارة كما فى بن (انظر الحاشية السابقة) .

(٢) و لعل صحته كما فى بن « ابن الجوزى » (انظر حاشية سابقة) .

(٣-٣) و ردت العبارة فى بن كما يلى : و قال سفيان بن عيينة (!) لا يمنع

أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قد استجاب من شر خلقه و هو إبليس .

قال رب فانظرنى ان يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . و قال سفيان

ابن عيينة (!) أيضا للرجل أن يقول - الخ .

(٤) فى الهامش بالأصل (بر): الستر الجليل .

(٥) فى بن: الستر .

ولا شكوى لأحد من المخلوقين ١ . وقال الله تعالى : ” إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ٢ “ . معناه إذا تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضره ٣ الكفر بعد الإيمان . وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ، و التائب
من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال عليه السلام : « الشاب التائب حبيب الله ،
و الشيخ التائب عتيق الله ، و يكون من الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

(١) زيد في بن : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يرين أحدكم من أخيه عورة
فيسترها إلا دخل الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم : هذه أمة مرحومة لا عذاب
عليها في الآخرة . وقال ابن الجوزي : يا أرباب القلوب القاء
. . . . روح الله يا أهل الخوف من عواقب الذنوب ، طيبوا قلوبكم إنه من عمل
منكم شرا له ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم . حلوا عقدة ،
الإصرار بظل خيط القبول (كذا) قلوبكم على أصل الطهارة . وأنما تشبث به
أنجاس المعاصي فأصابها رشاش فاغسلوها بيسير من مياه العيون وقد طهرت - انتهى .
قوله تعالى : انه يحب التوابين - الخ .

(٢) قرآن كريم : ٢ : ٢٢٢ .

(٣) في بن : يضر .

(٤) في الأصل (بر) كلمة « قبل » رائدة ولا وجود لها في بن وهو الصواب .

(٥) زيد في بن ، قال الأصمعي : سمعت أعرابيا وهو يطوف بالبيت يقول : اللهم
اغفر لي ما سلف من ذنوبي فإن عدت لشيء منها فعد عليّ برحمتك فإنيك أهل
ذلك يا إلهي .

واعلم أن التوبة فرض على جميع المؤمنين لقوله تعالى : " وتوبوا
إلى الله جميعا أيها المؤمنون " . [١٥٩ : ب] وقوله تعالى : " ومن
لم يتب فاولئك هم الظالمون " . وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس ! توبوا إلى الله ٣ فإني أتوب
إلى الله في اليوم مائة مرة " . وفيه أيضا عن عبد الله بن مسعود قال ٥
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن
من رجل في أرض دونه مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام
فاستيقظ وقد ذهب فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : أرجع إلى مكاني
الذي كنت فيه فأنام فيه حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت
فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه ؛ فآله أشد فرحا ١٠
بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته " . وفي البخاري عن أبي هريرة^٦
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إني لأستغفر الله

(١) قرآن كريم : ٢٤ : ٣١ .

(٢) قرآن كريم : ٤٩ : ١ .

(٣) زيد بن : جميعا .

(٤) في بن : دونه .

(٥) في الأصل (بر) : ذهب . وصوابها في بن كذا .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد بن : رضي الله تعالى عنه .

وأتوب إليه^١ في اليوم^٢ أكثر من سبعين مرة^٣ . لا يقال : إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته كان بسبب^٤ ذنب . فإن عصمه من ذلك لا شك فيها ولا ريب . وقد اختلف المحققون من العلماء الأخيار في سبب كثرة الاستغفار ، فقال بعضهم : سبب فقرات و غفلات^٥ عن الذكر ه الذي كان دأبه ، فكان^٦ يستغفر الله تعالى من تلك الغفلات . وهذا ضعيف ، وإنما كان صلى الله عليه وسلم يترقى في كل يوم فيجد .. مضى تقصيرا^٧ منه^٨ وليس ذلك تقصيرا^٩ منه صلى الله عليه وسلم . وقيل كان سببه^{١٠} ما اطلع عليه من أحوال أمته وما يكون بعده ، فكان يستغفر الله تعالى لهم . وقيل كانت دعواته وتعوذاته^{١١} وتضرعاته . ١٠ . واستغفاره قياما^{١٢} بحق وظيفة^{١٣} العبودية واعترافا بحق الربوبية لتقتدى به أمته صلى الله عليه وسلم ، فتستجاب دعوتهم وتقبل توبتهم . وقيل كان ذلك لمعنى لطيف أشار إليه بعض الفضلاء وهو استدعاء محبة الله تعالى .

(١ - ١) - اضافة من بن .

(٢) في بر : سبب . وصوابه كذا في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) العبارة - اضافة من بن « و يتلوها بياض في الأصل (بر) .

(٥) في الأصل (بر) : سبب . وصحته في بن .

(٦) في بن : والتعوذ .

(٧) في بن : قائما .

(٨) في بن : وضيقة .

قال الله تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"^١. قال بعض المشايخ: غفلتك عن التوبة لذنوب ارتكبتها شر من ارتكابه، ومن أخبرته المنية قبل التوبة فأمره إلى الله، فإن ربك لهذه مغفرة للناس على ظلمهم. ٣ وقيل التوبة تأتي ٣ ما لم يبلغ الروح الحلقوم، فإذا مات غلق عليه^٢ باب التوبة، حيث لا ينفع نفساً إيمانها^٣ لم تكن آمنت من قبل ٥ أو كسبت في إيمانها^٤ خيراً. وقال الفضيل^٥ بن عياض: لما عين قوم يونس العذاب قام رجل منهم فقال: اللهم! إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهل له ولا تفعل بنا ما نحن أهل له. فكشف الله [١٦٠: الف] عنهم العذاب. قال الله تعالى: ٥ الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ١٠ ومتعهم إلى حين^٦. قال ابن عطاء الله في كتاب لطائف المنن إن الفضيل بن عياض كان يقطع الطريق فخرج ذات يوم وإذا هو بقوم سفارة ومعهم ملح فسمع بعضهم يقول: جدوا السير لئلا يلقانا الفضيل

(١) قرآن كريم: ٢: ٢٢٢.

(٢) في بن: لأن الله تعالى يحب المتطهرين.

(٣-٤) في بن: ووقت التوبة يأتي.

(٤-٤) في بن: اغلق.

(٥) في الأصلين: نفس.

(٦) الكاتب هنا يقتبس من القرآن الكريم: ٦: ١٥٨.

(٧-٧) مطموسة في بن.

(٨) قرآن كريم ١٠: ٩٨.

ابن عياض فيأخذ ما معنا، فاعتم الفضيل لذلك و تفكر وقال: تخافى الخلق بهذا الخوف العظيم! فتقدم إليهم وسلم عليهم وقال لهم وهم لا يعرفونه: تكونون الليلة عندي وأنتم آمنون من الفضيل. قال: ففرحوا واستبشروا وذهبوا معه. فأنزلهم وخرج يطلب علقا فسمع ه قارئاً يقرأ "الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟". فصاح الفضيل وخرق ثيابه وقال: بلى قد آن قد آن! وكان هذا أصل توبته. وصار من الفضيل ما صار من العلم والزهد والورع والأخذ منه. ومناقبه مشهورة. وسأذكر شرح حاله فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

١٠ و يروى عن عبد الله بن سلام قال: لا أحدثكم بشيء إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل. إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أذنب العبد ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب يقول الله تعالى: يا عبدي! اعمل ما شئت فقد غفرت لك.

(١) في بن: تكونوا.

(٢) قرآن كريم ٥٧: ١٦.

(٣) في بن: وسياى.

(٤) في بن: ألا.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) من بن، وهى ساقطة من بر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة». وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق^١ فرجا ومن كل هم^٢ مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب». ٥

(١) في بن: هم.

(٢) في بن: ضيق.

(٣) زير في بن: [١٠٩: الف - ب]: وقال الله تعالى: «ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما» ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه» (قرآن كريم ٤: ١١١) و الاستغفار طلب المغفرة و طلب المغفرة ليس نفس التوبة فصرح سبحانه و تعالى في تلك الآية بأنه سواء تاب أو لم يتب فاذا استغفر غفرته ولم يقل في جانب المعصية و من يكسب اثما فانه يجد الله معذبا معاقبا بل قال فانما يكسبه على نفسه، فدللت هذه القنیهات على أن جانب الحسنه راجع عند الله تعالى.... (كلمات مطموسه بالترميم).... احسنتم لانفسكم و ان اساتم فلها فكأنه تعالى بالغ في إظهار أفعاله الحسنه.... (ترميم بآخر الصفحة انطمس به آخر السطر ثم تلاه في ١٠٩: ب ما يلي) إساءته لم يذكرها إلا مرة واحدة و كل ذلك يدل على أن جانب الحسنات راجع و قوله تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها» (قرآن كريم ٦: ١٦٠) ثم إنه تعالى زاد على العشرة فقال: «كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» ثم زاد عليه «والله يضاعف لمن يشاء». و أما جانب السيئة فقال: «من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها» و هذا تنبيه على أن جانب الحسنه راجع على جانب السيئة.

و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! لا تجعلني من أشقياء خلقك
المذنبين عندك ، ولا آخيب الراجين إليك ، ولا أحرَم الآملين
لرحمتك . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : الناس على ثلاثة أقسام :
قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم في الجنة قطعا ، و قوم تساوت حسناتهم
و سيئاتهم فلا يدخلون النار قطعا . و قوم غلبت سيئاتهم حسناتهم
فلا يدخلون في النار قطعا . قال الشيخ أبو محمد المرجاني : يحشر الناس
يوم القيامة على قسمين : مؤمن و كافر ، الكافر إلى النار ، و المؤمن
ينقسم قسمين : مُصرّ و غير مُصرّ . فالغير مُصرّ إلى الجنة . و المصر
ينقسم قسمين : مصر على الصغائر ، و مصر على الكبائر ؛ فالمصر على
١٠ [١٦٠ : ب] الصغائر إلى الجنة ، و المصر على الكبائر ينقسم على
قسمين : فاعل بها نادم عليها إلى الجنة . و الغير نادم عليها أمره إلى الله
تعالى يفعل به ما يشاء و هو أرحم الراحمين .

[الكبائر والصغائر -]

و سأذكر ٢ أيضا ما قيل في الكبائر و الصغائر ؛ إن شاء الله تعالى .
١٥ اعلم أن الكبائر الشرك بالله تعالى و الإلحاد و البدعة و قتل النفس بغير

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) العنوان غير وارد بالنص على ما ذكرناه في الحاشية الأولى من هذا
الجزء و أخذناه عن الهامش .

(٣) في الهامش : مطلب في معرفة الكبائر و عددهم . وفي بن : فلنذكر الآن
ما قيل - الخ .

(٤-٤) ساقطة من بن .

حق والزنا واللواط وقذف المحصنات والمحصنين بالزنا وعقوق الوالدين
المسلمين بقول أو فعل والفرار من الزحف رجل من رجلين في الحرب
وأكل^١ مال اليتيم ظلماً وشهادة الزور وأكل شهر^٢ رمضان عامداً
ومقاطعة الرِّحْم واليمين الفاجرة وأخذ أموال الناس^٣ من أى جهة
كان ومن سرق في ميزان أو نقص في كيل^٤ أو ميزان^٥ وتقديم الصلاة
بغير أوقاتها وضرب المسلم بغير حق^٦ وشم أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم متعمداً^٧ وتقديم على بن أبي طالب على أبي بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم ومن كذب على النبي صلى الله عليه وسلم متعمداً وكتمان
الشهادة من غير عذر وأخذ الرشوة والقيادة^٨ بين الرجال والنساء والسعاية
عند الظالم والسحر ومنع الزكاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر مع القدرة والوقعة في أهل العلم وإحراق الحيوان بالنار وامتناع
المرأة من زوجها بلا سبب والكذب والغيبة والنميمة والكبر

(١) في بن : وأكله .

(٢) في بن : أيام .

(٣) زيد في بن : ظلماً .

(٤) في بن : مكيال .

(٥) « أو ميزان » ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحق .

(٧) في بن : معتمداً .

(٨) من بن ، وفي بن : القيادة .

والعجب والحقد والحمد والغل والبغى والسرقة والهزؤ والربا
وشرب الخمر . وقد قيل^١ ليس في المعاصي الفرعية معصية هي أشد من
معصية الربا . روى أن رجلا رأى سكرانا ينطّ في ضياء القمر ويقول:
أخذك يا قمر آخذك يا قمر - يكررها ، خلف الرجل حين رآه على هذه
٥ الحالة أنه لا معصية أشد من شرب الخمر . ثم أتى مالكا^٢ فسأله عن يمينه
التي حلفها ، فقال له مالك : أرى أن تحت فاني لم أجد في كتاب الله
عن رجل أعظم إثما من آكل الربا^٣ . قال الله تعالى " فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله^٤ " ولم يقل ذلك في غيره . عن أنس
ابن مالك قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم
١٠ شأنه وقال : " إن الدرهم يصيبه^٥ الرجل من الربا أعظم عند الله عز وجل
في الخطيئة من ست^٦ و ثلاثين زينة يزنيها الرجل . وأربا الربا عرض
الرجل المسلم . " وأما الزنا فقال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير أن
عبد الرحمن بن الصامت أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : جاء الأسلى إلى
نبي الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما .

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد في بن : انه .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٤) في هامش الأصل : الربا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٢٧٩ .

(٦) في بن : يصيب .

(٧) من بن ، وشى في بن : ستة .

[١٦١ : الف] قال ذلك أربع مرات ، كل ذلك يُعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُنِكَّتْهَا ؟ قال : نعم ، قال : حتى غاب ذلك منك في ذلك كما يغيب المروود في المسكحلة أو الرشا في البر ؟ قال : نعم ، قال : وهل تدري ما الزنا ؟ قال : نعم ، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا ، قال : فما تريد بهذا القول ؟ قال : أن تطهرني ؛ فأمر به فرُجم . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجمَ رُجم الكلب . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما ثم سار حتى مر بحيفة حمار شائلا رجله فقال : أين فلان وفلان ؟ قالوا : نحن ذا^١ يا رسول الله^٢ ! قال : انزلا فكللا من ١٠ حيفة هذا الحمار ! فقالا : يا بني الله غفر الله لك ! ومن يأكل من هذا ؟ قال : بما نلتما من عرض أخيكما آتفا شر^٣ من أكل منه ، والذي نفسي بيده ! إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . رواه أبو داود عن الحسن ابن علي الحلواني . والأسلي المتقدم ذكره هو ما عزي^٤ مالك - انتهى .

* نعود إلى ما قاله أبو صالح عن أبي طالب المكي في الكبائر ١٥

(١) ساقطة من برو وردة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : يرسل .

(٤) في بن : أشر .

(٥) من هنا إلى « قال » في بن : فلنذكر الآن ما قيل في الكبائر . وفي =

و الصغائر . قال : الكبائر النطق باللسان و الإعمال بالجوارح و هما مجتمعان
 في بني آدم أربعة في الرأس و ستة في اللسان و اثنان في اليدين و أربعة
 في البطن ١ و اثنان في الفرج و اثنان في الرجلين و واحدة في جميع
 الجسد . أما التي في الرأس فالشرك بالله و الأمان من مكر الله و القنوط
 ه من رحمة الله و الإصرار على الذنب : و أما التي في اليدين ٢ فالسرقة
 و قتل النفس التي حرم الله . و أما التي في اللسان فقذف المحصنات و أيمان
 الغموس و شهادة الزور و الغيبة و النميمة و السحر . و أما التي في البطن
 فشرب الخمر و أكل الحرام و أكل الربا و أكل أموال اليتامى ظلماً .
 و أما التي في الفرج فالزنا و اللواط . و أما التي في الرجلين فالفرار من
 ١٠ الزحف إذا كانوا مثلي عدد المسلمين و المشي إلى ما لا يحل . و أما التي
 في جميع الجسد فمعقوق الوالدين .

و الصغائر ٣ أولها النظر بالعين إلى ما يجوز النظر إليه ، و اللس
 باليد ، و الغيبة بالمسلمين ، و الظن بالسوء ، و الحسد . و الكذب ، و الضحك
 بلا عجب ٤ ، و الأكل ٥ من غير جوع . و الكذب الذي ليس فيه
 = هامش ب : مطلب الكبائر .

(١) في بن : الباطن .

(٢) قدم ناسخ بن العبارة المتعلقة باللسان على التي تتعلق باليدين .

(٣) في الهامش : الصغائر .

(٤) الأغلب أن صحة الجملة : و الضحك بلا سبب .

(٥-هـ) في بن : بلا .

ضرر على المسلم ، و السماع ، الغناء ، و قعود الجنب في المسجد بغير عذر ،
و من هجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، و السكوت عند من اغتاب مسلماً ،
و البكاء عند المصيبة ، و لطم [١٦١ : ب] الحدود ، و الجلوس في مجلس
الفاسقين مؤسأ لهم ، و صلاة النافلة في 'أوقات النهي عنها' ، و الشراء و البيع
في المساجد ، و إدخال الصبيان و المجانين في المساجد ، و إضاعة المال ، ه
و إذا صلى يقوم و هم له كارهون ، و العبث في الصلاة ، و إذا تكلم
و الإمام يخطب يوم الجمعة ، و إذا تخطى^٢ رقاب الناس في المسجد ،
و إلقاء النجاسة على سطح المسجد و على طريق المسلمين ، و كشف العورة
في الحمام ، و السجود لغير الله تعالى^٣ ، و إذا نام^٤ مع ولده فوق سبع
سنين ، و قراءة القرآن جُنبا أو جائزاً . روى^٥ عن الأوزاعي في ١٠
قول الله عز وجل : " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها^٦ " . قال
الصغيرة التيسم و الكبيرة الفقهة - يعني^٧ أن الفقهة من الكبائر - انتهى .

(١ -) في بن : الاوقات المنهية .

(٢) في بر : تخطا .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : والد .

(٥) في بن : و روى .

(٦) قرآن كريم ١٨ : ٤٩ .

(٧) عبارة « يعني ان الفقهة من الكبائر » ساقطة من بن .

(باب الزنا و الشهادة على الزانى)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة أيضا :

و حَقَّ هذا من ذنوب تقدّمت

الذنوب تشتمل على الزنا وغيره ، فالزنا إذا ثبت بالإقرار و الشهادة
 ٥ أو الحمل حُدد الزانى و الزانية ، و إذا لم يثبت بذلك^١ كان على قاذفها
 الحدّ ، و ما يطلع عليه أربع شهود فى الزنا لا يكون إلا فى غاية
 الظهور ، و هذا أقلّ^٢ ما يحكى أن زنا يثبت بشهادة أربعة ، و إنما الواقع
 ثبوته بالإقرار و الحمل^٣ ، و ذلك لأن الزنا يلحق العار العظيم بالقباش
 ٢ فبالغ الشرع فى إخفائه ، فالأولى^٤ السر على فاعله .

١٠ قال العلماء : و يستحب للمسافر إذا قرب من وطنه أن يبعث أمامه
 من يخبر أهله بقدمه كيلا يقدم عليهم بغتة فهى السنة . و اعلم أنه
 من رأى رجلا يزنى بامرأة و رأى ذكره سالكا فى فرجها كالمرود
 فى المكحلة أو كالرشا فى البئر إن شهد بذلك بمفرده حُدّ حدّ القذف
 لأنه ربع النصاب ، و كذلك لو شهد بذلك شاهدان^٥ و ثلاثة و امتنع
 ١٥ الرابع حُدّ ثلاثة . كما امتنع زياد بن أبيه من الشهادة^٦ على المغيرة بن

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) العبارة مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى الأصلين : شاهدين . و الكلمة صححت بقلم غير قلم الكاتب فى بر .

(٤) من بن ، و فى بر : حدوا .

(٥) فى الهامش : حكاية لطيفة تتعلق بالشهادة على المغيرة بن شعبة بالزنا .

شعبة ، فحدّ الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه و سقط حد الزنا عن المغيرة . و ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه^٢ لما وليّ أبا موسى^٣ الأشعرى البصرة أمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة منها^٤ شهد عليه أبو بكر بالزنا ، وذلك أن أبا بكر لما قدم على عمر سمع صوته ، فقال : أبو بكر ؟ قال نعم^٥ ، ه قال : لقد جئت بشر^٦ ، قال : إنما جاء به المغيرة بن شعبة . ثم قصّ عليه أن المغيرة أتى أم جميل امرأة^٧ من بنى هلال وكان لها زوج قد هلك قبل ذلك يقال له [١٦٣ : الف] الحجاج بن عتبة^٨ ، فكان المغيرة يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه ، فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها و قد وضعوا له الرّصد ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا^٩ فكشفوا السرّ فأروه قد واقعها ، فقدم المغيرة على عمر فدعى بالشهود فشهد أبو بكر^{١٠} و معبد بن شبيب^{١١} الجهني و نافع بن عبيد أنهم رأوا ذكره

(١) من بن ، و في بر : فحدوا .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : أبو موسى ، صححت إلى « أبا » بقلم غير قلم الكاتب في بر .

(٤) في بن : حين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : عقبة .

(٧) في بن : أبو بكر .

(٨) في بن : شهيل .

في فرجها كالمرود في المكحلة ، وكان المغيرة لما قدم على عمر قدا تزوج امرأة من بنى مُرة ، فقال له عمر إنك لفارغ القلب ، ثم شهد الشهود الثلاثة على المغيرة بالزنا . ولم يكن زياد بن أبيه حاضرا ، فلما حضر لتكميل الشهادة قال له المغيرة : ٢ اتق الله في أمري ! فانك لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت فرجىء سالكا في فرجها ، فأل عمر زيادا بما ذا يشهد ، فقال : رأيت القس العالي و الاضطراب و رجلاها على كتفيه كأذنى حمار ، و ما أعلم ما وراء ذلك . قال عمر : الله أكبر ! و أسقط الحد عن المغيرة لأجل التقاصر في الشهادة عن عدد الأربعة . وكان عمر قال للمغيرة بعد شهادة أنى بكرة : ذهب ربك يا مغيرة ! فلما شهد ١٠ الثانى قال : ذهب نصفك . فلما شهد الثالث قال : ذهب منك النصف و الربع ؛ و توقف الامر على شهادة زياد حتى يكمل نصاب الشهادة فيرجم المغيرة* لإحصائه . و الإحصان أن يتزوج الرجل امرأة نكاحا صحيحا و يطأها^٦ و طئا مباحا . فلما توقف زياد عن عدم^٧ رؤية فرجه في فرجها حد

(١) في الأصلين : وقد . و تستقيم العبارة بحذف واو العطف .

(٢) زيد في بن : لما .

(٣) زيد في بن : يا زياد .

(٤) في بن : ذكرى .

(٥) زيد في بن : بالحجارة حتى يموت .

(٦) في بن : و يطؤها .

(٧) زائدة في بن .

عمر الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة حد القذف^١ . فقال المغيرة لهم^٢
عند ذلك : الحمد لله الذى أخزاكم . فقال عمر : أخزى الله مكانا
رأوك فيه^٣ .

سئل بعض المفتين عن محصن خلا بأجنبية فاستمتع بها غير الفرج
و الدبر فما يجب عليه ؟ فقال : هذا إذا^٤ لم يظهر أمره فليستر نفسه^٥
و ليتب إلى الله توجهها و ليجهد فى العمل الصالح الذى يمحو به السيئات ،
فان لم يفعل^٦ ذلك استحق عقوبة بليغة - والله أعلم^٧ . و الإحصان أن
يتزوج امرأة نكاحا صحيحا و يطؤها وطئا صحيحا ، فان زنى^٨ بعد ذلك
وجب عليه الحد ، و حده الرجم إلى أن يموت . وكذلك المرأة المحصنة
إن زنت رُجمت إلى أن تموت .

١٠

(١) فى الماشى بخط غير خط ناسخ « بر » ما يلى : ذكر النووى فى تهذيب
الأسماء و الألقاب أن المغيرة كان عاقدا نكاحه سرا على المرأة المرقومة لأمر
اقتضته المصلحة فى شأنه ، و كان عمر لا يقبل نكاح السر ، فشهد من شهد بحق
على حسب ما رأى . و الحال أن المغيرة كانت المرأة فى عقده ، و لم يحصر على
إظهار ذلك بين يدي أمير المؤمنين سيدنا عمر لعلمه عدم قبوله ذلك بحسب
اجتهاده . فالصحابة جميعا رضى الله عنهم عدول لا سيما أبوبكرة و نافع .

(٢) : ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : انتهى .

(٤) فى بن : يمحى .

(٥-٥) فى بن : علم .

(٦) زيد فى بن : بالصواب .

(٧) من بن ، و فى بر : زنا .

و اعلم أنه لا يجب على الشارب أو الزاني إذا تاب تسليم نفسه
 للقصاص ١ . بل الأولى له السر على نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله ، من أصاب من هذه
 القاذورة ٢ شيئا فليستر بستر الله فانه من [١٦٢ : ب] بيد لنا ٣ صفحته
 ٥ « تم عليه كتاب الله » - خرجه مالك في موطنه ٤ . قال ابن الموان في
 شاهدين تقلا عن أربعة أنهم أشهدوه ٥ « بأن فلانا زنى فلم يحد الناقلان ٦
 عنهم حتى قدم الأربعة فأنكروا أن يكونوا أشهدوه بذلك » فان الأربعة
 ٧ يحدون لأن محصول شهادة الناقلين تضمنت أن الأربعة ٨ قذفوا هذا
 الرجل بالزنا . قال أبو عبيد الله محمد بن عبد السلام قاضي الجماعة
 ١٠ بتونس ٩ في شرحه الذي وضعه على مختصر ابن الحاجب في الفقه : إن
 بيّنة الزنا شرطها ١١ أربعة ذكور مجتمعين غير متفرقين يشهدون بزنا واحد
 ورؤية واحدة أنه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة ، فطلب

(١) في بن : لقصاص .

(٢) في بن : القاذورات .

(٣) في بن : بيد .

(٤) في بن : قفه .

(٥) في بن : موطنه .

(٦-٦) مطموسة بالترميم في بن . وفي الأصل (بر) : زنا - مكان : زنى .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن [١١١ : الف] : بمدينة تونس .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

الشرع في شهود الزنا ما لم يطلب في غيره من الحقوق والحدود .
 قيل وإنما ذلك لقصد الستر ودفعاً للعار الذى يلحق الزانى والمزنى بها
 وأهلها ، واكتفى^١ في القتل بشاهدين وإن كان القتل أعظم جرماً
 من الزنا ، ودل قوله تعالى ”والتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
 عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت^٢“ على طلب^٣ ٥
 العدد الخاص في الشهادة . والمنسوخ من هذه الآية هو الحبس في
 البيوت ، وذلك قوله تعالى^٤ في آية القذف ”والذين يرمون المحصنات
 ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة“ ، وقوله ”لو لا جاءوا
 عليه بأربعة شهداء فان لم ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون“^٥ .
 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة^٦ قال سعد بن عباد : يا رسول الله !
 لو وجدت مع أهلى رجلاً لم أمسه حتى آتى بأربعة شهداء ! قال رسول الله

(١) كذا في بن : وهى في بر : واكتفا .

(٢) قرآن كريم : ٤ : ١٥ .

(٣) في بن : غلب .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٦) قرآن كريم : ٢٤ : ١٣ .

(٧) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

(٨) في الأصلين : يرسول .

صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا^١ ما يقول سيدكم^٢ إنه لغير و أنا أغير^٣ منه والله أغير مني . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إني لغير و ما من امرئ^٤ لا يغار إلا منكوس القلب . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليغار ! ومن غيرته حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . »
 ٥ عن عتي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ! كن غيورا^٥ فإن الله يحب الغيور . » وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن^٦ المؤمن يغار . » فنسب الغيرة إلى الإيمان بقوله « إن المؤمن يغار . » والطريق المعنى عن الغيرة أن لا يدخل الرجل على زوجته الرجال ولا يخرج هي^٦ إلى الأسواق . قال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : أى شيء خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلا ولا رجل^٧ يراها . فضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه^٦ وقال : « ذرية بعضها من بعض^٨ » واستحسن قولها - انتهى .

(١) زيد في بن : يا أصحاب لى .

(٢) زيد في هامش بن : أراد بالسيد سعد بن عبادة وهو رئيس قومه .

(٣) زيد بين سطور بن : أى لم أتركه حتى يكون مساء ولم أمهله .

(٤) في الأصلين : امرء .

(٥-٥) في بن : وقال صلى الله عليه وسلم .

(٦) زائدة في بن .

(٧) في الأصل : رجلا . والكلمة صححت بقلم آخر ، وهي زائدة في بن .

(٨) قرآن كريم : ٣ : ٣٤ .

[١٦٣: الف] نعود - ولا خلاف في طلب الأربعة في شهادة الزنا. ويجوز للعدل الذي تقبل شهادته أن ينظر إلى عورتى الرجل والمرأة في الزنا وإلى الصفة لستم الشهادة بشرط أن يكون معه ثلاثة غيره وكلهم عدول، لأن من لا تقبل شهادته فلا فائدة في نظره 'فيبقى نظره' على وجه التحريم ولا ينظر العدول إلا إلى مغيب الحشفة' ويكفوا عن النظر عما عداه لأنه القدر الذى تدعو الضرورة إليه.

قال أبو محمد بن أبي زيد القيروانى فى كتاب الرسالة فى الفقه: ومغيب الحشفة فى الفرج يوجب الغسل ويوجب الحد ويوجب الصداق ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم - فذكر سبعة، وذكر غيره من العلماء ستة عشر وجها: 'يوجب الحد ويوجب الصداق ١٠ ويوجب العدة ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم ويوجب الغسل ويزيل لعنة ويزيل الإيلاء ويفيت البيع الفاسد فى الأمة ويوجب القيمة على الأب فى جارية ولده ويسقط الخير على السيد فى أمة مكاتبه ويفيت الاعتصار' ويوجب القيمة

(١ - ١) ساقطة من بن.

(٢) فى بن: الحشفة. وفيما بعد: الحشفة وفى هامش بر: الأحكام التى تجب بغيوبة الحشفة.

(٣) زيد فى بن: عبد الله.

(٤) ساقطة من بن، وزيد بها: فقال ومغيب الحشفة على سبعة عشر وجها يوجب الغسل ويوجب الحد - اخ.

(٥) فى بن: الاعتصار

في الجارية المحلّة ويفيت الرد بالعيب . 'وقيل إن مغيب الحشفة في الفرج
يوجب تسعة وتسعين^٢ حكما ، ولولا الإطالة لذكرتها هنا ، من أرادها
فليطالع شرح الرسالة للزناي^٣ - انتهى .

نعود - ولا تقبل شهادة الأولاد الأربعة^٤ على أبيهم المحصن بانه
ه زنى^٥ وكان له مال ، لأنه إذا رجم^٦ ورثوه فيتهموه^٧ أن يقصدوا إلى
ه استعجال ماله^٨ . فاذا لم يكن له مال أمنت هذه التهمة . وقيل^٩ لا تقبل
شهادتهم على أبيهم الفقير لأنهم^{١٠} يدفعون بذلك النفقة التي^{١١} تجب عليهم
بفقدته ، فكذلك يتهمون على دفع المضرة^{١٢} عن أمهم لما تقاسيه من
ألم ضررتها لها .

١٠ . واختلف العلماء في شهادة الزوج لزوجته والزوجة لزوجها ، فقال
مالك وأبو حنيفة : لا تقبل شهادة كل واحد منهما لصاحبه ، وقال الشافعي ،

(١) العبارة من هنا إلى « نعود » ساقطة من بن .

(٢) في الأصل : وتسعون .

(٣) كذا في الأصلين . ولعله : الزناي - راجع الإكمال ٤ : ٢٣٥ .

(٤) في هامش بر : شهادة الأولاد على أبيهم بالزنا .

(٥) من بن ، وفي الأصل : زنا .

(٦) في بن : زنى .

(٧) في بن : فيتهموا .

(٨-٨) في بن : الاستعجال لماله .

(٩) في بن : وقد .

(١٠-١٠) مطموسة بالترميم في آخر الصفحة .

(١١) في بن [١١١ : ب] : الضرر .

بل تقبل ، وقال ابن أبي ليلي والنخعي : تقبل شهادة الزوج لزوجته ولا تقبل شهادتها له . فاعتبر مالك وأبو حنيفة التهمة التي تلحق كل واحد منهما بشهادة الآخر التي أثارها المودة كما قال الله سبحانه : ” ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها - ١] وجعل بينكم مودة “ . عن النعمان ٢ بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى [١٦٣ : ب] منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، . هذا في حق المؤمنين الأقارب والأجانب ، فكيف بالزوجة لزوجها ٣ والزوج لزوجته ٣ لما هما عليه من المودة والرحمة والمحبة ٤ . لكن رأى الشافعي أنها مودة عارضة نشأت عن عقد معاوضة . ورأى ابن أبي ليلي والنخعي ١٠ « أن الزوج ٥ لا كبير منفعة له بمال زوجته فالتهمة ٦ التي تلحقه بسبب شهادته لها ضعيفة وعدالتها تنفيها . وأما الزوجة فحقها في مال زوجها ثابت لوجوب النفقة عليها منه ، فالتهمة التي تلحقها قوية - انتهى .

نعود ٧ إلى ذكر شهود الزنا وكيف يقع لأربعة عدول رؤية الذكر

(١) من بن . قرآن كريم . ٣ : ٢١ .

(٢) في بن : النعمن .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) ساقطة من بن ، واردة في بن - ويكمل بها السياق .

(٦) في الأصلين : بالتهمة . وهو خطأ لفظي واضح ، صحته بإلقاء بدل الباء .

(٧) في الهامش : ليس للإمام أن يحكم بعلمه في الزنا .

في الفرج كالمروود في المكحلة في مكان واحد ووقت واحد وصفة واحدة ، وهذا مما يبعد وقوعه بل لا يكاد يقع أبدا . ومن العادة إخفاء هذا الفعل حتى من النهار والليل والصبي في المهد . ثم إن الإمام ليس له أن يحكم بعلمه في الزنا ، فإن حكم بعلمه فيه وجب عليه حد القذف وبطل حكمه . كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشي بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : رأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام . فقال عني بن أبي طالب : ليس ذلك لك ، إذا نقيم عليك الحد . ٣ إن الله تعالى لم يأمن على هذا الأمر ١٠ أقل من أربعة شهداء . ثم قال لهم مرة أخرى ، فقالوا مثل مقالتهم الأولى ، وهذا يشير إلى أن عمر كان مترددا في الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله . فلذلك راجعهم في معرض ١ * تفتوى لا في معرض الإخبار خيفة من أن يكون له ذلك فيكون قاذفا بأخباره وما رآه على أنه ليس له ذلك . وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر ١٥ الفواحش ، فإن أخفها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول الشاهدين

(١) في بن : فإن من .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : عليها .

(٣-٣) في بن : لأن المقتول .

(٤) كذا في بن . وهي في بر : معرض - بالصاد .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : أحسن .

ذلك منه في ذلك كالمرود في المكحلة ، وهذا لا يتفق قط ' وإن عليه
القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة في حسم
باب الفاحشة بإيجاب الرمي الذي هو من أعظم القربات . قال الله تعالى :
”والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون “ . ٥

حكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد سأل أبا ٣ يوسف القاضي
أحد أصحاب أبي حنيفة : ما تقول في إمام شاهد رجلا يزني بامرأة هل
يحدّه ؟ قال : لا . فقال الرشيد : من أين قلت هذا ؟ قال : لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال [١٦٤ : ألف] : « ادروا الحدود بالشبهات ،
وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال له : و أي شبهة مع المعاينة ؟ قال : ١٠
ليس يوجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون
إلا ' بالعلم ، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه . فانظر يا هذا إلى كشف
ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه .
فخرجوا أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ، ففي الحديث « إن الله
تعالى إذا ستر على عبده عورته في الدنيا فهو أكرم أن يكشفها ١٥
مرة أخرى ، ،

(١) من بن ، وفي بر : قط لا يتفق .

(٢) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٣) كذا في بن ، وهي في بر : أبو .

(٤) ساقطة من بن [١١٢ : ألف] .

(٥) زيد في بن : شاء .

واعلم أن الشفقة على خلق الله ' تعظيم ' لأمر الله ، ومن
ستر عباد الله ستره الله ، ومن تصدى لهتك سترهم يخاف عليه أن
يهتك ستره ٣ ولو يقول الزور ٢ ، كما هتكت ستور ٢ شهود الزور الذين
رموا العفيف المحصن بالفجور ، فخدوا بزورهم ، وسلم المشهود عليه من
فجورهم وشرورهم ٥ . وذلك أنه كان في زمن دانيال النبي عليه السلام ٥
ملك عنده حكيم عزيز ٦ فحده من حوله ٧ . وجاء ٨ إلى امرأة
مشهورة بالجمال في المدينة ، وكانت قد حبلت من الزنا . فحملوها على ٩
أن الحمل ١٠ من الحكيم . ورتبوا أربعة من مشاهير البلد يشهدون بالزنا
وكلهم من حدة الحكيم . فلما رُفع الأمر إلى الملك عظم عليه و شق ،
١٠ ونحير في الأمر و طلب الحق . واستعان بمن هو في الدولة ، فلم يكشف

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) في بن : تعظيما .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : صلى الله عليه وسلم . وبهامش بر : حكاية زور بالزنا وقعت في
زمن دانيال النبي عليه السلام وبراءة التهم منها .

(٦) زيد في بن : عليه .

(٧) في بن : يعوا .

(٨) في بن : وجأ .

(٩) زيد في بن : أن تقول .

(١٠) في بن : الحمل .

القصة ١ : أحد منهم ، فحبس الحكيم و توقف في الأمر مدة واشتهر الأمر في المدينة . وكان دانيال عليه السلام ابن اثنتي عشرة^٢ سنة فقال لآبيه ٣ : إن حُكِمْتُ في القضية لا كُشِفَ الأمر . فذكر أبوه ذلك للملك ، فأحضره و حكمه في القضية . فأمر^٤ دانيال باحضار الحكيم والمرأة و الشهود و قال للحكيم : أنت فعلت ما يقولون ؟ قال : لا ، فأمر^٥ أن يفرق بين الشهود و يحمل كل واحد منهم في بيت . ثم أحضر أحدهم فقال له دانيال : كيف كان الأمر ؟ فقال : إنه زنى^٦ بالمرأة . فقال : أين كان ؟ وكيف كان ؟ و ما لون الفراش الذي كانا عليه ؟ وكيف اجتمعتم أنتم على مشاهدة هذا القبيح ؟ فقال^٧ ما شاء الله . ثم رده و جاء بآخر و سأله^٨ عما سأل الأول . فاختلف كلاهما في المكان و الزمان و الكيفية . ١٠ ثم أتى بالثالث فقال له دانيال : الله أكبر ! قد أقر صاحبك بالحق و عفى عنهما . فان قلت كما قالوا و ثبت كما تابا فقد فزت . فشهد بالزنا مع اختلاف عظيم ، فردد إلى مكانه ، و أمر دانيال الملك^٩ أن يظهر الغضب

(١) في بن : القضية .

(٢) في الأصلين : اثني عشر .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وأمر .

(٥) من بن ، وفي الأصل : زنا .

(٦) زيد في بن : ومتى كان .

(٧) « فقال » مكررة في « بر » .

(٨) في بن : فسأله .

(٩) كذا في بن ، وهي في بر : للملك .

و يجرّد السيف . ثم أتى بالربع . قال : الله أكبر ! إن أصحابك [١٦٤ : ب]
 اثنان منهم أصرّا على الإنكار . و الملك عزم على أن يعاقبهما . و الثالث
 أقرّ بالحق ضعى عنه ، و أنت مختير بين الحق و الفلاح و بين الباطل
 و العذاب . تخاف الرجل و اعترف بالحق و ذكر كيفية الاجتماع و سبب
 ٥ الاعتراف ١ ، فرُدّ إلى مكانه . و جرى بالثالث ٢ ، و حكى له كيفية ٣ اجتماعهم
 و سبب اقرارهم ٤ . و كل ما قاله الربع حكى له فلم أنه اعترف عليهم
 فوافقه في الاعتراف . ثم أتى بهما و حكى لهما ما قال صاحبهما . فأقرّ
 بكل . فحدث المرأة و تشيود و سلم الحكيم . فانظر يا هذا إلى قذف
 أعراض تناس و ذكرهم لعيوب لم تكن ٦ . كيف حلّ بهم ما حلّ
 ١٠ من الشفاعة لذكرهم الفجور ، و شهادتهم الزور . قال ابن أبي زيد :
 يحدث للناس قضية بقدر ما أحدثوا من تفجور - انتهى ٧ .
 فلنذكر الآن خبر جريح . روى ٨ مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله

(١) في بن : الاقرار .

(٢) في بن : ثالث .

(٣) في الأصلين : كيف .

(٤) في بن : اقرارهم .

(٥) في الأصلين : قذفه و جائز أيضا أن تكون « وقذفهم » و في بن :
 الأعراض - فقط .

(٦-٧) في بن : الناس لما لم يكن لها أصل .

(٧) كذا في بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) ساقط من بر و وارد في بن . و بهامش بر : قصة جريح .

(٩) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

عليه وسلم قال: كان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة. فكان فيها
 فأنته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي!
 فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت:
 يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فانصرفت.
 فلما كان من الغد أتته فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي! فأقبل
 على صلاته فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات'.
 فتذاكر بنو إسرائيل جريحا وعبادته. وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها
 فقالت: إن شئتم لأفنتنكم لكم. قال: فتمرضت له فلم يلتفت إليها.
 فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها،
 فحملت. فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستزلوه وهدموا ١٠
 صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنت بهده البغية
 فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجأؤا به، فقال: دعوني حتى أصلي.
 فصلى ٢ فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه وقال: يا غلام! من
 أبوك؟ قال: فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به
 وقالوا: نبي لك صومعتك من ذهب. قال: لا. أعيدوها من طين ١٥
 كما كانت. ففعلوا - انتهى ٣.

(١) من ين [١١٣: الف]، وفي بر: الموسيات.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) ساقطة من بر واردة في بن.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ينبغي لأهل العصمة ' المصنوع إليهم ' في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب بالمعصية ' ويكون الشكر هو تغالب عليهم والحاجز عنهم ، فكيف بالغائب الذي عابه به وقد يذمه بذنب قد ارتكب ' مثله ، فإن لم يكن ركب ' ذلك ٥ الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه وفيما هو أعظم منه ، وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبر وعصاه في الصغر لجراته على عيب تناس [١٦٥ : الف] أكرر .

قال مالك بن أنس : كان بالمدينة أقوام لهم عيوب ، فسكتو عن عيوب الناس ، فسكت الناس عن عيوبهم ، و كان بها أقوام لم يكن ١٠ لهم عيوب ، فتكلموا بعيوب الناس ، فاخلى الناس لهم عيوباً - انتهى .

(١-١) في بن : أنهم .

(٢) كذا في الأصلين ، ولعله : والمعصية .

(٣) كذا في بن . وهو في بر : ركب .

(٤) في بن : يحب .

(٥) زيد ما يلي في بن : قال بعضهم :

عصيت الهوى طفلاً صغيراً فعند ما اتلنى اليبالى بالمشيب والكبر

أطعت الهوى عكس القضية ابتنى (١) خلقت كبيراً ثم عدت الى الصغر

فقال له والله هنيئاً له إن لم يكن كاسه أطاع الهوى في الحالين وما ازدحر .

ولم يكن في أن داع نفسه ليعتقها من حر نار ومن سقر .

(عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في المصراع الثاني من البيت المتقدم ذكره و هو :

« و قرع كؤوس الخرفى الثغر بالثغر ،

كان ينبغي له إبدال قرع برشف لأن القرع بالسن يخاف معه كسر ه
الزجاج و ثلم السن ، و الرشف قد يكون يرشفه تشارب بمصّه له من
أوله إلى آخره من غير كسر و لا ثلم . قال الشاعر :

و قرعته فكسرتة فأسال ما فيه عي ذراعتي و قيصي

و اعلم أن الكأس هو الذى ليس له عروة ٢ ، و الكوب الذى هو
بعروة و جمعه أكواب . و الثغر الأول هو ثغر الإسكندرية ٣ المجاور ١٠
للبحر الملح و جمعه ثغور ٣ . و الثغر الثانى تقع المحتوى على الريق ٤ .
و الظلم - بفتح الظاء المعجمة - ماء الأستان و صفاؤها . و اللمي سمة
الشفتين ٥ هو اللبس و الحوة . و الظمأ يابس فى الشفتين ٦ ، و العرب تستحب
ذلك . قال ذو الرمة :

لمياه فى شفتيها حوة كعس وفى اللثا وفى أنيابها شنب ١٥

(١) فى بن : أن يبدل .

(٢) زيد فى بن : و جمعه كؤوس .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : الطريق .

(٥) ساقطة من بن .

و الشنب طيب القم . قال الشاعر :

بأني أنت وفيك إلا شنب كأنما دُرّ عليه الزنب^١

أم زنجيل^٢ بارد مطيب

^٢ والزنب ههنا نبات طيب الرائحة . ومن أسماء الخمر الزنجيل .

٥ . والخمر لها أسماء كثيرة . قيل إن لها مائة اسم^٣ أحدها الزنجيل^٤ . وسيأتي

ذكر بعض أسمائها فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فمن^٥

شرب الخمر حُدَّ حَدَّ الشرب . لأنها حرام لما في الصحيح أن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه^٦ خطب فحمد الله^٧ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد .

ألا ! أو إن الخمر نزل تحريمها من خمسة أشياء من الخنطة والشعير وتتمر

١٠ . والزبيب والعسل . والخمر ما خامر العقل . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن كل مكر وقال : وكل مكر حرام . ومن شرب الخمر في الدنيا فوات

وهو يدمنها^٨ لم يتب منها لم يشربها في الآخرة . وقال : وكل شراب

أسكر فهو حرام . قال غير واحد من المتأخرين : لا يزكي الوصي مال

(١-١) الشطر الثاني من البيت ساقط من بر ، ونقلناه هنا عن بن .

(٢) كذا في بن . وهي في بر : أزنجيل .

(٣-٣) وردت هذه الجملة في بن بعد « الزنجيل » من العبارة التي تليها .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : فذكر بعض ذلك هنا اعلم أنه .

(٦) زيد في بن : أنه .

(٧) زيد في بن : تعالى .

(٨) في بن [١١٣ : الف] : مدمنها .

النصي الصغير حتى يُرفع إلى السلطان كما قال مالك : إذا وُجد في تركه ميت^١
 خمر^٢ فلا يريقها الوصي إلا بعد مطالعة السلطان لئلا يكون مذهبه
 جواز التحليل فيضمنه إن أراقها بغير إذنه ، فان قيل : هل استحالة الخمر
 إلى أن يصير خلا طاهرة أم لا ؟ قيل : لا يظهر شيء [١٦٥ : ب]
 من النجاسات بالاستحالة إلا شيان : الخمر^٣ و جلد الميتة^٤ ، فانها إذا انقلبت
 بنفسها خلا طهرت ، وإن خللت لم تطهر^٥ ، و جلد الميتة سوى جلد
 الكلب و الخنزير إذا دُبغ يطهر و يحل بيعه في أحد القولين من مذهب
 الشافعي رحمه الله^٦ . و يحزى غل سائر النجاسات كالخمر و البول
 و المذي^٧ و الودي^٨ و الدم و القيح و القيء و اللبذ و الكلب
 و الخنزير و ما تولد منها المكاثرة بالماء إلى أن يذهب . ١٠
 و ما لا يزول أثره بالغسل كالدم إذا غل و بقى أثره لم يضره
 ذلك - انتهى

(١) في بن : البت .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : خمر .

(٣-٤) ساطعة من الأصل (بر) ، و أخذناها عن بن و يكتمل بها السياق .

(٤) في هـ مشر بر بقلم غير فلم للتاسخ : مذهب مالك الطهارة على كل حال
 لا فرق بين تحللها و تحليلها .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) من بن ، وفي الأصل : و المذي .

(٧) في بن : الودي .

نعود - وقد يكون مذهب القاضي سقوط الزكاة عن "صغير". فان أبا حنيفة خالف في المسألتين . وقال بعضهم : إنما يلزم الرفع في البلاد التي فيها القاضي الحنفى ، وأما البلاد التي لا يكون فيها ولاية الحنفى كأرض المغرب فلا معنى للرفع ، فان أبا حنيفة إنما يخالف في بعض المحاجير وفي بعض الأموال وهو العين لا ما عدا ذلك - انتهى .

وسئل ٣ بعض المفتين في فأرة تقع في البئر ويطلع في الدلو من شعرها شيء ، فهل الماء طاهر وإن قل ؟ من قوله عليه السلام : "خلق الماء طهوراً" فقال : أما إذا كان الماء كثيراً فوق القلتين ولم يتغير بالنجاسة فانه طاهر عند جمهور الأئمة كمالك والشافعى وأحمد وغيرهم . فانه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : أتترضاً من بئر بُضاعة - وهى بئر يلقى فيها الخيض ولحوم الكلاب والنن ؟ فقال : الماء طهور لا ينجسه شيء . لكن إن تمغط من شعرها في البئر ففيه قولان : أصحهما أن شعرها طاهر لا ينجس الماء ، وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة . في إحدى الروايتين ، وهذا أصح

(١) في بر: أبى . وهى صحیحة في بن .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الواو ساقطة عن الكلمة في بن .

(٤) في الأصاين : المفتين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : في المشهور وكذلك شعر كل مية وشعر الكلب ونحوه طاهر عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في أحد الروايتين - الخ .

قولى العلماء . و أما إذا كان الماء قليلا دون القلتين و لم يتغير فيه قولان هما روايتان عن أحمد: أحدهما نجس و هو مذهب الشافعى ، و الآخر أنه طاهر و هو المشهور من مذهب مالك و أهل المدينة . فان نبع الماء حتى بلغ قلتين طهر؛ و إن لم يبلغ قلتين ففيه القولان و لم يتبين أنه نجس بل الأشبه أنه طاهر ما لم يتغير سواء كان قليلا أو كثيرا كذهب ه أهل المدينة ، و هو مذهب طائفة من أصحاب أحمد و غيرهم ، و قد رجحه طائفة من أصحاب الشافعى . و إذا كان الماء طاهرا فما أخذ منه فى الدلو فهو طاهر و إن كان فيه من شعر الميتة .

سئل ٢ بعض فقهاء الشافعية عن فسقتين فى كل واحدة منهما من الماء قلتان . قال فى الواحدة صبي ، و ولغ كلب فى الأخرى . ١٠ . فهل يجوز الوضوء منهما أم لا ؟ قال : أما الذى ولغ [١٦٦ : الف] منها الكلب فلا يجوز منها الوضوء ، لأنها بإبلاغه فيها نقصت عن القلتين . و أما الأخرى فيجوز الوضوء منها لأن القلتين لم تنقص . و إذا بلغ الماء قلتين لم تؤثر فيه النجاسة - و الله أعلم .

(١) فى بن : السنة .

(٢) فى بن : و سئل .

(٣) فى الأصلين : قلتين . و الكلمة مصححة فى بر بقلم آخر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥٠) ساقطة من بن .

(بطرس لوسنيان و الثغور الإسلامية)

وقد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن خرجنا^١ عن مريثة ابن أبي حجلة فلنعد^٢ إلى ذكر ما قاله فيها^٣:

و حقك لو لا أن للثغر حافظ من الله كان الثغر في حوزة الكفر .
 هـ حفظ الله تعالى بيمته و لرمه ثغر الإسكندرية من حوز أهل الكفر له .
 و أبقاه على ما كان عليه في حوز^١ المسلمين ، و أخرج منه سريعا ريرا^٢
 بطرس الكافر^٣ اللعين الضال^٤ المارق ، اللص السارق . فليله الحمد و الشكر ،
 والله المنة^٥ و الفضل . و جرت عادة اللصوص أنهم إذا سرقوا سرقة^٦
 يهربون بها^٧ سرعة كيلا يقبض عليهم^٨ ، فينكل^٩ بهم ، و تقطع أيديهم^{١٠}
 و أرجلهم^{١١} من خلاف^{١٢} . و القبرسي الملعون جمع من لصوص النصرانية

(١) يريد في بن : عما كناية من مريثة - الخ .

(٢) في بن : فأترجع .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : أيدي .

(٥) في بن : زير . انظر حاشية سابقة عن زير بطرس .

(٦-٦) في بن سقطت هاتان الكلمتان .

(٧-٧) في بن [١٩-ب] : و المنة .

(٨-٨) في بن : هربوا .

(٩) في بن : وينكل .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

وأتى بهم إلى الإسكندرية ، سرقوا أثاثها على حين غفلة من حمانها .
 فلو أقام الملعون بها حلّ به من جيوش الديار المصرية كل بلية ١ . لكن
 الأمر صار ٢ إلى غير أهله بولاية الأمير جنغرا و قلة جنده و جهله بتدبير
 الأمور و عدم معرفته بمواقع الحروب . فحصل التفريط بولاية ٣ ضعفاء
 الرجال كبار الأعمال . فعلم اللص من أين يدخل يسرق . فدخلها سرقها ٥
 و هرب عنها خوفا من كبسه جيش مصر عليه يهلكه لو أدركه بها ٥ .
 فلو كان ملكا قويا شهما جرثا أقام بها و ناضل عنها كفعل الملوك حين
 ظفروهم بالمدن ، ولكنه خيس ضعيف القوى ، سرق و هرب ، خوفا من
 العطب . و قد قيل إن ملوك النصرانية لامته على هروبه من الإسكندرية
 و قالوا له : إن الذي فعلته فعل اللصوص لا فعل الملوك . كنت لما ملكتها ١٠
 أقت بها و ناضلت عنها كما فعلت الجنوية بطرابلس الغرب ، ولكن
 دخلتها لصا و خرجت منها ٢ لصا ، و ذلك لعدم قدرتك على مقابلة
 سلطان ٦ مصر ، فَبَيَّنْتَ ٧ لصوصتك عند سائر ملوك العصر و سائر أجناس

(١) في بن : مصيبة و بلية .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : بوليته .

(٤) زيد في بن : بها . و أسقطت بعد « ادركه » .

(٥) زيد في بن : اقله جيشه و ضعف بطشه .

(٦) في بن : جيش .

(٧) في بن : ثبت .

الرومانية ، فَأَسْقِطَ من ديوان الملوك عند القيسين والرهانية . فقال :
وكيف أَسْقِطُ وقد نصرتُ الملة المسيحية وملكنت مدينة أنطاكياء
ببر التركية من أهل الملة المحمدية ورجالي ٢ الآن بها مقيمة ، وأحوالى
بظفرى بها مستقيمة . فقالوا له : إنك ما قدرت عليها ٣ إلا لقلته رجالها ،
و ٥ وضعف حالها . فما كان يكون لك همة عليّة . إلا لو أقت بالإسكندرية ،
فكنت تكون بين الملوك أظهر ٤ ، لمدينة كانت ٦ ملوك حمير ، ثم [١٦٦ : ب]
دثرت فأنشأها الإسكندرية ٧ ، فهي أكبر غصة الملوك ٨ ، لو أقت بها
كنت كالواسطة بعقود الملوك ٩ . فلما سمع القبرسى مقالتهم . عزّ عليه
ملامتهم ، وكشف ١٠ رأسه ، وخلع من رجله مداسه ١١ ، وحلف بالمسيح

(١) في بن : انطاليا .

(٢) زيد في بن : الى .

(٣) في بن : على انطاليا .

(٤) زيد في بن : ورددتها الى حالها الأصلية من ان مدكتها الملة المحمدية .

(٥) في بن : الملك الأظهر للملك .

(٦) زيد في بن : أولاً .

(٧) زيد في بن : وصارت من بعده لللك قيصر و الآن .

(٨) في بن : ملوك بنى الأصفر .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : كشف . سقوط واو العطف .

(١١) في بن : نعله .

ابن مريم ، والإنجيل المكوّم ، وبكل صليب وراهب ، اوقيس ليس هو عن كنيسته أصلا بغائب ^١ . لا غطي ^٢ رأسه ولا لبس ^٣ مداسه حتى يملك بلدا ببرّ المسلمين . ولو أقام بالسنين . ويغزو الغزو العنيف . إلى أن يزور بقائم سيفه كنيسته ^٤ قامة التي هي بالقدس الشريف ^٥ . فجمع الشقي المشؤم ^٥ . من أقاليم الروم ، كل كافر مذموم ^٦ . وقصد طرابلس الشام ^٥ في أوائل سنة ثمان وستين وسبع مائة . فأرسل الله عليه ريحا عاصفا كسر ^٧ من مراكبه بضعة عشر مركبا . فغرق من فيها وتفرقت بقية المراكب . فنها سالم وعاطب . ثم لما كان في أوائل سنة تسع وستين وسبع مائة أتى أيضا إلى طرابلس الشام . فقتل ^٨ المسلمون من رجاله كثيرا . فرجع الملعون إلى جزيرة قبرس خائبا ^٩ مقهورا . وسيأتي فيما يرد من ^{١٠}

(١ - ١) في بن : وقيس للأناجيل والزماير كاتب .

(٢) في الأصلين : غطا .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من برو واردة في بن .

(٤) بياض في بن .

(٥ - ٥) في بن : القدس الشريف .

(٦) في بن : المذموم .

(٧) في بن مشؤم .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) زيد في بن : صرصر .

(١٠) في بن : فكسر .

(١١) في بن : تفرق .

(١٢) في الأصلين : فقتلت .

(١٣) في بن : خائبا .

هذا الكتاب ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى
فلنرجع إلى مريثة ابن أبي حجلة :

و حَقَّ إن لم تستفق لقتالهم جرى ما جرى منهم على^١ الثغور في مصر
يعنى أنه لم تتيقظ و ننتبه من الغفلة التي مضت . و تسد الثغور بالجيوش
٥ المانعة ، و الأسلحة القاطعة . تمنع عن تغري الإسكندرية و دمياط مبتى^٢ مصر ،
و إلا يخشى على مصر من اجتماع كلمة الإفرنج و إتيانهم للثغرين المذكورين^٣
بمجموعهم . و ما يعلم أى الأمر يكون منهم ، لأن الحرب سجال ، يوم لك
و يوم ما عليك ، فالله تعالى ينصر المسلمين على^٤ القوم الكافرين . و اعلم أن حفظ
الثغور يكون بالرجال الأبطال ، لا بالأسوار^٥ تطوال . كما قال الشاعر :

١٠ عليك بسور من رجال فأننى رأيت حصوناً من حديد تهدمت
و كما قال الآخر :

حبست^٦ سياج الدار يحمى عدااتها و ليس سياج الدار إلا رجالها^٧

[في الرباط و المراقبة]

قال عمر بن الخطاب رضى الله^٨ عنه : سمعت رسول الله صلى الله

(١) ساقطة في بن .

(٢) في الأصلين : مبتدأ . و صححت في بر بقله آخر .

(٣) مكررة في بن .

(٤) في بن : الفرنج .

(٥-٥) مطموس في بن بالترميم .

(٦) في بن : الرجال .

(٧) زيد في بن [١١٤ : الف] : تعالى .

عليه وسلم يقول « إذا فتح الله مصر فاتخذوا فيه ^١ جيشا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم في رباط إلى يوم القيامة ^٢ » .

وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حرس ليلة في سبيل الله لم ير النار بعينه إلا تحلة ^٣ القسم ، ^٥ فان الله تبارك وتعالى قال ^٤ : ” وان منكم إلا واردها “ [١٦٧ : ألف] وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رباط ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ^٦ ليلة يقوم ليلها لا يفتر ويصوم نهارها لا يفطر » . وقال عليه السلام : « من رباط فواق ناقة ^٧ حرمه الله على النار » . وفواق ناقة ^٨ هي ^٩ قدر ما تحلب ، والرباط شعبة من الجهاد . وبقدر خوف ^{١٠} أهل الثغر وتحزم من عدوهم يكون كثرة ثوابهم . وقال عمر :

(١) في بن : منها .

(٢) في الأصلين : يرسل .

(٣) في بن : القيمة .

(٤) كذا في بن ، وفي بر : حلة - صححت بقلم آخر إلى : تحلة .

(٥-٦) في بن : قال الله تعالى .

(٦) قرآن كريم ١٩ : ٧٠ .

(٧) في بن : القى .

(٨-٩) ساقطة من بن .

(٩) في بن : هو .

(١٠) ساقطة من بن .

فَرَضَ الجِهَادَ لِسَفْكَ^١ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ . وَ الرِّبَاطَ لِحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلَ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ . وَ يَنْبَغِي لِكُلِّ
قَوْمٍ أَنْ يَرَابِطُوا فِي نَاحِيَتِهِمْ ، وَ يُمْسِكُوا سَوَاحِلَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكَانًا
يَخَافُ مِنْهُ . وَ سَأَلَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ^٢ عَنْ سَكَانِ الثُّغُورِ وَ السَّوَاوِجِلِ
هـ بِالْأَهْلِ وَ الْوَلَدِ قَالَ : لَيْسُوا بِمِرَابِطِينَ ، وَإِنَّمَا الرِّبَاطُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مِزْلِهِ
مَعْتَقِدًا لِلرِّبَاطِ فِي مَوْضِعِ الْخَوْفِ - ذَكَرَهُ ابْنُ يُونُسَ . وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
« إِنْ اللَّهُ^٣ جَعَلَ رِزْقِي فِي ظِلِّ رَحْمِي^٤ ، وَلَمْ يَعْثُرْ تَاجِرًا وَلَا زَارِعًا .
وَ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ^٥ عَنْهُ : مَنْ زَرَعَ فَاحَصَهُ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ
جُعِلَتْ أَرْزَاقُهَا فِي أَسْتَةِ رِمَاحِهَا مَا لَمْ يَزْرِعُوا ، فَإِذَا زَرَعُوا كَانُوا مِنَ
النَّاسِ . وَ سَأَلَنِي فِيمَا يَرُدُّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ذِكْرَ الْمَزَارِعِينَ وَ الشُّفَقَةِ^٦
عَلَيْهِمْ^٧ وَ ذَكَرَ^٨ الْقَمْحَ وَ الشَّعِيرَ وَ فَضْلَهُمَا^٩ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^{١٠} .

(١) فِي هَامِشٍ بِرَقْمٍ آخَرَ : الْإِلَامُ لِلْعَاقِبَةِ وَ الصِّرُورَةُ إِذْ الْعَلَةُ فِي فَرْضِهِ هُوَ
إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ .

(٢) زَيْدٌ فِي بَنٍ : تَعَالَى .

(٣) زَيْدٌ فِي بَنٍ : عَزَّ وَ جَلَّ .

(٤) فِي بَنٍ : رَحِمِي .

(٥) زَيْدٌ فِي بَنٍ : تَعَالَى .

(٦) فِي بَنٍ : فِي الشُّفَقَةِ .

(٧) زَيْدٌ فِي بَنٍ : وَ الْفَرْقُ بِهِمْ .

(٨) زَيْدٌ فِي بَنٍ : مَا قِيلَ .

(٩) فِي بَنٍ : مِنَ الْفَضْلِ وَ الْمَدْحِ .

(١٠) وَ يَلَاظُ أَنَّهُ لَمْ يَرُدِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ذِكْرَ فِي أَصُولِ الْكِتَابِ .

وقد جاء في الرباط بالإسكندرية^١ فضل كثير،^٢ وسأذكر لمعا من ذلك إن شاء الله تعالى^٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه^٤ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام مرابطا من غير رياء بمنزلة من عبد الله عز وجل سبعين سنة» ما بين الروم والعرب،^٥ عن سعيد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإسكندرية وعسقلان عروستان من عرائس الجنة، والإسكندرية أفضلهما، وإنها لتأتي يوم القيامة^٦ تزفت بأهلها^٧ إلى بيت المقدس»، فمن رباط بالإسكندرية أربعين يوما كتب الله له عتقا من النار وأمن من العذاب. وإن خيار أهلها أفضل من أشرف غيرها، وأشرافها خير^٨ وأفضل^٩ من أشرف غيرها، وهي مدينة ١٠ ذى القرنين. يبعث الله تعالى منها سبعين ألف شهيد وجوهم أضوأ من القمر ليلة البدر، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط،

(١) في هامش بر: فضائل اسكندرية وأهلها والرباط فيها.

(٢-٣) في بن: فلنذكر الآن لمعا من ذلك.

(٣) زيد في بن: تعالى.

(٤) في بن: عاما.

(٥) في بن: وعن.

(٦) في بن: القيمة.

(٧) في بن: أهلها - بسقوط الباء.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) في بن: أفضل!.

و يشفع في سبعين ألفا من أهل بيته و أقاربه و جيرانه و أصحابه و أحبابه ،
 فطوبى لمن يسكنها ' و يرباط بها و يقصد فيها عبادة الله عز و جل و يأكل
 رزقا حلالا و يصلى صلاة خالصة ! و هى فى الكتب يعرفها أهل العلم
 تسمى الخضراء ، و اسمها فى الزبور [١٦٧ : ب] ' البيضاء ، و اسمها فى
 ٥ التوراة المذمبة ، يعث الله منها سبعين ألف شهيد و جوههم على صورة
 القمر ليلة البدر ، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط ، و يشفع
 كل واحد منهم لسبعين ألفا ٣ ، فطوبى ' لمن رباط فيها !

عن سليمان * الأعمش قال : حدثنا مولى عمر بن عبد العزيز ، قيل له
 يا أمير المؤمنين ! ألا أحدثك بحديث ؟ قال : بلى ، قال : حدثنى أبى عن
 ١٠ جدى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال « مدينتان من مدائن الجنة
 و هم مدائن العدر و أنهما سيفتحان على أمتى : أحدهما من مدائن الروم
 يقال لها الإسكندرية ، و الأخرى من مدائن الديلم يقال لها قزوين ،
 فمن رباط ٤ فى إحداهما ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، .

(١) فى بن : بسلكتها .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصلين : الف .

(٤) فى بن : و طوبى .

(٥) فى بن : و عن سليمان .

(٦) فى بن : قال .

(٧) فى بن : رباط .

(٨) فى بن : أحدهما .

قال: فاستوى عمر جالسا و كان مضطجعا^١ فقال له: الله! لقد حدثك بهذا الحديث أبوك عن جدك^٢ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الأنصاري: والله لقد حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^٣ كما حدثك يا أمير المؤمنين! ثم قال: اللهم اجعل قبري بالإسكندرية أو بقزوين! فوالله لو لا شغل أنا فيه لاتخذت دارا^٥ أو منزلا باحداهما.

عن خالد بن حميد قال: كان الضحاک بن مزاحم و عطاء السلي^٢ يقولان: الرباط بالإسكندرية و المبيت بها كان أحب إلينا من عتق رقبة من ولد إسماعيل^٤. قال: فكان عطاء يقول: إن بي من الشوق إلى الإسكندرية شوقا ما أستطيع دفعه و وصفه.

عن كعب الأحبار أنه^٥ قال: في كتاب الله عز وجل المنزل الذي أنزل الله^٦ على موسى بن عمران أن بالإسكندرية شهداء يستشهدون بيطحائها! هم خيار من مضى و هم الذين يباهى الله عز وجل بهم^٧ شهداء بدر. فيا لها من وقعة وقعة الإسكندرية! عن سعيد بن جبیر قال: إن الله

(١-١) في بن: فقال الله. و باقي الجملة مطموس بالترميم لآخر الصفحة.

(٢-٢) ساقطة من بن [١١٤ : ب] .

(٣) في بن: السلي.

(٤) في بن: اسمعيل.

(٥) ساقطة من بن.

(٦-٦) في بن: أنزل.

تعالى يباهى بأهل هذه الثلاث أرضين . أحدهما^١ قيسارية وأهل عسقلان
وأهل الإسكندرية ، كما يباهى هذه الثلاثة^٢ أرضين بالملائكة يوم الحج
الأكبر^٣ بأهل عرفة^٤ . عن صالح بن علي قال للربيع^٥ بن خيثم :
ما منعك أن تقاتل معي ؟ قال : ما كنت لأقاتلك ولا أقاتلك معك^٥ ؛
هـ فدُلّني على جهاد أو رباط . فقال : عليك بالإسكندرية أو قزوين . فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هـ^٦ : إن الله سيفتجهما^٦ على
أمتي ، وإنهما بابان من أبواب الجنة . فمن رباط فيهما أو في إحداهما^٧
ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . . عن عبد الله بن عباس
أ^٨ رضي الله عنهما^٨ قال : لأن أبيت ليلة بالإسكندرية على فراش وطيّ وطعام
١٠ طيب لا تدخل^٩ في [١٦٨ : ألف] رجلى شوكة ولا ألقي عدوا حتى انصرف
من الغداة سالما أحبّ إليّ من عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها في كل

(١) ساقطة من بن ، وفي بر : أحدهما .

(٢) الجملة ساقطة من بن .

(٣-٣) في بن : وبأهل عرفة .

(٤) في بن : الربيع .

(٥) في بن : حيك (!!) .

(٦-٦) في بن : إنها سيفتحان .

(٧) ساقطة من بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بن .

(٩) في الأصل (بر) : يدخل ؛ وصحتها في بن .

- عشر منها ليلة القدر بمقاديرها . عن نافع عن ابن عمر قال له رجل من أصحابه: أى المواضع أحب إليك ترابط فيها؟ فقال: الإسكندرية ، وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أحب الرباط إلى الله عز وجل رباط الإسكندرية لأنها تزف على الخلائق يوم القيامة »
- في صورة مدينة نورها يتلأأ مكلفة بالدرو الياقوت؛ وذلك لفضل ه
- شهادتها . عن عبد السلام بن عمر بن خالد عن أبيه قال: حدثنا أسيابنا عن أهل العلم وذكروه عن كعب الأحبار أنه قال^١: فتحت الإسكندرية ، قال: ليس ذلك يومها إذا جاءتها مائة سفينة على أثرها مائة سفينة ولم تزل تأتي ٣ مائة بعد مائة حتى تتم سبعائة سفينة يكملوا ألفاً وأربعائة سفينة
- يزلوا بساحل اسكندرية؛ فتلك الوقعة العظمى والطامة الكبرى والتي ١٠
- تشيب لها الأطفال الصغار و يسقط لها النساء الحوامل ! فطوبى ثم طوبى لمن أدركها! قال كعب الأحبار: والذي نفس كعب يده ليقتلن فيها من الخلق حتى يبلغ الدم عراقيب الخيل! فعند ذلك الشهادة العظمى .
- عن سفيان الثوري يذكر أن كعب الأحبار قال: ما على الأرض
- عباد^٢ أكرم على الله تعالى من عباد يشهدون^٣ بالإسكندرية ، فطوبى ١٥

(١) في بن : القيمة .

(٢) كذا في الأصلين ، ولعله : قيل .

(٣) وبالجملة بعض ارتباك لفظي وإن كان المقصود واضحاً وهي كذلك في كل من بروين .

(٤) في بر : الف . والكلمة مكررة في بن .

(٥) في الأصلين : عبادة .

(٦) في بن : يشهدون .

لمن رابط بها واستشهد فيها! وطوبى لمن صلى فيها صلاة^١ الخمس التماس فضلها! فطوبى لهم ثم طوبى لهم! عن أبي هريرة^٢ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة! طوبى لقوم يموتون على ساحل البحر يخرجون من قبورهم حتى يردون العرش^٣! فيقول الله عز وجل: لا حساب عليكم اليوم، انطلقوا مغفورا^٤ لكم وعانقوا الأبكار... .

عن طاوس^٥ اليماني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الم رابط في سبيل الله عز وجل^٦ على ساحل البحر له في كل يوم^٧ دعوة مستجابة... . عن محمد بن عباس أنه قال قال^٨ كعب الأحبار إني لأجد في كتاب الله عز وجل المنزل على موسى بن عمران عليه السلام: من رابط بالإسكندرية ضحوة^٩ ١٠ جعل الله له تاجا من ذهب فيه لؤلؤة تضيء ما بين المشرق والمغرب، باطنه المسك والكافور، والذي نفس كعب يده هذا مكتوب في

(١) كذا، والظاهر: الصلوات .

(٢) زيد بن: رضى الله عنه .

(٣) في بن: الفردوس .

(٤) في بن مغفور .

(٥) في بن: طاووس - والجملة السابقة مكررة هنا واستأنف الناسخ الكلام

في بن [١١٥ : الف] .

(٦ - ٦) - انقطة من بن .

(٧) زيد بن: له .

(٨) من بن . وفي بر « قال » الثانية ساقطة .

التوراة^١ ! عن ٢ ابن عمر^٢ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كبر على^٣ شاطئ^٤ بحر الروم تكبيرة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى والدار [١٦٨ : ب] الآخرة جعل الله في ميزانه يوم القيامة^٥ صخرة أثقل من السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحتهن . عن أبي هريرة^٦ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط اثني عشر يوما في سبيل الله آمن يوم القيامة^٧ من الفزع الأكبر ، ومن رابط أربعة وعشرين يوما أعطاه الله تعالى أجر الشهيد المشحط^٨ في دمه ، ومن رابط ثمانية وأربعين يوما جعل الله روحه في حواصل الطيور الخضر^٩ ترحل في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل تحت العرش ، . عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تقلد سيفاً ليلة الجمعة ١٠ مرابطاً في سبيل الله عز وجل لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، ثم مات بعد سنتين كتبه الله مرابطاً إلى يوم القيامة . عن كعب بن محمد قال :

(١) في بن : التورية .

(٢) في بن : وعن .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنهما .

(٤) ساقطة من بن ، ومن الممكن قراءة الكلمة التالية : بشاطئ .

(٥) في بن : القيمة .

(٦) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

(٧) في بن : المتشحط .

(٨) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر .

إرم ذات الحماد الإسكندرية - انتهى .

(إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨)

نعود - ولما كان في أواخر سنة ثمان وستين وسبعائة أشاعت
 ٥ الناس بالإسكندرية أن القبرسى جمع جمعا كبيرا من النصارى قاصدا
 الإسكندرية ، فارتقبه ٢ المسلمون وتهيأت له الترك المجردة بها ، وأبرزوا
 أسلحتهم التي بها يقابلونه ، وهي من السيوف المندبة و الرماح الخطية
 و الدرق اللطية ٤ و الدبابيس اللثة و الأظفار المسنونة ٥ و التراس المدهونة ٦
 و القسي الموتورة ٧ و الأعلام المنشورة ٨ مع ما هيؤه ٩ له من النبط
 ١٠ و المدافع و أكر الرصاص التي ترمى عليه بالمقامع ١١ ، مع المجانيق الغضبانة ،
 و الحجارة الصوانة ١٢ و الخيول المضمرة ، و الفرسان المنمرة ، و العساكر

(١) ساقطة من بن .

(٢) في هامش بن : سنة ٧٦٨ ، و اللمة « بالإسكندرية » ساقطة من بن .

(٣) في بر : فارتقبته ، و في بن : فارتقبت له .

(٤) كذا في بر ، وهي في بن : اللطية .

(٥) في بن : المردية .

(٦-٦) ساقطة في بن .

(٧) في بن : المحنية .

(٨) في بن : المشهورة .

(٩) في بن : هيوا .

(١٠) في بن : بالمقالع .

المسعودة، التي 'تلهب على لقائه كلهب النار' الموقودة . وقد صار على تلك العساكر الإسلامية المجردة بالإسكندرية^٢ البهجة و السرور ، والضياء و النور، ما يتعوضونه^٣ عن ظلمة القبور، و يجدون^٤ ثمرته في يوم الحشر و النشور،^٤ أظهرها ذلك ليروموا^٥ قتال القبرسي^٥ . إن حضر، يذيقونه بها العذاب الأكبر . و قد قلت في عساكر المسلمين و جيوش الموحدين آياتا و هي :

قد تجلّى على^٦ العساكر نور^٦ و ضياء و بهجة و سرور
عسكر قد حوى لكل سلاح ماله في السلاح أصلا نظير
إن رأيت السلاح^٧ خلت المنايا كأمات و حذتها محرور
أو رأيت القسي شاهدت سهما غايات مثل السحاب تمور^{١٠}
لم تزل في انحنائها راسخات^٨ فاذا عولجت^٩ فورداً نمر
قوسها دائم على كل حال مستمر مهيأ موتور

(١-١) في بن : صارت لقاؤه كالنار. وفي بر « تلهب » بدل « تلهب » .

(٢-٢) في بن : بهجة و سرورا و ضياء و نورا ما يتعوضونه .

(٣) في بن : و يجنون .

(٤-٤) في بن : أظهرها يروموا .

(٥) مكررة في بن .

(٦-٦) في بن : عساكر الاسلام .

(٧) في بن : السيوف .

(٨-٨) ساقطة من بن .

[١٦٩: الف] بهام مسقية إن تخطت عن قسيها ترى الشرار بطير
 معها من لوالب الجرخ مالو قابلتها الأسوار ذلك السور
 كم بها من مصفح من حديد زردياتها لها تقدير
 ثم يضاتها الصقيلة في الشمس عيون الفرج منا تغور^٢
 ٥ درقها اللط^٢ و الطوارق صا رت كرياض زهرها مشور
 ودبايسها مع الطبر الحد لها في جاجم تكسير
 'وبها من سناجق شبه سرو و عاليات أعلامهن حرير
 و خيول ما مثلها من خيول و رجال ضراغم و نسور
 و مجانيق قد رمت بحجار كجبال إلى الفرج تسير'
 ١٠ فرى الكافرين أمسوا حيارى و جناح لهم غدا مكسور
 'يا إله الورى دعوتك جهرا ان قلبى مما جرى مكسور'
 اشف قلبى بغزوة فى النصارى واتصر للإسلام أنت^٣ النصير
 فالقبرسى إن عاد مرة أخرى إلى الإسكندرية رأى فى نفسه كل

(١) فى بر: مهيئ، وفى بن: كواكب .

(٢-٢) مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى بن [١١٥: ب]: اللعا .

(٤-٤) الأبيات ساقطة من بن .

(٥-٥) ورد البيت فى بن و هو ساقط من بر .

(٦) فى بن: فانت .

مصيبة و بليّة قاله تعالى يخذله و يهلكه ، و يجعل النار الجحيم
مسلكه . فان عاد بخنوده نكس المسلمون^٢ لصلبانهم و بُنوده^٣ . و قد
قلت أياتا متفاثلا^٤ بها كما قيل الفأل^٥ موكل^٦ بالمنطق و هي :

إلهنا للمسلمين بالظفر من أعادى الله عبّاد الصور
فهم الإفرنج لما أن طفوا و بغوا صاروا على الأرض عبر
ه
سيوف المسلمين فاشتق^٧ كل قلب منهم^٨ بمن كفر
جُرّعوا كأس المنون إذ غدوا^٩ جيشهم مفلا قد انكسر
دُبحوا ذبحا فصاروا مثل ما يذبح بالسكين ثيران البقر
و غدا بعضهم في الأسر قد سُلت^{١٠} أعناقهم فلا مفر^{١١}
ما نجا منهم غلام بالذي قد جرى حتى يرد بالخبر
اذكر الآن الذي جمّعهم و بهم للفر إن جا و حضر
فهو كلب اجرب من قبرس في علوج طعم نيران سقر

(١-١) في بن : طريق .

(٢) في بن : نكست المسلمون ، و هي في بر : نكست المسلمين .

(٣-٣) في بن : صلبان أعلامه و بنوده .

(٤) في الأصلين : متفاولا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : موكل .

(٧) في بر : فاشتقا ، و في بن : واشتقى .

(٨) في بن : غدا .

(٩) في بن : صفر .

نحو نفر المسلمين فاغتنوا طرحا في الأرض من ضرب الطير
فالتوى قال ذا تفاؤلا قبل أن يأتى وللقال أثر
أسأل الله بحماه المصطفى سيد العالم من نسل مضر
[١٦٩: ب] أن يحقق كل ما قلته في النى للمسلمين قد عقر
ه اخرج ٢ اللهم أرض قبري واقتل اللهم جمع من كفر
وانصر الإسلام نصرا دائما أنت أولى من به الدين انتصر
ثم بعد ذلك ٣ ورد الخبر إلى الإسكندرية بأن الملعون قصد طرابلس
الشام، وفعل بها ما سيأتى ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى .

[مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢]

١٠ ولما كان في شوال سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة أتى الخبر إلى
الإسكندرية بأن البرنز أخو رير بطرس "صاحب قبرس" قتله، فقالت
أهل الجزيرة: لقد استرحنا من الفتن وآخذة^٦ لأموالنا بالقهر وتقريه

(١-١) في بن: ما قد .

(٢) ورد قبل هذا البيت: ولما كان في شوال . والجملة مشطوبة وقد جاءت
فيما بعد .

(٣) في هامش بر: في شوال سنة ٧٧٢ .

(٤) في الأصلين: اثنين .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن: ولاخذه .

للفرنسيين و فتكهم^١ في حريم النصارى بما لا ترضاه الأساقفة و لا^٢
القسيسون^٣ . فهلك^٤ و قضى و مضت روحه إلى نار لظى . و بما قيل
في أمثاله :

يا مالكا خذ من أتاك و غلّه . و اقصص أنامله و شق المنحرا
و اعلم بأنك ما ظفرت بمثله . فيمن مضى أو من آتى متأخرا^٥
ما كان إلا طينة ملعونة . بالرجس قد جُبلت و منها صورا
و قيل إن الملعون لما ظفر بالإسكندرية أرسل لابن عمه بجنوه
خمسائة^٦ من أسراها و أسرى غيرها ، و كان الذى بجنوه يهاديه
أيضا و يساعده على مقاصده ، و إن القبرسى بخل على أمرائه القبارسة^٧ ،
و كل شيء حصل له من الإسكندرية هادى^٨ بأكثره الملوك و أحرم^٩
أمراءه^{١٠} منه و قرب الفرنسيين . ثم إنه قال للقبارسة : أريد السفر بكم
إلى الشام أغازى أهله . فصعب ذلك عليهم ، لعدم احسانه إليهم ، و كانت
مقاتله تلك^{١١} تجبرا بهم . فاتفقوا مع أخيه البرنز عليه . و ذلك بعد

(١) في بن ، و فتكه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : القسيسين .

(٤) زيد في بن : الملعون .

(٥) في بن : قوة كثيرة .

(٦) زيد في بن : لعدم عطاياهم .

(٧) كذا في بن ، و هى في ير : هادا .

(٨) في الأصلين : أمراؤه .

(٩) زيد في بن : لهم .

وقعة^١ طرابلس و بلد اياس . و قالوا له : انظر ما يفعل بنا أخوك من
 عدم إحسانه لنا و تعرضه^٢ بنا للحرب^٣ مع نهبه لأموالك و أموالنا ،
 فان سمعت منا ما نقول لك من القول الذى فيه الصلاح كان لنا و لك
 الحظ الأوفر^٤ . قال : و ما هو ؟ قالوا : قد أكثر أخوك الفتن كما علمت ،
 ٥ ' و نهب أموالك و أموالنا^٥ بما هو يفعل ، و قصدنا الإراحة منه ،
 و^٦ تعصب لك^٦ و نملكك رقابنا لتخدم الفتن ، و نصلح مع صاحب
 مصر لتصير بضائعنا تباع بالإسكندرية ،^٧ لترجح فيها^٧ الفوائد القوية ،
 كما كنا أولا و نجبر فيها أيضا بضائعنا الكاسدة ، التى صارت بفعل
 أخيك فاسدة ، فما تقول فى ذلك ؟ قال : أخاف إن طاوعتم تغدرونى^٨
 ١٠ و تسلبونى و لا ترحونى . خلفوا له على الإنجيل الجليل^٩ أنهم ينصرونه

(١) فى بن : وقعت .

(٢) فى بن : بالحرب .

(٣) زيد فى بن : والعد الأكبر - و يتلوها كلمات مطمونة بالترميم .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : الراحة .

(٦-٦) فى بن : و تقوم معك .

(٧-٧) فى بن [١١٦ : الف :] لتحصل لنا .

(٨) فى بن : تغدروا بنى .

(٩) ساقطة من بن .

ولا [١٧٠ : الف] يَحْذِلُوهُ و لا يَسْلُوهُ ١ . فقال لهم : إذا كان ذلك فهيؤا لي جماعة أستعين بهم على قتله . ٢ فهيؤهم له ٣ ، فكتب كتابا وختمها ، و أنى بهم في الليل الى دار ٤ أخيه الملك ربير فاستأذن عليه ، فأذن له فدخل ٥ فقال له : إن ابن عمك أرسل لك رسلا معهم كتب ٦ و هم بالبواب فدُعي ٧ بهم . فلما وقفوا بين يديه هجموا سرعة عليه قطعوه ٥ قطعاً بخناجرهم ، و ضَمَوْهُ في فراشه ، و وضعوه في خرستان ٨ و غلقوه ٩ عليه . فلما أصبح الصباح شاع الخبر بقتل الملك و جلوس أخيه ١٠ البرنز على كرسى الملك ، ١١ بعد أن نودي ١١ في البلد أن السلطان البرنز يقول لكم : يعوا و اشتروا و خذوا و أعطوا . فعلت الناس أن ربير الظالم الغاشم قتل ، ففرحوا لقتله لكثرة أذاه لرعيته و جوره و نهبه ١٠

(١) زيد في بن : لأعدايه .

(٢) في بن : فاذا .

(٣-٢) في بن : فهيؤوا له ذلك .

(٤) في بن : قصر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصلين : كتباً .

(٧) في الأصلين : فادعى .

(٨) في بن : خزانة .

(٩) في بن : و غلقوا .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

(١١-١١) في بن : و نودي .

لأموالهم ، و إفساده^١ لأحوالهم . فاستمر البرنز سلطانا ، فسمع ابن عمه الذى بجنوه بقتل البرنز لأخيه رير ، فشق ذلك^٢ عليه . فعمّر خمسة وعشرين غرابا ليأخذ بثأره منه . فلما بلغ البرنز ذلك أعرض جيشه و نفق فى أربعة آلاف فارس و راجل ، و مدّته الذين كانوا السبب ه فى قتل الرير^٣ بالأموال و هم متظرون قدومه^٤ إليهم و وروده^٥ عليهم بسبب الحروب^٦ و الطعن و الضرب^٧ ، و أهل الجزيرة بأجمعهم خائفون مرعوبون ، قد دفنوا أموالهم ، و تأهبوا للقتال ، و الحرب و النزال - و الله أعلم بما سيكون بينهم من الحروب^٨ .

(الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط)

١٠ فلما بلغ السلطان الملك الأشرف شعبان^٩ ذلك أرسل الأمراء من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية و دمياط لحراستها خشية أن تكون حيلة و مكيدة على بلاد^{١٠} المسلمين . فأتى إلى الإسكندرية من الأمراء

(١) فى بن : و لافساده .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : رير .

(٤) فى بن : حروبه و قدومه عليهم .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : القتال .

(٧-٧) فى بن : و خاف أهل الجزيرة بأجمعهم ، و دفنوا أموالهم و أئاثهم ،

و تأهبوا للحرب و النزال . و فى بر : خائفين مرعوبين .

(٨) الأشرف ناصر الدين شعبان و حكمه ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م .

(٩) فى بن : سواحل .

أَسْنُبُغا بن البوبكرى و قطلبغا المنصورى و الأمير المعروف بسيدى
ابن عمه^١ السلطان الملك الأشرف شعبان، و أتى^٢ أيضا لها^٣ أروس البشتكى
و الأمير ابن تفرْدُمر و الأمير شرف الدين بن الأزكى و الأمير أخو
أتبغا جلب و الأمير مبارك الطازى بأجنادهم و بماليتهم، فكان دخولهم
الإسكندرية^٤ مستهل ذى القعدة سنة اثنتين^٥ و سبعين و سبعمائة غير من ٥
هو بها مقيم مثل ملك الأمراء صلاح الدين خليل بن عزام^٦ و تمتاز
أمير حاجب و بكتمر العلى^٧ أمير حاجب أيضا بما معهم من الأجناد
و الممالك إلى غير ذلك من قياد الصناعة و رماة^٨ القاعات المتطوعة و العربان
المركزة ظاهر^٩ الإسكندرية و يباطنها أيضا الألوف المؤلفة من أهلها و الغرباء^{١٠}
التي صارت مقيمة بها و مهياة^{١١} للحرب^{١٢} [١٧٠ : ب] فيها، و كلهم ١٠
طالبون^{١٣} الجهاد فى سبيل الله، و ما النصر إلا من عند الله . فلم يأت

(١) فى بن : عم .

(٢-٣) فى بن : اليها أيضا .

(٣) فى هامش بر : مستهل ذى القعدة دخولهم سنة ٧٧٢ هـ .

(٤) فى الأصلين : اثنتين .

(٥) فى بن : العرام .

(٦) فى بن : العلائى .

(٧) فى الأصلين : و رماة . بالتاء المفتوحة .

(٨) فى بن : بظاهر .

(٩) فى بن : و العربان .

(١٠) فى الأصلين : مهية .

(١١) كلمة « الحرب » مكررة بالصفحة التالية .

(١٢) فى الأصل : طالبين . والكلمة صححت بقلم غير قلم الناسخ .

أحد من النصارى للاسكندرية ولا دمياط . حين بلغهم كثرة الرباط .
ولما كان فى ستة خمس وسبعين وسبعائة^١ تحركت الجنوبية 'على قبرص ،
أخذوها^٢ من القبارسة بعد أن قتلوا من أهلها خلقا كثيرا ، وملكوها
منهم ، وأخرجوا البرنز منها منقيا إلى بعض الجزائر .

٥ . (عود إلى مرثاة ابن أبى حجلة)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة فى مرثيته :

و حَقَّ عِنْدِي لِلْفَرَنْجِ مَكَائِدُ فَلَيْتَ وَلَى الْأَمْرِ يَدْرِى بِمَا^٣ أَدْرِى
فَمَنْ لِي بِأَسْطُولٍ بِهِ أَهْلُ سَبْتَةٍ بَغْرِبَانِهِمْ مِثْلُ النُّورِ إِذَا تَسْرَى
يعنى يولى الأمر إذ ذاك الأمير الاتابكى يلبغا الخاسكى . قصد بقوله
١٠ ذاك تعريفه مكائد حرب البحر ، وتلك المكائد تعرفها أهل سبته ومن
جاورهم من المسلمين . والفرنج التى بجزيرة الاندلس يخشونهم لخدقهم^٤
ومعرفتهم بقتالهم وغربانهم المرصدة لذلك . وقصده أيضا تحريض
الأمير يلبغا على تكثيره بالإسكندرية^٥ قياد المغاربة لأنهم فرسان البحر

(١) فى هامش بر : سنة ٧٧٥ .

(٢ - ٢) فى بن : اخذت الجزيرة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : غيرها من .

(٥) فى بن : ما .

(٦ - ٦) فى بن [١١٦ : ب] : شريهم ما رثتهم (!!) .

(٧) فى بن : بشفر الإسكندرية .

لا عتيادهم لذلك . وقيل إن عدة أبواب^١ سبته أحد^٢ وثلاثين بابا ،
واحد^٣ للبر و^٤ البقية لدار^٥ صناعتها للبحر ، وداخل كل باب منها غراب
راكب على حماره الخشب المعتدل^٦ . فاذا جرت حركة مع الفرنج أو أتتهم
بأفروطة^٧ ، أخرجت القياد تلك الغرابان بحرم حرها . فترى تلك الغرابان
البحر دفعة واحدة ، وشنت^٨ برماتها وقيادها وأسلحتها وأزوادها . وقد
صاروا على الكفار ، كاشتعال النار . فاذا كان بالإسكندرية^٩ مثلهم ينفق
عليهم كل شهر نفقتهم الكافية لهم ، حفظت بحفظ الله^{١٠} دارها ، واتنى^{١١}
عنها عارها وشارها^{١٢} .

(مدينة سبته وخليجها)

و مدينة سبته^{١٣} محاذية لجزيرة الأندلس ، بينها تعدية الخليج المعروف ١٠

- (١) زيد في بن : مدينة .
- (٢) في الأصلين : إحدى .
- (٣) في بن : واحدا .
- (٤ - ٥) في بن : والباقي من دار .
- (٥) في الأصلين : المعتدلة .
- (٦) في بن : أفروطة - بسقوط باء الجر .
- (٧) في بن : قد شنت .
- (٨) في بن : بصناعة الاسكندرية .
- (٩) زيد في بن : تعالى .
- (١٠) كذا في بن ، وهي في بر : واتنفا .
- (١١) كلمة « وشارها » ساقطة من بن ، وزيد بعدها : لكن كان ذلك الكتاب
مسطورا وكان أمره قدرا مقدورا .
- (١٢) في الهامش : ومدينة سبته .

بزقاق سبتة ، وبه القنطرة التي بناها بعد حفره له الإسكندر ، فعلا القنطرة الماء لقوة دفعه من البحر المحيط . فصارت القنطرة تُرى من أسفل الخليج لصفاء الماء . وذلك أن الإسكندر فتح هذا الخليج كما قيل يُفرق به بلاد الكفار ، فمر الماء على بلادهم وأرضهم ، ففرق منها الأراضي المنخفضة ، وصارت الأراضي المرتفعة جزرا كجزيرة قبرس و جزيرة رودس ، و جزيرة سرديانية ، و جزيرة صقلية و جزيرة رواد و جزيرة اغريه و غيرها من الجزائر العديدة . وسيأتي ذكر هذه الجزر وما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

وقيل إنما حفر الإسكندر هذا الخليج من البحر المحيط سوى ١٠ لسفر القراقريضا عنها إلى سائر الثغور [١٧١: ف] لعسر نقلها من بلاد الروم إليها في البر . لأن القرقورة الواحدة تحمل من الضائع ما تحمله المئين من الإبل ، و سير القراقري بالريح العاصف ، لأنها تسير به في الأمد اليسير ، ما لا تسير به الإبل في الأمد الطويل . وقيل إن الإسكندر لما قصد جفر هذا الخليج المعروف بزقاق سبتة لم تعمل المعاول في

(١) في بن : وارضيه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الجزر .

(٤-٤) في بن : ما لا تحمله الإبل الكثيره (كذا) .

(٥-٥) نقلا عن بن ، والجملة ساقطة من ير ويكتمل بها الكلام .

(٦-٦) نقلا عن بن ، والجملة ساقطة من ير ويكتمل بها الكلام .

أرضه لتحجيره^١ و صلابته ، فسأل الحكماء في^٢ ذلك فقالوا له : تأمر بجمع
الخطب الكثير فتضعه^٣ على أرضه و تطلق فيه النار ، فإذا صار جبرا
أطنى^٤ ذلك الجبر بالخل فيسهل حفره . ففعل ذلك فارتخى^٥ حجره
و تها^٦ حفره . ثم بنى قنطرة يمشى عليها من برسبته إلى بر الأندلس . فلما
جرى الماء في ذلك^٧ الخليج ركب الماء^٨ القنطرة لقوة جريانه و كثرت^٩ ،
فعلا عليها ففرق^{١٠} المنخفض من الأرض ، و صار المرتفع منها جزرا
فيها عيون فيها^{١١} مياهها العذبة الجارية بها ، تجرى على حالها .

(البحر الأعظم و كروية الأرض)

قال صاحب كتاب عجائب البلدان : زعم كثير من الفلاسفة و أهل
العالم بالهندسة^١ أن البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع جهاتها^{١٠}

(١) في بن : لتحجيره .

(٢) في بن : عن .

(٣) في بن : و تضعه .

(٤) كذا في بن ، و هي في بر : طفى .

(٥) في بر : فارتخا - و في بن : فاتخا - بسقوط الراء .

(٦) زيد في بن : من البحر المحيط .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : فعرض .

(٩-١٠) في بن : علم الهندسة .

لأسرار ذكروها، وذلك أن الشكل الذي ينسب إلى العنصر المائي السيل الجوهري^١ وهو شكل ذو ثمان قواعد مثلثات متساوية الأضلاع قائمة الزوايا ويسمى كعبا وهو شكل الأرض على رأى أفلاطون و كثير من القدماء و ذلك صحيح فخرم الماء و مقداره أعظم من جرم الأرض ٥ و أكثر كمية على ما تبينه . و قد نقل عن بعض المؤرخين أن أحد ملوك الأرض أراد أن يعلم صحة ذلك فأنشأ سفنا ضخمة حصينة وشحنها بالرجال و الأزواد و الماء العذب و المال و أرسلها نحو المشرق و المغرب و الشمال و الجنوب ، فأصابوا جميع أجزاء الأرض ، يتصل بعضها ببعض ، و وجدوها كلها تتشعب من البحر المحيط .

١٠ و أعلم أن الأرض كرية الشكل^٢ ، و الحكمة في ذلك أنها لو كانت مسطوحة كلها لا غور بها و لا نشر يحزقها لم يكن نبات و كانت مياه البحر سائلة على وجهها فلم يكن للزرع موضع و لم يكن لها غدران^٣ يفضى مياه السيول إليها و لا كانت لها عيون تنبع بالماء أبدا لأن مياه العيون لو كانت فيها تخرج دائما لفنت و لصار الماء أبدا غالبا على الأرض فكان ١٥ يهلك الحيوان و لا يكون زرع و لا نبات ، فجعل عز وجل منها أنجادا و منها أغوارا و منها أنشازا و منها مستوية . أما أنشازها فنها الجبال

(١) في بن : الجوهري .

(٢) في هامش بر : الأرض كرية الشكل و حكمة ذلك .

(٣) في بن [١١٧ : الف] : غدرات .

الشاحنة و منافعها الظاهرة^١ في قوة تحدر السيول منها فتنتهي^٢ إلى الأرض البعيدة بقوة جريانها [١٧١ : ب] و لتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار و تذيبها الشمس^٣ فيقوم ما يتحلب منها مقام الأمطار ، و لتكون الآكام و الجبال جواهر للمياه لتجرى^٤ من تحتها و من شعوبها و أوديتها فتكون منها العيون الغزيرة ليعتصم بها الحيوان و تستخدمها^٥ مأوى و سكنى ، و لتكون مقاطع و معازل و حواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها - فسبحان المدبر الحكيم^٦

[الجواهر الأربعة والأغذية]

و اعلم أن الأرض من أربعة جواهر^١ : من الرمل و الطين و السبخ و لأملاح ، و جوفها أطباق يتحزق فيه الهواء و يحول فيها ،^{١٠} لأن الماء جسم سيال حول الأرض ، و الهواء جسم لطيف سريع الحركة في الجهات ، فإتسكن فيها الهواء كان عذبا شروبيا ، و ما امتنع الهواء من التمكن فيه و غلبت عليه أملاح الأرض و سبخها^١ صار ملحا أجاجا .

(١) في بن : ظاهرة .

(٢) في الأصل : فينتهي .

(٣) في بن : الشمس .

(٤) في بن : ولتجرى .

(٥) في الهامش : الأرض من أربعة جواهر .

(٦) في بن : وسبخا .

فالجزر ارتفعت عن الأرض ، و مياه العيون في الأرضين كالعروق في
البدن تتفجر فيها . و الهواء عنصر لأبداننا و أرواحنا و محيط بنا فهو
شديد التأثير فبنا ، فيجب تعديله في حره و برده ، و يحترس من استنشاق^١
ما يخالطه من شوائب رديئة^٢ كالمدخان و الغبار و آسن الماء و تن الجيف
و أبخرة المبالل الرديئة^٣ و الأشجار الخبيثة و شر تغيرات الهواء و الوباء^٤ ،
و هو تعفن جوهر^٥ الهواء ، فتعفن الأرواح التي في القلب ، ثم الأخلط
بتوسطها ، و تدبيره أن يستفرغ بدن إن أحس بامتلاء بحسب ذلك
الامتلاء ، ثم يعدل المزاج بماء الرمان الممزوج بالسكر أو شراب السكنجين
الساذج أو الحامض أو الرمانين ، و يهجر الجماع ، و يفرش مكانه بالأس
١٠ و يرش بالخل ، و يوقد فيها خشب الطرفاء ، و يبخر بالصندل^٦ و الكافور
و العود و اللبان و الورد و الميعة . و يقتصر على الأغذية اللطيفة المعتدلة
المزاج كالقراييج زيرباجه أو بماء الرمان المزه أو بماء الليمون
أو الحماض أو الحصرم ، و يهجر الفواكه خلا السفرجل ، و يضرح في
المشروب الطين الأرمني ، أو يمزج بيسيرخل ، و يقلل الشرب ما أمكن .

(١) في الهامش : مطلب يتعلق بأدم الوباء والطاعون و يطلب من الاستعمال .

(٢) في بن : الاستنشاق .

(٣) في الأصليين : ردية .

(٤) في الأصليين : الردية .

(٥) في هامش بر : الوباء .

(٦) في بن : جواهر .

(٧) في هامش بر : مطلب ما يستعمل في زمن الوباء والطاعون على رأي الحكماء .

و يتناول في بعض الأوقات هذا الدواء وصفته : صبر سقترى جزءان .
 وزعفران جزء ، مرّ صافى جزء ، يؤخذ من جملة نصف مثقال بماء ورد .
 و ينبغي ' الاقتصار على الأغذية المعتدلة أو ما قاربها مثل خبز الحنطة
 المحكم الصنعة و لحوم الحوّل من الضأن و الدجاج و الاوز ' و الحجل
 و الدراج و فراخ الحمام النواهض و صفرة البيض نيمرشت و الزبد الطرى ه
 و السمن الحلو و الفواكه في أوقاتها ، و لا يتعرض للأغذية التي هي ٣
 [بن ١١٧ :] بالأدوية أشبه إلا لضرورة و ذلك مثل الخردل و الشراب
 و القديد و السباق . [بن ١١٧ : ب] و يحذر ما استعد للعفونة كالصبر
 و الصحناء و ما يحرق الدم عكره كالتمر إلا في بلاده و 'شواء المغنوم

(١) في هامش الأصل (بر) : أشياء تحفظ من المأكّل

(٢) في بن : و الأرز .

(٣) تقع هنا بقوة كبيرة في بر وهي واردة في بن من ١١٧ : الف إلى ١٢٤ : الف .
 و ربما كان إسقاطها معنيا من ناسخ بر نظرا لما يتخللها من الصعوبات و ما
 يعتورها أحيانا من الخلل في اللفظ و المعنى . و لكننا آثرنا إدماجها في النص
 المنشور على علاقتها لكثرة ما بها من معلومات متفرقة لا تخلو من الفائدة .
 و يلوح من الأخطاء اللغوية و غيرها أن ناسخ بن لم يكن من العلم بمكة
 مرموقة ، و قد حاولنا بقدر الاستطاعة أن نجعل نصه مفهوما مستساغا بدون
 مس ما فيه من أخطاء . و من المؤسف أن هذا القسم من النص غير وارد
 في مخطوطات أخرى كان من الممكن أن تساعد في تحقيق ما جاء به من الملاحظات
 عن طريق المقارنة .

(٤) كذا في الأصل ، و الكلمة غير منقوطة . و أغلب الظن أنها « الصحناء »
 و يقصد به « السردين » على ما جاء في معجم Hans wehr و قاموس سركيس .

و الألف على الأغلظ^١ فيقدم القول المسلوق على البيض والبيض على اللحم من الطير والطير على لحم ذوات الأربع، ولا يدخل طعاما على طعام، ولا يأكل بغير شهوة، ولا يدافع الشهوة الصادقة، ولا يتحرك بعد الغذاء إلا يسيرا قدر ما يحذوه لا ما يتفده فجاء [كذا]،
 هـ وتكثر الألوان محير للطبيعة، واللذائذ أحد لولا الإكثار منها، وملازمته النفد بسقط القوة ويكسل، والحامض يخفف ويسرع الهرم ويضر العصب، والحلو يرضى المعدة ويحمي الأبدان. والنقد والرسم المالح أو الحريف بالصد، وملازمة الحية ينهك القوة بل هي في الصحة كالتلخيط في المرض. وينبغي أن تنوع الأطعمة بحسب الفصول فيؤكل
 ١٠ في الربيع الأسفيداجات^٢ والمعرقات والفارية والفقاعية ونحوهما، ويؤخذ في الصيف اللينة والمضيرة والملوخية والبامية والتفاحية والمشمشية والسفرجلية والساقية والحصرمية والتوتية والحماضية والليمونية. وتقدم الفاكهة الملونة على الطعام كالغنب والتين والبرقوق والكشمري والسفرجل إلا لمن به زلق معدة، وأما البطيخ فلا يؤخذ
 ١٥ مع غذاء آخر فيفسده، ويؤكل الجوادب الدسمة وشوربا القمح والاوز

(١) في الأصل بدون نقط «الأغلظ».

(٢) في الأصل: منه.

(٣) في حالة ورود ألفاظ غريبة مثل «الأسفيداجات» و «الفارية» وغيرها مما لا نعرفه ولا ذكر له في المعاجم السائرة آثرنا نسخ اللفظ كما جاء في النص بالحرف الواحد آمليين أن يتمكن العلماء والدارسون من فك رموزها أو تصحيحها فيما بعد.

بحليب البقرة والزبد بالسكر، ويؤكل في الشتاء الهرائس والرشتا الخير والارز
المفلل والقلقاس والجرز واللفت والقلايا المبصرة والمطيب بالمرى
المغربى والشواء والكبب ولحوم الطير والوحش حارة بالفعل، ويتناول
السير من اللحوم المعتدلة، ويتنقل بالزبيب والفسق واللوز والبندق
ونحوها. وأما المياه فأفضلها مياه الأنهار العذبة الشديدة الجرية على
الأرض الجرد مستقبلة الشرق أو الشمال، وإنما ينبغي أن يشرب
عند العطش الصادق قدر الرى من غير زيادة عليه من الخالص البارد،
فإن الفاتر قليل الرى مغنى شرخ المعدة، ولا يشرب عقيب الطعام بل
يتربص بعده المحرور نصف ساعة ساعتين وما دام الطعام
في المعدة فلا يشرب غير الماء، وأما في حله فردى جدا إلا من اعتاده، ١٠
ويكره الشرب في الحمام وعقبه وعقيب الجماع والحركة ومن عطش
بعد نومه ثلثا يكشف قدميه ويعرضهما للنسيم البارد، ويرخص في
الشرب على الصوم المحرور والمحرور فقط، والماء الصادق البارد يقوى
المعدة ويجمعها على الطعام ويجزى القليل منه في تسكين العطش السير
ويمنع من تعفن الدم وأن تصعده البخارات إلى الرأس، ويحفظ بالجملة ١٥
الصحة غير أنه لا يصح لمن به 'نزلة يحتاج' إلى نضج ولا لمن به زكام
يكثر ولا لمن به ورم يحتاج إلى أن ينضج، والماء الحار ٣
الهضم ٣ الطعام في أعالي المعدة ويبطئ تسكين العطش ويؤدى

(١) هنا جملة مطموسة في الأصل .

(٢-٢) مطموسة جزئيا في النص ولكن يمكن قراءتها على هذا النحو .

(٣) مطموسة بالأصل .

إلى الاستسقاء وهو ردىء فى حفظ الصحة، والماء الملح يسهل البطن
و يعقله من بعد ويولد الحكمة والجرب ويفسد الدم والمزاج، والمياه
الردية تذبل الأجسام. والنوم راحة الأعضاء والقوى كلها ويعين
على الهضم، ونوم الليل يكون بأى ساعات ونوم النهار يخرق النوم
هـ ويفسد اللون ويولد الدهن، [بن ١١٨ : الف] والسهر يسيء الهضم
ويحلل الأرواح ويضعف القوة لاسيما لمن اعتاده.

[جزر بحر الروم]

فلنذكر الآن بعض جزر البحر الرومى : جزيرة قبرس وهى تسمى
بلغة الروم شيرا^١ و البحر يحيط بها مائتا ميل والميل أربعة آلاف ذراع
١٠ و الذراع أربعة وعشرون أصبعا والأصبع ست شعيرات مضموم بعضها
إلى بعض، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال. و جزيرة قبرس من الإقليم
الرابع من جملة الأقاليم السبعة. و سلطانها يقال له باللغة الرومية
٣ ارادا شيرا^٢ تفسير ارادا سلطان و شيرا^٣ الجزيرة، و قبرس مدينة
الجزيرة المذكورة، وقيل إن قبرس تسمى الماغوصة^٤ وعليها سور
(١) فى الأصل: بانى.

(٢) بالفرنسية Chypre.

(٣-٢) الغالب أن المقصود هنا Rey de Chypre.

(٤) فى الأصل: شيرا.

(٥) هى Famagusta إحدى موانئ جزيرة قبرس على الساحل الجنوبي
الشرق المواجه للساحل المصرى.

محيط بها ويمتد سلسلة تحفظ مراكبها . وقيل إن جزيرة قبرس مسيرتها سبعة أيام ، و بجزيرة قبرس من ١٠٠٠٠ منها رأس الباف ' ورأس المنجل ورأس الأبيض اللسون ٣ والانيك ' والملاحنة و اكرمينية . و جزيرة قبرس بها جبال شاهقة ١٠٠٠ وأعين ماء جارية . و بجزيرة قبرس مدينة يقال لها الأقسية * داخل سورها بساتين ، وصاحب ه قبرس نازل بها في قلعة ، و بالجزيرة أيضا قلعة يقال لها الشرفية وهي سجن للفرنج . و بالجزيرة أيضا دير يقال له اللسون ٣ في جبل وعرة ، وقيل إن بجزيرة قبرس اثنا عشر ألف ضيعة كبار وصغار ، وبمدنها وقراها من الكنائس والديورة والقلال والصوامع كثير ، وبها المعادن والبساتين المشتملة على الفواكه المختلفة الطعوم والرياحين العطرة ١٠ كالخزام والقيصوم والبحار والمنثور والورد والياسمين والشوسان والنرس والزرعس والريحان والأصوان وزهور شقائق النعمان الكثير . و جزيرة قبرس غربي بلاد الشام في البحر مغلصة وحدها ولها ذنب مستطيل نحو الساحل مما يلي دمشق وغربها أعرضها . وبمدنها الأسواق

(١) ياض بالأصل .

(٢) على مقربة من مدينة Paphos الواقعة على الساحل الغربي للجزيرة .

(٣) ميناء Limassol أو Lemesos وعرفت قديما باسم Neapolis .

(٤) ولعلها مدينة Alikى المعروفة باسم Larnaka على الساحل الجنوبي الشرقى للجزيرة .

(٥) ولعلها Kyrenia مدينة على الساحل الشمالى للجزيرة .

(٦) ياض الأصل .

(٧) عاصمة الجزيرة Nicosia وتعرف أيضا في اليونانية باسم Lefkosia .

و الحانات و الحوانيت و الحانات و الدور العالية و الحمامات تدخلها العلوج
و الدامات .

[الحمام: منافعها ومضارها]

وقد تقدم في هذا الكتاب الوعد بذكر الحمام : منافعها ومضارها .
فلنذكر الآن ما تيسر ذكره منها . إعلم أن خير الحمامات ما قدم بناؤه
واسع هواؤه وعذب ماؤه ، فالبيت الأول مبرّد مرطب ، والثاني
مستنّ عجف ، ونعم البيت الحمام ينعم البدن ويذكر الآخرة ، وبش
البيت الحمام يقل الحياء ويبدى العورة . قال ابن أبي زيد ولا يقرأ في
الحمامات الا بالآثاث اليسيرة ، وقال القاضي عبد الوهاب لأن الحمام
لا يدخل الا للضرورة ، وقد قيل انها من بيوت الشياطين و القراءة قربة
(كذا) وفعل خير من افضل الطاعات فيجب أن تكون القراءة في أشرف
المواضع ، وما قاله ابن أبي زيد هو خير ، ولا يدخل الحمام إلا بمئزر
لأنه يعترض عليه ستر عورته عن (النا) سر ٢ ، ومتى دخل ذلك محتاراً
كان فاسقاً لم تقبل شهادته ، وأما دخول الحمام مستتراً مع من لا يستر
فلا يجوز ولا يحل فان ستر العورة فرض ، والنساء في هذا بمنزلة
الرجال ، ولا تدخله المرأة إلا عن علة . وان المرأة ليست كالرجل لأن
جميع بدنها عورة لا يجوز لها إظهاره لا للرجال ولا للنساء . قال سحنون :
لا تدخل المرأة الحمام حتى تستر جميع بدنها . واعلم أن الحمام لها منافع

(١) واضح أن الكلمة مأخوذة عن اللفظة الفرنجية (Dames) .

(٢) مطموسة جزئياً .

و مضار . أما منافعها فتوسع المسام و تستفز العضلات و تحلل الرياح^١
 بت [بن ١١٨ : ب] سهولته عن هيبه و تنظف الوسخ و العرق و تذهب
 الحكمة و الجرب و الإعياء و التعب و ترطب البدن و تنضج النزلات
 و تخرج من الداء ما لا يبلغه الدواء ، و من منافعها أيضا تلين اللحم
 و أعداد البدن للاغذاء و بسط الأعضاء المشحطة و نش الرياح و انضاج
 الزكام و تسهيل البول العسر و جبر الطيعة المتطية . و قيل إن كل داء له
 دواء إلا الحمأة لا دواء لها . قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحمأة أعيت من يداويها

و الحق قلة التنبه لطريق الحق ، و الجنون غم^٢ عارض يعم العقل ، و الوقاحة
 هو أن يرتكب الباطل و يراه في صورة الحق و يدب عنه فيورثه ذلك
 قساة القلب كما قال تعالى : ” ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
 أو أشد قسوة “^٣ . و الرقيق الذي يلصق بقلبه كل محال كان ، و الأرعن
 الذي يأتي بما يخرج عن الصواب - انتهى .

نعود ، قال بعض الأطباء : بولة في الحمام من قائم على قدميه أنفع
 من شرب دواء . و قال الشاعر في معناه :

حمامكم هذه نزاعة للهوى البول فيها قائما أنفع من الدوا

(١) الجملة مطموسة بالترميم و لا يظهر منها غير الحرفين الأخيرين .

(٢) اتعين في الأصل غير منقوطة .

(٣) قرآن كريم : ٢ : ٧٤ .

وقال بعض الأطباء: عليك بدخول الحمام في كل يوم فإنه يخرج من الأطباق ما لا تصل إليه الأدوية. ونهى عن الصلاة في الحمام حيث لا فوق منه بطهارة وذلك للنهي الوارد منه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الحمام لأنها تحل غسل النجاسات ولأنها مأوى الشياطين لما ٥ تكشف فيها من العورات أو لأنه ليس من الأبنية المختصة بالصلاة، وإنما الغرض به إزالة النجاسات والأوساخ فكرهت الصلاة فيه. وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة، فإن أمن النجاسة جازت الصلاة فيه. ويكره مع يقين الطهارة الخبز والتعليل فإنه مأوى الشياطين، وتكره الصلاة في المزبلة ومقابر المشركين وكنائسهم. ١٠ فأما المزبلة فخشية النجاسة، وأما المقبرة فإن كانت للمشركين كرهت الصلاة فيها لتعذيبهم فيها ونزول السخط عليهم في قبورهم فكره المقام فيها أصلاً فضلاً عن الصلاة، وأما مقابر المسلمين فإن كانت لا تنبش جازت الصلاة، وإن تحقق النبش لم تجز الصلاة لأن ذلك التراب محتلط بعظام الميت وصديده إلا أن تجعل بينه وبينها حائل من حصير ونحوه فالصلاة ١٥ اذن جائزة، وأما الصلاة في الكنائس فكروهه لعلل منها النجاسة لتعذيبهم بشرب الخمر (وأكل الخنزير) فلا يؤمن ذلك في كنائسهم. ومنها التماثيل والتصاوير، فأما في حال الضرورة فالجواز - انتهى.

[ذكر الاغذية]

نعود إلى ذكر ما قيل في الأكل وغيره، إياك أن تأكل طعاما

(١) مطموسة جزئياً.

و في معدتك طعام ، و اياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه فتعجز
معدتك عن هضمه ، و عليك في كل أسبوع بقية . قال ابن سينا : و في
كل أسبوع عليك بقية ففيها أمان من شرور البلاغم . و إذا تغذى أحدم
فلينم على أثر غذاءه ، و إذا تعش فليمش أربعين خطوة ، و كل ما اكل
كثيرا تقسد معدته و يلحقه الريح و يصفر وجهه ، و كل من جامع ٥
كثيرا ضعف كلامه و نشفت معدته و أظلم بصره ، و من تعود العشاء
..... ستر حب و الدار فلفل و الدار صيني و الزنجبيل . و بما
يفسد العقل ٢ البصل و الباقلا و الزيتون و الباذنجان و الجماع الكثير
و الوحدة و الفكر و الشكر و الضحك الكثير و بقل الطين (كذا)
و الأكل على البطنية (كذا) و الشرب على الخوا . و من ذلك جسمه ١٠
بقشور الرمان في الحمام أمن الحكمة و الجرب . و أما مضار الحمام
فانها ترخي الجسد و تضعف و أعظم مضارها صب ماء الحار على ٣٠٠٠٠٠
(الض) ميفة ؟ و قد تستعمل الحمام على قرب عهد بالشبع قسمن البدن
إلا أنها تحدث سدا ، [بن ١١٩ : لف] و أجود ما استعملت الحمام
على قرب عهد بالشبع بعد الهضم فانه يرطب البدن و يحسن اللون . ١٥
و من مضار الحمام تسهيل صب الفضول الى الأعضاء الضعيفة و هو
من أعظم مضاره ، و إرخاء الجسد و اضعاف الحرارة الغريزية
و الأعضاء العصية بتحليل الروح النفساني عنها و إرخاء جميعا (كذا)

(١) بقية الكلمة مطموس . و بهامشه : مطلب فيما يفسد العقل .

(٢) في الهامش : مطلب فيما يفسد العقل .

(٣) مطموسة بالترميم و لعلها « الأعضاء » .

(٤) جائر قراءة الكلمة « ومددا » و فيها نغوض على كل حال .

و إسقاط شهوة الطعام و إضعاف المياه و النوم ، و السواك في الحمام مضر ، و السواك في غيره يذهب الحفرة و يحلو البصر و يشد اللثة و يطيب الفم و يتقى البلغم و يفرح الملائكة و يرضى الرب و يوافق السنة و يزيد في حنات الصلاة و يصحّ الجسم و يزيد في الحفظ و ينبت الشعر ه و يصني اللون . و ينبغي أن يستاك بالآراك و أن يكون السواك متوسطا بين اللين و الخشونة و يستاك عرضا فان الشيطان يستاك طولا إلا في اللسان فالسواك فيه طولا . و ينبغي أن يبدأ من الجانب الأيمن من الفم و يجعل الخنصر من يمينك أسفل السواك و البنصر و الوسطى و السبابة فوقه . و لا يقبض القبضة على السواك فان ذلك يوفر البواسير . ١٠ و ابلع من ريقك شيئا أول ما تستاك فانه ينفع من الجذام و البرص و من كل داء و لا تبلع بعد ذلك شيئا فان ذلك يورث العمى ، و لا ينفع السواك إذا وضعته عرضا و أنضيته نضيا ، فانه يردى عن سعيد بن جبير أنه قال : من وضع سواكه الأرض فجئ من ذلك فلا يلومن إلا نفسه - انتهى .

[عود إلى الحمام]

١٥

نعود الى ما قيل في الحمام . اعلم أنه ليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة بل على الله تعالى و على قدر الإنسان مثل الحمام . يقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما دخل الحمام بالشام : نَعَمْ البيت بيت الحمام يُنعم البدن و يُزيل الدرن و يُذكر الآخرة . و من هذا آثاره ٢٠ في العيد لا يكون له استعماله فانه نعم الصاحب و به سمي لأن الحمام

من الحميم والحميم صاحب الشفوق . قال الله تعالى ” فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم^١ “ أى مشفق ، وسمى حميما لحرارته ، واستعمل فيه
الماء لما فيه من الرطوبة . فالحمام حار رطب طبع الحياة وبه ينعم
البدن ، وبالماء يزول الدرن ، ويطيب عيش الانسان . قال الشاعر :

إن عيش الحمام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل ٥
جنة تكره الإقامة فيها وجحيم يلذ فيها المقيـل
و لبعضهم فيها :

أن حمامنا الذى نحن فيها بنيت من عقائد الافكار
..... عاليات قبابها طالعـات نجومها بالنهار
فجئنا منها ونحن جلوس فوق نار من تحتها الماء جارى ١٠
و لبعضهم فيها :

ارى الحمام موعظة و ذكرى لكل فتى أريب ذى ذكاه^٢
تذكرنا عذاب ذوى المعاصى . و أحيانا نعيم الاتقياء
شقا هجر يشوب نعيم وصل و برد الماء فى حر الهواء
إذا ارضه التهيت بنار تبادر سمكه مطلا بماء ١٥
كصدر الصب جاش بما يلاقى فليج الطرف منه بالبكاء

(١) قرآن كريم ٢٦ : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) آخر البيت السابق و أول هذا البيت مطموس .

(٣-٢) فى الأصل : ذو ذكار . و هو خطأ لفظى واضح من السياق و القافية .

و لبعضهم في الجلوس في الحمام :

و يجلس اخوان اذا ما تجمعوا تشابهه وغده و رئيسه
يفرج كربى أن تراه بكربه و يؤنسنى إن قل فيه أنيسه
ومهما أعرت الجوط فى تبادرت الى به أقماره و شموه
ه و جاء بعضهم حماما حارا فقال :

و حمام دخلناها لآمر حكمت سقرا و فيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولون أخرجونا فان عدنا قانا ظالمونا
و هجا بعضهم بلانا كئيفا فقال :

أشكو الى الله بلانا بليت به مت أنمله ظهري فأدمانى
١٠ فلا يدلك تديكا عمرفة و لا يرح تسريحا باحسان

و مما قيل على لسان حال المشط : [بن ١١٩ : ب]

أنا للشعر صيقل و بي الرأس يحمل
عرف الناس قيمتى فعلى الرأس أحمل

و قيل إن صب الماء البارد على الرجلين بعد الخروج من الحمام يستخرج
١٥ الداء من الجسد . و قيل إن فعل ذلك مضر ، والله تعالى أعلم . و ما
وقع الإمام مالك رحمه الله تعالى من تفضيل الماء البارد على المسخن
لكونه يشد الأعضاء و ينشط النفس إنما هو فى البلاد الحارة و إقليم
الحجاز و كذلك الشمس إنما يكرهه بعضهم لما ينجس من البرص و البهق
لا من جهة الشرع . و تجرد الرجل للحمام من لباسه و بقائه عريانا

(١) فى الأصل : أقار .

لا شيء في بدنه من جميع ما يملكه و يذكر الآخرة و الموت و قيام
الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئا . فدخل الحمام أدل على
الآخرة من الموت ، فان الميت لا ينقلب من قبره حتى يكتسى ، و داخل
الحمام لا يدخل حتى يتعرا و التجريد أذل . ثم من دعاء النبي صلى الله
عليه و سلم : اللهم نقى من الخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس . ٥
قال بعضهم في تنزيه الشيب عن الفواحش :

نزه مشيك عن عيب تدنه ان اليأض قليل الحمل للدنس
ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليابس
و قال أبو العاتية :

و كن متعدا لرب الزمان فان الذى هو آت قريب ١٠
و قلبك داوى المريض الطيب فعاش المريض و مات الطيب
يخاف على نفسه من يموت فكيف ترى حال من لا يموت
و تنقية لبدن من لدن و الوسخ من أخص صفات الحمام و لأجله
عمل و اعتبار الحمام بأحوال الآخرة فخاله يوجب عظيم الفائدة و ما
يعقلها الا العلماء بالله تعالى . و حكم الغسل يحفظ القوى مما ينال الجسوم ١٥
من الضرر لسد المسام و انعكاس الأبخرة لها المؤثرة فيها و ان الطهارة
و النظافة للشارع . و نهى عن الصلاة فى الحمام لما فيها من شدة الحرارة
التي ربما زادت على حر الهاجرة ، و أما الحمامى و حارس الحمام فقال ابن
رشد فيها تفضيل و ذلك إذا استأجر مكترى الحمام الحارس لحفظ
الشياب للداخلين بأجرة فى ذمته فلا اختلاف فى عدم ضمان الحمامى ٢٠

لأنه مكترى الحمام لآحراس الثياب إلا أن يفرط الحامى و أما ان كان الحارس يحرس الثياب يجعل يأخذه من كل أحد من الداخلين فقال مالك لا صحا ١ مى . قال سخون فيمن أودع ودبة فصرها فى كفه مع نفقته ثم دخل الحمام فضاعت ثيابه بما فيها أنه ضامن ه لرب الودبة ما أودعه . قال بعض الشيوخ: إنما ضمنه لدخوله بها الحمام - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ذكر الجزر . جزيرة رودس هى مقابلة الإسكندرية وهى أول بلاد إفريقية وفيها خلق من الروم وكان فيما تقدم قبل السبعائة وبعد ١٠ الثلاثمائة تطرف مراكبهم بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير هى و تأسر و تسبى . و اسم جزيرة رودس بلغة الفرنج روضو ١ عمل افريقية جبل معروف بجبل النار وفيه بركان يرمى بنار كبرى مثل الذى على (مدينة ٢) صقلية و سيأتى ذكره فى أخبار صقلية إن شاء الله تعالى . و بين جبل النار و مدينة بايل ٣ (!) اثني عشر ميلا وفيها مرسى ١٠ لطيفة و منها إلى دير يعرف بدير المستطير ٤ (!) و منه إلى مدينة تسمى المقلوب و ليس بها إلا باب واحد . و منها إلى جزيرة الطواويس و منها إلى جزيرة شكل فيها مزارع الروم و مراعى لمواشيهم و منها إلى وادى

(١) مطموس فى الأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و لكنها قائمة فى السياق .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم نستطع العثور عليها بكتب الجغرافية والأطالس .

(٤) كذا فى الأصل ، و لعل الكلمة « المنستير » اشتقاق من Monastere .

قوة : منه الى مدينة عظيمة على قرطيل يدور بها البحر لها باب واحد
و منها إلى [بن ١٢٠ : ألف] جبل يقال له جرجينه وكانت تحته مدينة هلكت
و بقي أثرها و بحذاء هذا الجبل جزيرتان يقال لأحدهما يونسه و الأخرى
مونسه لها مين مراسى تحمل الاسطول بأسره و بين هذين الجزيرتين
و بين جبلين جزيرة جرجينه ، و منها إلى جزيرة اشطوره إلى ملجا ه
اللواحات^١ و هي مرسى مكن^٢ في الصيف و منها بحر^٣ رومة .

[وصف مدينة رومة]

و رومة مدينة كبيرة دور سورها اربعة و عشرون ميلا و هو كله
مبنى بالآجر الفرهى و بين كل برج من أبراجها التى بسورها رمية حجر،
و النهر يشق وسط المدينة و فيها قناطر مبنية فى طرف منها كنيسة ١٠
تسمى سنبوله^٢ و هي عظمة البناء بينها و بين المدينة ميل و نصف ميل
و هي من الجانب الشرقى من النهر ، و فى الجانب الغربى من الوادى كنيسة
كبيرة أيضا يقال لها سنبأره^٥ . و سنت اسم الكنيسة و بآره اسم صاحبها

() أسماء الجزائر و الأماكن و المدن فى هذه العبارة يحيطها الغموض و تحتاج
الى بحوث طائلة لتحقيقها لعدم ورودها كذلك فى غالب الكتب المعروفة ، و قد
اكتفينا بذكرها كما هي فى النص الأصل حتى تكون تحت تصرف العلماء
و الجغرافيين فى بحوث أخرى مستقلة . على كل حال المذكور منها فى جغرافية
الإدريسي (طبعة هونريخ) اشطوره (ج ٢ ص ١١٩) .

(٢) كذا فى الأصل ، و أغلب الظن فى قراءتها : « مكن » .

(٣) فى الأصل : بهر . و هو خطأ لفظى واضح .

(٤) أى كنيسة القديس بولس Saint Paul .

(٥) أى كنيسة القديس بطرس Saint Peter .

الذى عمرها ، و بوله اسم صاحب الكنيسة الشرقية ، وبآرته هو الذى بنيت
 الكنيسة الغربية على اسمه وهو من أكبر حواري عيسى عليه السلام ،
 وهى فى طرف سماط طوله ثلاثة أميال وفى عرضه يمشى اثنا عشر
 فارسا فى غنا واحد وهو سماط مسقف الأعلى بالخشب الحسن القوى
 الطويل نظير الموائد التى تأتى من جبل النار بل أخفى منها ، وفى الجانبين
 من هذا السماط حوانيت فيها الباعة متصل إلى آخره ، ثم تدخل منه إلى
 سماط الكنيسة وهو سماط مكشوف ضوله أربعائة ذراع وعشرون
 ذراعا فإذا مشى الماشى إلى الكنيسة قابلته ادراج الكنيسة وهى اثنا
 عشرة درجة مفروشة بالرخام بعرض السماط فإذا وقفت على آخرها
 ١٠ درجة استقبلت سطحها مفروشا بالرخام فى عرض السماط وفى عرض
 سطحها أربعون ذراعا تقابله أبواب الكنيسة وهى أربعة أبواب مقسومة
 فى عرض الكنيسة مسقفة بحملونات بالأخشاب المدهونة المفروشة ألواح
 الرصاص المانعة عنها الأمطار ، وأرض الكنيسة مفروشة بالرخام وفيها
 أعمدة كثيرة عظيمة ، وعن يمين الداخل من آخر باب من أبواب الديور
 ١٥ حوض رخام عظيم يعمد فيه الأطفال الذين يغطسونهم فى ماء المعمودية ،
 وسبأنى فيما يرد من هذا الكتاب صفة المعمود (٢٠) إن شاء الله تعالى .
 وفى ذلك الحوض الرخام ماء جار أبدا وربما فاض فضل الكنيسة

(١) فى الأصل : اثني .

(٢) فى الأصل : اثني .

(٣) مطموسة فى الأصل . (٤) فى لأصل : جارى .

لأنها عارية من الفرش ، وإنما فرشها رخام وعليه جلوس الروم ، ويكون طول هذه الكنيسة ستمائة ذراع في مثلها ، وفي آخرها كرسي من ذهب مرصع بالجواهر يجلس عليه أعيان الفرنج . وتحت الكرسي باب مصفح يفتح هذا الباب فيدخل منه إلى أبواب أربعة واحد بعد واحد إلى أن يفضى إلى سرداب مضى فيه دوامس وفيه الحواري الذي يسمى ٥ بآرته مدفون ، والحواري الثاني بولس مدفون في الكنيسة الأخرى الشرقية ، وبجذاء بآرته حوض رخام كبير فيه الفرش الرفيعة اثنتي عشرة ٢ الكنيسة بأيام عيدهم خارج عنها عمود رخام مثل المسلة التي بكنيسة الروم على أربعة قراطيل من نحاس معلقة على الأرض مقدار ما يجوز الإنسان من تحتها على يديه ورجليه وهي مربعة من كل وجه ١٠ ووجوهها اثنا عشر ذراعاً في كل وجه منها للمسلة ثلاثة أذرع وكل ما صعدت المسلة في الهواء . دقت وانسلت ولا يطبق أحد الصعود [بن ١٢٠ : ب] إليها ملاستها ، وعلى رأسها عمود نحاس منزل في رأسها وعلى هذا العمود النحاس مثل بطيخة مدورة مذهبة في دورها قدر قمتين وفي علوها قدر قامة لها بريق لكثرة ذهبها ، وإذا قصدوا إلى ١٥ الكنيسة ظهرت لهم تلك البطيخة الذهب من مسيرة اثني عشر ميلاً . وهذه الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية تفرشان في أعياد النصارى

(١) أي القديس بطرس Saint Peter .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في الأصل : اثني .

(٤) في الأصل : اثنا .

(٥) في الأصل : تفرشا . (٦) في الأصل : الأعياد ، ولا يستقيم بها السياق .

بفرش الحرير الديباج الملون يمشى عليه الرجال و النسوان في تلك الأعياد .

[مدينة قرقشونة]

و بالاندلس مدينة تسمى قرقشونة^١ بها كنيسة معظمة عند
 ٥ النصارى تسمى سنتمريه^٢ فيها سبع سوارى من فضة و أحدها سارية
 و لها يوم في العام ترده النصارى من كل الآفاق الرجال و النساء .

[قصة خرقة^٣ بنت النعمان]

وكذلك كانت خرقة بنت النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة
 من أرض العراق تزور كنيستها و كانت إذا^٤ خرجت لزيارتها خرج
 ١٠ معها مائة جارية يفرشنها الديباج تمشى عليها إليها و يسترنها بمطارف الخبز
 و غيره من الحرير . و قال ابن الجوزى : كانت خرقة إذا خرجت إلى
 بيعتها يخرج معها ألف وصيفة و وصيف و يعزها في طريقها ألف قطيفة
 ديباج تمشى عليها فلم تزل كذلك في عزأيها إلى أن انقضت مملكته
 بانتقاض الممالك يبعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم . و سيأتى فيما يرد
 ١٥ من هذا الكتاب ذكر الممالك المنتفضة يبعثه صلى الله عليه و سلم ، فصارت
 خرقة المذكورة بعد العز الكبير إلى لعيش الحفير ، و صارت بعد المشى
 على شقاق الحرير ، ماشية على الثرى بنعل من جلد البعير ، قد ترهبت

(١) مكانها اليوم في جنوب غرب فرنسا وهي Carcassonne .

(٢) أى كنيسة القديسة مريم Santa Maria .

(٣) وهى معروفة باسم خرقة في كتب الأدب . (انظر حاشية رقم ٤ ص ١١٥) .

(٤) الكلمة مكررة بالأصل .

و لبست المروح السود وتوشحت بصلبان الخشب بعد توشحها بصلبان
الجوهر في المراسل والعقود .

[الحرير و أسماؤه و أنواعه]

و اذ قد ذكر الحرير فلنذكر ما قيل فيه و في أسمائه و أنواعه
فن الحرير الخز و الابرسم و الدياج و السقلاطون و العتاب و المصط^١ ،
فالخز يستدل على جودته بقوة سداه و بلبسه على صفاقة نسجه و ثقل
وزنه و ارادة الضعيف السدا و الخفيف الوزن الرخو النسيج الكمد
اللون الرديء الحرير . و قد اختلف في لباس الخز فاجيز و كره و وجه
الكراهة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يكون في أمي قوم يستحلون
لباس الخز و الحرير . و وجه الكراهة الخز لنفسه لأن فيه^{١٠}
الحرير و وجه الجواز أن عائشة رضي الله تعالى عنها كست عبد الله
ابن الزبير و هو ابن اختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنهم . و الخز ما سداه حرير و قيامه كتان . و أما العلم في الثوب
فلا بأس به لأنه يسير لا حكم له و اختلف في مقداره قيل قدر الاصبع
و الاصبعين و قيل الأربعة أصابع ، و الابرسم أجوده التقى الحسن^{١٥}
اللون سالم من الاحلاف و الاوساخ الملتبسة لبعض خيوطه فان تكن

(١) في الأصل : و المصط . و هو خطأ قلبي لكلمة « المصط » أي « المصمت »

و هو ذو اللون الواحد .

(٢) مطموسة بالأصل .

خيوطه^١ شكلا واحدا^١ ليس فيها بعض غليظ وبعض دقيق ولا مُعَدَّده
و تعرف جودته^٢ سل وزنه^٣ رأيت^٣ اللحمة اذا رزتها
ثقيلة فهو أفضل^٣ . والديباج أجناس فنه ما يحتاج إليه (لنا) س^٤
للتعليق والفرش وأفضله ما حسن صبغه و انتظمت نقوشه ودق
٥ حريره و صفق نسجه و أشراق لونه و ثقل وزنه و سلم من النار في
خيدرتة : و يعمل من اكحل الديباج كسوة للكعبة المشرفة بدار الطراز
بالقاهرة في كل سنة^٥ ، و السفلاطون و العتاني و المصط أفضلها و أحسنها
ما عمل [بن ١٢١ : الف] بالحلف و لم يعمل بالمشط و كان في جودة
الحرير و الاصباع ، و أغراض الناس تختلف في الطرز و الرقوم و هم
١٠ يجتمعون على ما كان أدق مسكا و أصفق نسجا و أنقى يابضا و أحسن
صبغا و أحمر ذهبا ، و الحرير الشعر منه الملهى^٦ و الطبسى و الخوارزمى
و الخطاى و تنسا و الجبلى و الحموى و الصبى و الداخلى و الكنجى
و السكى و الكحافى ، و ينسج من الحرير بالإسكندرية أقمشة مختلفة
تحمى إلى العراق ، إلى غيره من البلاد - انتهى .

١٥ [تكملة قصة خرقه بنت النعمان]

نعود الى ذكر بقية خبر خرقه بنت النعمان بن المنذر ، وذلك أنه

(١-١) في الأصل : شكل واحد .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣-٣) كذا في الأصل ، و الجملة غامضة .

(٤) مطموسة جزئيا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل . و يجوز قراءة الكلمة ، اللحي ، و كلاهما غامض .

لما انتقضت الممالك الآتى ذكرها يعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 انتقضت مملكه الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ابن ماء السماء ، فأتت
 خرقه إلى سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعد فتحه لمداثن كسرى و عليها المسوح و مقطعات السود و قد ترهبت ،
 فاستأذنت على سعد فأذن لها فدخلت متضائلة مكسورة في نفسها ، ه
 فقال لها سعد : أنت خرقه بنت النعمان ، قالت : نعم ! و كرر عليها القول
 فقالت : و ما يعجبك من امرى يا سعد ! ان لم يكن أهل بيت تخبره إلا
 و الدهر يعقبهم غيره حتى يأتى امر الله فيصيروا لمن بعدهم عبرة يا سعد !
 كنا ملوك هذا المصر يحجى إلينا خراجهم و تطيعنا أهله أيام المدة والدولة
 فلما حل القدر فأدبر الا و صاح بنا صائح الدهر ففرق شملنا و صدع ١٠
 عصانا و سلبنا ١ ملكنا فلو رتعا في ايماننا لارعدت فرائصك فرقا منا
 و كذلك الدهر ٢٠٠٠٠ قوما يحبوه إلا اعقبهم عبرة . ثم أنشأت تقول :
 ' فيينا نسوس الناس و الأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
 فأف لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا و تصرف

(١) في الأصل : ما للسيا .

(٢) في الأصل : و سلبنا .

(٣) في هذه الفجوة كلمة ينقصها بعض النقط « امات » و يصعب استقامة المعنى
 بها و الغالب أن في العبارة سقوطا في الأصل .

(٤) أخذنا اليتين هنا من ترجمة خرقه بنت النعمان في « كتاب الدر المنثور
 في طبقات ربات الخدور » لمؤلفه السيدة زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله

٠٠٠٠ بن يوسف فواز العامل السورية (طبعة بولاق م ١٣١٢ هـ ١٨٣ ص) .
 و باليتين في الأصل خبل لفظي واضح لا يستقيم معه الوزن أو المعنى .

ولكن اذا نابت العاقل نائبة لها حيلة فلا يعجز . فان لم يكن لها حيلة
فلا تجزع . قال الشاعر :

اعما أجزع مما اتقى فاذا حل فمالي و الجزع

و كانت خرقه بنت النعمان قد صارت عجوزة كبيرة نحيفة البدن .
٥ و كان المغيرة بن شعبة بمجلس سعد جالسا فقال : يا خرقه انى أريد
أتزوجك . فقالت : لا والله لا أفعل ذلك . قال : ولم ؟ قالت : أنت
أمير كبير ولست أفعلك بدنى و أنت ما تقصد بتزويجى
إلا الفخر لتقف فى أندية العرب أهل الشرف و الحسب و تقول : تزوجت
بنت النعمان بن المنذر ! فقال لها سعد : صدقت والله يا خرقه فيما
١٠ ذكرت . ثم أن سعدا أكرمها و أجزل لها العطاء و صرفها ، فلما أرادت
الانصراف قالت : يا سعد لا ازال عزك ٣ و لا جعل لك الى اليوم
حاجة و لا نزع عن عبد صالح نعمة الا و جعلك سببا لردّها عليه . و قال
أبو هاشم بن طغر فى كتابه سلوان المطاع إن خرقه بنت أبى قابوس
النعمان بن المنذر استأذنت بالقادسية على سعد بن أبى وقاص فاذن لها
١٥ حواريتها عليهن * المسوح ١ و مقطعات الثياب ١ السود

(١) مطموسة الأصل .

(٢) فى الأصل : مما .

(٣) فى الأصل : عنك - و تصحيحها بالهامش .

(٤) فى الأصل : ليم .

(٥) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٦ - ٦) فى الأصل : مقطعا السب - وهو خطأ فلهى واضح .

فرأى منظرا شنيعا ولم تتميز له خرقه من جواربها لمشاركتها إياهن^١ في الزى وكن رواهبا فسلمت عليه فقال: أبتكنّ الخرقه . فقالت: ها أنا ذه . فقال: أنت الخرقه . قالت: نعم! فما تكرارك استغماي أيها الأمير؟ إن الدنيا دار قلعة وزوال فما تروم عني حال، ينتقل أهلها اتقالا، وتعقبهم حالا فخالا . وإنما كنا ملوك هذا المصر نجبى^٢ إلينا^٣ خراجهم، وتضيعة أهلهم مدّا المدة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر صاح ٣٠٠٠٠ فصدع عصانا [بن ١٢١: ب] وشئت ملائنا، وكذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم^٤ فهم بعبرة، ولا أسقفهم بفرحة^٥؛ الا أعقبهم بترحة . ثم أنشدت الآيات المتقدم ذكرها . وبينما الخرقه تخاطب سعدا اذ دخل معدى كرب الزيدى على سعد فنظر ١٠ الى خرقه فقال لها: أنت خرقه التى كانت تفرش لك الأرض من قصرك الى يعبتك بالديباج المبطن بالوشى . قالت: نعم! قال: فما الذى دهاك^٦ وأذهب محمودات شملك^٧ وغير ينابيع نعمك، وقطع سطوات نعمك؟ فقالت: يا عمرو ان الدهر عثرات تلحق^٨ السيد من الملوك بالبعد

(١) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٢) فى الأصل: يجبا .

(٣) الجملة مطموسة بالترميم .

(٤) الجملة فى هذه الفجوة بالأصل غير واضحة فى سياقتها وبها نقص فى النقط

والحروف يزيد من عمومها .

(٥) فى الأصل: دهاك .

(٦) فى الأصل: شملك .

(٧) فى الأصل: يلحق .

المملوك وتخفض^١ ذا الرفعة وتذل ذا المنعة . هذا ما كنا ننظره فلما حل لم تنكره . ثم ان سعدا سألها عما قصده له فاستوصلته فأجزل صلتها وقضى حوائجها . ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه ؟ فأثدت :
 صان لي همتي وأكرم وجهي إنما يكرم الكريم الكريم
 ٥ وسيأتى صفة ديرها الذى عمره لها أبوها النعمان فى حال حياته عند ذكر ديارات النصرى إن شاء الله تعالى . فانظر يا هذا إلى بنت ملك كانت فى القصور فى النعمة والجور، فصارت فى دير فقيرة بصلبان، وصار^٢ أبوها فى قبر بين القبور . فالعاقل من اقتنع بالقوت وصار منزله كبيت العنكبوت . زاوية البيت فوق الحريص اليها وهو الذباب^٣ فصار ١٠ قوتها لها . انظر إلى عاكر لأموات مجتمعين فى عرسات الأجداث قبورهم والله كخيام مضروبة . وقباب منصوبة ، تحتها ملوك وأمرأ ، وأغنياء وفقراء . والكل ينتظرون خروج العسكر فإذا ضرب بوق الرحيل ، ودقت كوسات التحويل . ونفخ فى الصور إسرافيل ، فحينئذ يخرجون إلى العرض والنشور . فأهل السعادة الى النعيم المقيم ، وأهل ١٥ اشقاوة فى سعي الجحيم ، أعادنا الله من النار . وأسكتنا بمتته وكرمه دار القرار . انه رحمان رحيم غفور وكريم .

[ذكر بعض مدن الفرنج]

نعود الى ما كنا فيه آنفا من ذكر مدن^٤ الفرنج فيها مدينة فسقاروا

(١) فى الأصل : وينخفض (٢) فى الأصل : صار .

(٣) فى الأصل : الزباب .

(٤) لم نحاول تحقيق عامة أسماء مدن الفرنج كما وردت هنا لاعتقادنا أن هذا =

و مدينة ركونه و مدينة صقالص و مدينة قيصره و مدينة صقطلوا و مدينة
قطروفي^١ و مدينة منيل و مدينة سباطرسله و مدينة برنديير و مدينة كوادين
و مدينة دصيص و مدينة قوله و مدينة انصلة و مدينة بزرورت وهي ١٠٠٠
قديمه و حذاء سورها نهر جاري يصاد فيه السمك و فيه غريبة و ذلك أن
في البرية بحيرة حلوة و هذا النهر مالح فتفرغ البحيرة الحلوة في هذا النهر ه
الملح ستة أشهر فلا يخلو^٢ و يفرغ هذا النهر الملح في البحيرة الحلوة ستة
أشهر فلا تملح ، و فيه أيضا غريبة أخرى أنه يصاد في هذا النهر السمك
فيخرج في كل شهر من السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره ، و يصيدون
أهل هذه المدينة السمك بالخلاب^٣ و ذلك أنهم يأخذون الأنثى من
السمك التي هي نوعه في ذلك الشهر فتجعل في فيها سنانة مثل الحلقة ١٠
و فيها خيط ١٠٠٠٠ يطلقها في النهر فيجتمع حولها الذكور من السمك

= يحتاج إلى دراسات وبحوث طويلة في الجغرافية التاريخية من الزاوية العربية ،
و لكننا أثبتنا في النص ما جاء في مخطوطة بانكي بور بلا تحريف أملا منا في
أن يكون بذلك قد وضعت هذه المادة تحت تصرف العلماء والجغرافيين لمواصلة
درسها وتحقيقها من الناحية العلمية . و وضع من النص أن المدن المذكورة
مبعثرة ما بين دول أوروبا المحاذية لحوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها إيطاليا
وسلطنة الأتراك . و أغلب هذه المدن لم يرد في كتب العرب . و مع ذلك أثبتت
القليل الذي عثرنا على ذكره بصفة خاصة في جغرافية الإدريسي بهذه الحواشي .

(١) ورد بالإدريسي [طبعة هو تريباخ ج ٢ ص ٢٦٨] قاترو أو قاذرو
و هي إحدى مدن دالماسيا بالقرب من رجوزه Ragusa .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) الكلمة نائصة النقط في الأصل « يخلو » .

(٤) كذا بالأصل ، و أغلب الظن أن المقصود « الخلاب » أي الخطاف .

فيقرها إلى البر فيتبعها السمك فيطرح^١ عليه الطراحة فيصيدهم الصياد
ويترك الأنثى على حالها ليأتى إليها السمك فكلما كثر عندها طرح
شبكة فيأخذهم . قال معشاد الدينوري : كنت بالبصرة فرأيت صيادا
يصطاد السمك على السواحل و إلى جانبه ابنة له صغيرة كلما
ه اصطاد سمكة وتركها في قُفِّته ردت الصغيرة السمكة إلى الماء فالتفت
الرجل فلم ير في القففة شيئا . فقال لابنته : أى شيء عملت بالسمك ؟
فجالت : يا أبت ٣ أليس سمعتك تروى [بن ١٢٢ : الف] عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلة عن ذكر الله ،
فبكا الصياد وترك الصيد .

[جزيرة صقلية]

١٠

جزيرة صقلية مثله الشكل وهي كثيرة الزرع والضرع والفواكه
و كانت للمسلمين ما ملكتها مدة سنين ثم غلبهم عليها الفرنج وهي الآن
سنة سبع وسبعين وسبعائة بأيديهم . وقيل إنها من أحسن الجزر
وأكثرها خيرا وصقلية من أحسن البلاد وأكثرها خيرا . قال الشاعر
١٥ الصقل من قصيدة له يتشوق إليها بعد أن ملكتها الفرنج وأخرجت
المسلمين منها :

ذكرت صقلية والآسى يحدد للقلب تذكاريها
فأر كنت أخرجت من جنة فاني أحدث أنها راها
ولولا ملوحة ماء البكا حببت دموعي أنها راها

(١) مطموسة جزنيا بالأصل (٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في الأصل : يا أبة .

و لبعضهم تشوق إلى وطنه :

يانسمة حملت عبر المنديل وهذا القرنفل في سحق الصندل
و جزيرة صقلية سميت باسم صقلوا أخ : انطال و انطال هو الذي
بنى مدينة انطالية ببر التركية و كانت للتراكين المسلمين فتعدى عليها
ريبر بطرس صاحب قبرس فملكها منهم في سنة اثنتين و ستين و سبعمائة ، ٥
و لما ظفروا بها طمع بعدها في الإسكندرية و صح له طمعه و ظفر بها في
العشر الأخير من المحرم سنة سبع و سبعين و سبعمائة . و اسم انطالية بلغة
الفرنج سقليا و هي الآن في سنة تسع و سبعين و سبعمائة في أيدي
المسلمين ردت إليهم لأمور يطول شرحها . و بصقلية معدن الكبريت
و بها البركان العظيم الذي لا يعلم في العالم اشنع منه منظرا و لا أغرب ١٠
خبرا و هو شما (ل) هذه الجزيرة و إذا هبت الريح الجنوبية يسمع لها
دوى هائل كالرعد ، و كان فرفوريس ٢ الفيلسوف قد شخض مدينة صور إلى
صقلية لينظر البركان و يعاين فعل الطبيعة هنالك و يخبر عنه بقول واضح
فماث و بها قبره ، و لم تزال صقلية على قديم الزمان كثيرة الفتن و الحروب .

١٥ [قسطنطين بن هرقل]

و في السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب بالخلافة و هي سنة
خمس و ثلاثين من الهجرة صار قسطنطين بن هرقل ٥ في النى مركب

(١) في الأصل : أبا .

(٢) زيد في الأصل : المطرز . و لا معنى له في النص فأسقطناه منه .

(٣) لعل مرادف الاسم Porphyrios .

(٤) خلافة علي بن أبي طالب ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

(٥) حكم هرقل ٦١٠ - ٦٤١ م و حكم قسطنطين الثاني ٦٤١ - ٦٦٨ م .

يريد بلاد الشام يخلصها من أيدي المسلمين الذين أخذوها من يده
هرقل، فأرسل الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فرقمهم ونجا نفسه
قسطنطين على لوح ألقاه باحل صقلية فصنعت له أهل صقلية حماما
فأدخلوه فقتلوه فيه . وقيل مشيت الروم إلى قسطنطين بن هرقل في
٥ سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فقالوا يترك الاسـ ٢٠٠٠٠ في أيدي
العرب وهي مدينتنا الكبرى . فقال : ما أصنع بكم ما تقدرون تمالكوا
ساعة إذا لقيتم العرب . قالوا : فأخرج على انا نموت فتابعوا على ذلك
فخرج في ألف مركب يريد الإسكندرية فساروا في أيام عالية من الريح
فبعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفة ففرقتهم إلا قسطنطين فانه بما بمركبه
١٠ فالحقته الريح بصقلية فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم فقالوا : شئت النصرانية
و أفنيت رجالها لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم . فقال : خرجنا
مبايعين على الموت فأصابنا هذا فصنعوا له حماما ودخلوا عليه فيها فقال:
ويلكم قد ذهب رجالكم وتقتلون ملككم ؟ قالوا : كأنه غرق معهم ثم
هجموا عليه فقتلوه وتركوا من كان معه في المركب . فانظر يا هذا إلى
١٥ فعل الله تعالى بالكافرين حين قصدوا إهلاك بزعمهم كيف ...
لهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا . قال الله تعالى ” ومكروا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرتهم وقومهم
أجمعين “ ٣ .

(١) في الأصل : انقاع .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) قرآن كريم ٢٧ : ٥٠ - ٥١ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق

فاظفر أيضا كيف أهلك الله الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير
لما أطاع زوجته النصرانية بقولها له : أترك أصحابك يسجدون لك كما كان
أصحاب الملك لذريق يسجدون له . و كان عبد العزيز يحباها و سامعا
لأمرها لحسنها و جمالها و كثرة أموالها ، و كان قولها له ذلك حيلة منها ٥
عليه بتأثير أيها المقتول منه لعلها بأن المسلمين لا يسجدون لغير رب
العالمين ، فاذا قال لهم [بن ١٢٢ : ب] ذلك قتلوه ، و لتخلص من عصمته
و تتزوج بأبن ملك نصراني على دينها ، فلما فعل عبد العزيز ذلك قتل و بلغت
النصرانية مرادها فيه و ذلك أن عبد العزيز المذكور كان مقدما على
عساكر المسلمين حين فتحوا جزيرة الأندلس في دولة بني أمية . تزوج ١٠
عبد العزيز بنت لذريق ملك النصارى بعد قتله ' و كان الذي قتله طارق
ابن زياد فجاءت تلك النصرانية لعبد العزيز من الدنيا بشيء كثير لا يوصف
و لا يحصى ، فلما صارت عنده قالت : ما لي أرى أهل مملكتك لا يسجدون
لك كما كانت أهل مملكتك يسجدون له و يعظمونه بالسجود ؟ فقال في
نفسه كيف ينبغي لي أن أترك المسلمين يسجدون لي من دون الله تعالى ١٥
أم كيف يرضون ؟ هذا لا يجوز و لا يكون أبدا ، ثم انكر في نفسه و قال :
مطأطأة رؤسهم إلى آهون من سجود . فأمر يباب نقب من جهة قصره
مقابلا مكان جلوسه ، جعله قصيرا غير مرتفع ، فكان يأذن للناس
فيدخلون عليه منه منكبين رؤسهم لقصر ذلك الباب ، و زوجته النصرانية

(١) في الأصل : كانت . (٢) في الأصل : قتل .

تنظر إلى المسلمين من شبايك بنظرتها المقبلة لذلك الباب القصير . فلما
 رأت الملعونة فعلهم ذلك قالت : الآن قوى ملكك وعظم أمرك حين
 طأطأت لك جندك رؤسها . فتخيل ذلك بياله وفرح به فقصر
 المسلمون عن فعله ذلك ومنعه الدخول عليه من الباب المرتفع ، فبلغهم
 ٥ أنه ما نقب ذلك الباب إلا لهذا المعنى ، فانزعجت القلوب لذلك فثار عليه
 حبيب بن عبيد القهري^١ وزياد بن النابغة^٢ تيمى وأصحابهما من قبائل
 العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز فأتوا إلى مؤذنه وقالوا له : أذن
 بليل لكي يخرج عبد العزيز إلى الصلاة . فأذن المؤذن فخرج عبد العزيز
 فتقدم للصلاة^٣ فقرأ الواقعة إلى قوله تعالى « رافعه » فوضع حبيب السيف
 ١٠ على رأس عبد العزيز فانصرف عبد العزيز هاربا حتى دخل بيته ، فدخل
 بستانا بداره واختفى^٤ فيه تحت شجرة وهرب حبيب وأصحابه وابعه
 زياد بن النابغة فدخل على اثره فوجده تحت الشجرة . فقال له عبد العزيز :
 يا ابن النابغة استبقنى ولك ما سألت . فقال : لا تذوق الحياة بعدها
 تأمرنا أن نسجد لك من « باب القصير » لتسربه^٥ زوجتك النصرانية^٦
 ١٥ التي امثلت أمرها فيما أمرتك به وأحدثت في الإسلام حدثا لم يكن .

(١) في الأصل : ففحصت .

(٢) كذا في الأصل ، وربما أمكن قراءتها « القهري » .

(٣) في الأصل : للصلاة .

(٤) في الأصل : واختفا .

(٥) في الأصل : يا ابن .

(٦-٧) مطموسة جزئيا .

وأجهز عليه واحتز رأسه . وبلغ ذلك حيبا وأصحابه فرجعوا ثم خرجوا
برأس عبد العزيز و ساروا من الأندلس إلى أن قدموا على أمير المؤمنين
سليمان بن عبد الملك ' بدمشق فوضعوا الرأس بين يديه بعد أن أخبروه
خبره . و حضر موسى بن نصير أبو عبد العزيز المقتول فقال له سليمان :
تعرف هذا ؟ قال : أعلمه صوَّاما قوَّاما . فقال سليمان : هذا الذي أراد ه
أن يسجد له كما يُفعل للذريق ' ملك النصارى فكان جزاؤه ماترى .
فأخذ موسى رأس ولده ومضى به في نكابة و خزية و قال : هذا جزاء
من يتزوج بنصرانية ، لقد غزت الملعونة فيه كما غزى ٣٠٠٠٠ في أيها
..... [عبد '] العزيز بحسرة ماله وأهله وأمره ونهيه و ذلك لتعلقه
بالدنيا وزهرتها ، فن قل تعلقه بالدنيا لم يتحسر عند فراقها - انتهى . ١٠

[مدن بحر الروم و جزره]

نعود إلى ذكر جزيرة صقلية - و لصقلية مدن كثيرة و نهران
يطردان من عين واحدة و بها جزيرتان ه صغيرة و كبيرة و في هاتين
الجزيرتين تفقد النار أبدا فترى لهب النار ليلا و دخانها نهارا . و من
المدن المشهورة بصقلية مالطة في القبل منها بينهما ٦٠٠٠٠ واحدًا و أشجارها ١٥

(١) خلافته ٩٦ - ٩٩ هـ ٧١٥ - ٧١٧ م .

(٢) في الأصل : للذريق .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) مطموسة حزنيا بالأصل .

(٥) في لأصل : جزيرتين .

(٦) مطموسة بالترميم .

السنوبر و بحزيرة صقلية مدينة قوصرة . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب [بن ١٢٣ : الف] خبر نهب الفرنج لأموال المسلمين بها بالحيلة و المكيدة إن شاء الله تعالى .

و من بحر افريقية و صقلية يخرج المرجان ، و الجزائر بتلك النواحي
 ٥ كثيرة ، فأما مجدونية فهي قاعدة الروم إلى الأغرقيين ، و منها
 أرسططاليس فيلسوف الروم ، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع ٣ من
 أخباره إن شاء الله تعالى . و أما مدراقة فحدها من المشرق إلى القسطنطينية
 من ناحية الجنوب تمتد إلى ناحية الأسبان و تصل من بلاد طشاله
 و زعموا أن أهلها أول من عمل اللحم و ابتدعوا رياضة الخيل و البيطرة .
 ١٠ و قيل إن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أول من ركب خيل
 و كانت وحوشا فأوحى الله إليه آية الخيل فدعى بها « هاه هاه » فأمكن من
 نواصيها فركبها هو و ولده بعد . فعناق الخيل ينسب إليهما فيقال الخيل
 العربية . و أفضل المراكب للانسان و أعجب للنفس و أطرب لها الخيل ،
 ١٥ فان لها فضلا و شرفا باذخا على سائر الدواب . و ذلك لما جاء في الخبر

(١) و صحتها « مقدونية » أي Macedonia .

(٢) و صحتها « الاغريقيين » أي The Greeks .

(٣) في الأصل : لمعا .

(٤) و صحتها « تراقيه » أي Thrace .

(٥) أي Thessalia .

(٦) في الأصل : فدعا .

عن وهب بن منبه أنه قال : لما أراد الله خلق الفرس قال للريح الجنوب
أنى خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائى ومذلة لأعدائى وجمالا لأهل
طاعى، فقبض من الريح قبضة فخلق منها فرسا فقال : سميتك فرسا وجعلت
الخير معقودا بناصيتك والغنائم بحوزة على ظهرك والغنى معك حيث
كنت أركاك ، يعنى بسعة الرزق على غيرك من الدواب وجعلتك سرمدا ٥
تطير بالأجناح فأنت للطلب وأنت للهرب ، وأسأجعل عليك رجالا
يسبحون فتسبحنى ٢ إذا سبحوا ويهللون فتهللنى ٣ إذا هللوا ويكبرون
فتكبرنى ٤ إذا كبروا . وسأئى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر الخيل
وشيثانها وإكرامها وما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

جزيرة اقريطش • سميت باسم رحل مجوسى يقال له اقريطشنس يحمل ١٠
منها لعسل النحل والجن الكثير لمصر والشام وتسمى بلغة الفرنج كندباه .
جزيرة ابريته ٦ بين رودس و اقريطش يحمل منها إلى مين مصر
العسل النحل والزيت .

جزيرة سردانية ٧ يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل و كان صاحب برشلونه ١٥

(١) فى الأصل : و انما . (٢) فى الأصل : تسبحى .

(٣) فى الأصل : تهللين . (٤) فى الأصل : فتكبرين .

(٥) جزيرة Crete وقاعدتها Candia .

(٦) لم نستطع تحقيقها وتحديدتها . وأغلب الظن أنها إحدى مجموعة الجزر المعروفة

باسم Dodecanese .

(٧) ذكر سردانية Sardinia ولم يذكر قرسقة Corsica وهما صنوان لا يفترقان

فى ذكر جزائر غرب بحر الروم .

أرسل إلى صاحب سردانية^١ هدية فيها جارية جميلة فلما أراد الاجتماع بها أخبرته أنها حامل من صاحب برشلونه فأنزل عنها إلى أن وضعت ولدا سماه جرد شيربوريا فلما كبر الولد عرفته أمه بأبيه وبال ٢٠٠٠٠ الأندلس فقال: إذا لم تكن هذه البلاد بلادى و أبى صاحب برشلونه ٥ فاحملوني إليه فحملوه إليه وعرفوه أنه ولده من الجارية المهداة^٢ بجملة الهدية. فغضب صاحب برشلونه وقال: لم لا عرفني به وهو حمل^٣ في بطن أمه؟ وسردانية بها معادن القضة الخالصة. فأنى تبرشلوني في مراكبه بجيوشه إلى سردانية معه ولده الذى من الجارية المذكورة، فأناه صاحب سردانية سلم عليه فلم يرد السلام عليه وقال: كيف يكون لى عندك ولد ١٠ ولم تعلنى به من أول وهلة حتى ولد وكم ذكرت^٤ أمه لك ذلك من قبر فلولا أنه طلب الحضور لى عندى ما كنت أحضرته؟ فقال: كان عندى فى اجل مكان إلى أن نميز فعرفناه فطلب السفر إلى حضرة الملك فأرسلته له. فلما سمع البرشلونى ذلك منه كرم له [كومين^٥] كبيرين الواحد دنانير و الآخر تراب^٦ وقال لصاحب سردانية: اختر كوما منها. فأشرف إلى الذهب فقال: خذه وأخرج عن هذه الجزيرة. إلا قاتلتك بهذا الجيش الضخم ١٥ وانتزعت جميع أموالك وجعلتك جالسا على مثل هذا الكوم التراب

(١) فى الأصل: سروانيه .

(٢) مضموسة جزئيا .

(٣) فى الأصل: المهدية .

(٤) فى الأصل: حملا .

(٥) فى الأصل: و ذكرت . والواو زائدة .

(٦) الكلمة مكررة فى الأصل .

(٧) غير موجودة بالأصل، و أضفناها لتام الجملة و اسجام السياق .

(٨) فى الأصل: ترابا .

الذى تراه لا تملك غيره . فجمع صاحب سردانية حينئذ ماله ورجاله وأهله [بن ١٢٣ : ب] وعياله وترك^١ للبرشلونى جزيرة سردانية وخرج منها لعدم طاقته به ، فحينئذ ولى البرشلونى ولده جرد شبر بوريا جزيرة سردانية . وأقام لها جيشا ضخما من جيوشه ، فصاله معادن الفضة كما لها يحمل جرد شبر بوريا لآتيه فى كل سنة حملا ٢ منها مع حمل خراجها ٥ خارجا عن كفاية جيشها . ولما توجه المسلمون فى خلافة بنى أمية إلى جزيرة سردانية أصاب الناس فيها غنائم ففعلوا منها غنائم كثيرة . والغلول الحياثة فى الغنائم ، ففعلوا تلك المغائم وما غلوه أيضا ٢ منها فى المراكب وركبوا فيها ، فلما توسطوا البحر سمعوا مناديا ينادى و يقول : اللهم غرق بهم ا فدعوا الله و تقلدوا المصاحف فما لبثوا أن جاءتهم ريح عاصفة ١٠ وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرقوا . وقيل إن أهل سردانية لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى جهة فى البحر وضعوا أوانيهم الذهب والفضة فيها وعمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفا من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، فنزل رجل من المسلمين يغتسل فى ذلك الموضع الذى جعلوا فيه أوانيهم الذهب والفضة ١٥ فوقعت رجله على شيء فأخذه فاذا هو صحيفة من فضة ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر . فلما علم المسلمون بذلك حبسوا الماء وأخذوا جميع تلك الآنية . ودخل رجل معه قوس بندق إلى تلك الكنيسة التى رفعوا

(١) فى الأصل : وترك .

(٢) فى الأصل : حملا .

(٣) تكررت الكلمة بالأصل بعد « منها » .

بين سقفيها ما لهم^١ فنظر إلى حمام فرماه بيندقه فأخطاه فأصاب خشبة من السقف فكسرها فأنهال عليهم المال فقل المسلمون يومئذ غلولا كثيرا فكان الرجل يأخذ الهر فيذبحه ثم يحشوه بما غل من المال ثم يخيט عليه ويرمى به إلى الطريق ليتوهم من يراه أنه قط ميت فاذا خرج أخذه،
 ٥ وكان الرجل يزع نصل سيفه فيطرحه ويملا غلافه غلولا ويطرح قبضة السيف على الغلاف، فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا مناديا ينادى: اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعا وذلك بسبب غلولهم. قال الله تعالى "و من يغلل يأت ٢ بما غل يوم القيمة ٣". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. وقد جاء في الآثار أن الذين يغلون يعي يخونون من الغنائم فيأتون بغلولهم ثم يلتق في بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم ليتها إلى قعره - لا يعلم قعره إلا الذي خلقه - فيغوصون ما شاء الله تعالى ثم يخرجون رؤسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك مقمع من حديد فيهوى به إلى رأسه فذلك ١٥ عذابهم أبدا.

[قصة يوشع بن نون]

ويروى أن يوشع بن نون لما أمره الله تعالى بقتال الجبارين سار

(١) في الأصل: ما لم.

(٢) في الأصل: يأتي.

(٣) قرآن كريم: ٣: ١٦١.

بنى إسرائيل إلى بلاد الشام وقد غلب عليها العماليق فسار إلى الشميدع ملك مجنوده فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديدا حتى غربت الشمس فدعى الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه و زاد في النهار يومئذ، فهِمَّ الجبارون واقتحموا عليهم يقتلونهم، فكانت الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها فلا يقطعونها، فأمرهم يوشع أن يقربوا ه غنائمهم تلك إلى الله تعالى فلم تزل النار تأكلها، وجاء رجل إلى يوشع فصافه فالتصقت يده بيده فقال سلم ما عندك فأناه بر ٣٠٠٠٠ ثور من ذهب مكللا باليواقيت والجواهر . وكان قد غلّه فجعله في القربان وجعل الرجل معه فأكلتها النار (ر) . و الغلول فهو محرم بالإجماع فقد قال الله تعالى : ” ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة “ . قال أبو هريرة : قام ١٠ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره وقال : أليس أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء يقول : يا رسول الله أغنى ! فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . ثم إن مذهب مالك يؤدب ولا يحرق رحله ولا يمنع سهمه من الغنيمة ، أما أدبه فظاهر لتعديه . و أطلق أهل مذهب مالك القول [بن ١٢٤ : تلف] بأدبه ، و شرط الشافعي ١٥

(١) يرض بالأصل .

(٢) في الأصل : فدعا .

(٣) بقية الكلمة مطموس ، وربما كانت الكلمة : برأس .

(٤) مطموس بالأصل .

(٥) قرآن كريم ٣ : ١٦١ .

(٦ - -) في الأصل : بات بما غل . وهو ما لا يتفق والآية .

في أدبه أن يكون عالماً بالنهاي وهو ظاهر ، وإنما لا يحرق رحله فهو
مذهب الشافعي وأبي حنيفة . وقال الأوزاعي يحرق رحله بالأسلحة
والثياب ولا ينزع منه فرسه ولا يحرق الشيء الذي غلّ ، وقال الحسن :
يحرق جميع متاعه إلا أن يكون حيواناً أو مصحفاً ، والغلول إما مطلقاً
٥ وإما في الغنمة . وإذا بعث الإمام بسرية من بلد الإسلام بتقدمة ليجها
فغنمت قبل خروجه فقال أشهب : الغنمة للسرية والجيش ومن حضر
القتال ثم مات قبل القسمة فحقه في الغنمة ثابت يأخذه ورثته - انتهى .
نعود ، قيل إن يوشع بن نون فتح الله له مائة وثلاثين مدينة
من أرض الشام والجزيرة وقتل مقاتلتهم ، وسبأ ذراريهم وأموالهم .
١٠ قال كعب الأجبارة : وما أحلت الغنائم قبل محمد صلى الله عليه وسلم
إلا ليوشع بن نون وأحلت أيضاً لنينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت
الأنبياء عليهم السلام يعزلون الخمس فتجىء النار فتأكله . وأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بأن تقسم الغنائم في فقره أمة وذلك من خصائصه
صلى الله عليه وسلم . وكانت الصحابة رضوان الله عليهم لا يلتصون من
١٥ الغنائم شيئاً حتى يقسم عليهم هو بنفسه صلى الله عليه وسلم ، بل كان كل
من أصاب منهم شيئاً أتى به طرّحه في الغنائم ، فبركة فعلهم ذلك وإخلاصهم
واعترافهم بنعمة الله تعالى عليهم ٢ [١٧٢ : الف] وملازماتهم فعل الحق

(١) في الأصل : مطلقاً .

(٢) جائز قراءة الكلمة « ليتبعها » نظراً لسقوط النقط من الأصل .

(٣) هنا ينتهي القسم الساقط من حيث يتألف الكلام في كلا المخطوطين
بعد ذلك . وخاتمة الكلام في بن ١٢٤ : الف سطر ١١ .

والصدق والعدل وتواضعهم لله تعالى فتحت لهم البلاد، وأطاعهم أهل العناد. وبنفس القول منهم والكلام أطاعتهم السباع والهوام، وكما روى أن عقبة بن نافع الأنصاري لما فتح أرض مزاته انصرف إلى جزيرة إفريقية فأتى وادي القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأدى إليه الوحوش والسباع والهوام. فنادى بأعلى صوته: ه يا أهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فأننا نازلون. فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش ولا الهوام إلا خرج. وحدث الليث بن سعد أن عقبة ابن نافع لما أتى وادي القيروان وقف على رأس الوادي وقال: اظعنوا فأننا نازلون. قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون من حين ١٠ أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس وحتى لم يروا منها شيئا، فزلوا الوادي عند ذلك. قال الليث: فحدثني زياد بن العجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ٣ ولو التمت ٢ حية أو عقرب بألف دينار ما وجدت.

[قصص عن زيد بن أسلم وأبي بكر الصديق] ١٥

قال زيد بن أسلم: خرج من المدينة رجل غازيا فاتبته امرأة إلى

(١) في بن [١٢٤ : ٩] : أطاعهم .

(٢) في الأصل : بأعلا . وهي كذلك في بن .

(٣-٣) في بن : والتمت .

(٤) الجملة سابقة من بن ابتداء من « قال زيد » لغاية « الصبي يتحدث بذلك » .

باب دارها وهي حامل. فلما ودعته أشار يده إلى بطنها وقال: استودع الله ما في بطنك، فقضى أنها ماتت بعد سفره بأيام قلائل، فدفنت وجنيتها في بطنها، فروى^١ على قبرها نور ساطع، فشاع ذلك في الناس. فكان يرى ذلك النور في كل ليلة حتى قدم زوجها من^٢ الغزاة، فأخبر بخبرها، فخرج إلى القبر ليلا. فانصدع قبرها، فاذا المرأة قاعدة في أكفائها والصبي في حجرها، قالت له: دونك يا فلان ما استودعت الله تعالى نخذه، ولو استودعتنا لو جدت. فأخذ الصبي منها حيا وانطبق القبر عليها. قال زيد بن أسلم: رأيت الصبي بعد ذلك يمشي مع الصبيان في أزقة المدينة. قال هشام ابن سعد: ولقد سمعت أن^٣ الصبي يتحدث بذلك. ^٤ ومن ذلك ما جعله الله في أمة النبي عليه السلام بعد وفاته وفي صحابته من الكرامات من إجابة الدعوات والخبر عن لغائبات، منها أن الحارث^٥ المحاسبي أحد المشايخ^٦ الصالحين المذكورين^٧ في رسالة القشيري كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فيمتنع من أكله. فان قيل

(١) في الأصل: فرى.

(٢) لعل الكلمة «مع» بدلا من «من».

(٣) استؤنف الكلام في بن من هنا [١٣٤: ألف].

(٤) زيد في بن: تعالى.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) عن بن، وفي بر: مشايخ.

(٧) عن بن. والكلمة في بر: المذكور.

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه ^١ أولى بكل منزلة من سائر الأئمة، وقد وزن بالأئمة فرجح . وقد روى أنه قدم له لبن فأكل منه فوجد كدبرته في قلبه . فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقال غلام [١٧٢ : ب] له : كنت أنكهت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتى فاشتريت منه ذلك اللبن . فتقيأه أبو بكر ثم قال : والله لو لم يخرج إلا بمصارينى لأخرجتها ^٥ فكيف شرب اللبن الذى فيه شبهة ولم تظهر له شبهة ^٢ ؟ قيل إن من حسن ^٤ اختيار الله ^١ لأبى بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثبه الله ^١ على ذلك ، وأيضاً يجعله قدوة للعباد فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة . وأيضاً من حسن ^٥ اختيار الله ^١ لآدم أكله ^٦ من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب ^٧ من الفعل فيكون قدوة ^{١٠} للتائبين ^٨ وحتى يتعرف إلى الله ^١ بحلمه فيعرف ^٩ أنه أكرم الأكرمين . ويوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه ^٩ أنه اللطيف بعباده المؤمنين .

(١) زيد فى بن : تعالى .

(٢) فى بن : فأخرجته .

(٣) فى بن : شبهته .

(٤) فى الأصلين : أحسن .

(٥) كذا فى بن وهو الصحيح ، وفى بر : أحسن .

(٦) فى الأصلين : وأكله . - والواو زائدة .

(٧) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : يقرب .

(٨) فى بن : للتائبين .

(٩) فى بن : فيعلم .

و ليكون أكل الشجرة سببا في النزول ، و النزول سببا في الخلافة .
 فأكرم بها المعصية أورثته الخلافة . قال تعالى : ” إني جاعل في الأرض خليفة “ فهو أول خليفة و نبي ٣ . و النبيون جمع نبي ، و النبي فعيل من
 النبأ الذي هو الخبر ، و النبوة هي الارتفاع ، و كلا المعنيين صحيح أن ٤
 ٥ يشق منه اسم النبي ، لأن الأنبياء عليهم السلام أرفع الناس منزلة ،
 فلهم النبوة على جميع الخلائق أى الارتفاع ، و هم ٥ أيضا على نبأ الله
 أى خبره ، إذ هم معادن الوحي الذي هو خبر الله تعالى . و قد ختمت
 الأنبياء ٦ بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبي القاسم ٧

(١) زيد في بن : من .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٣٠ .

(٣) زيد في بن [١٢٤ : ب] و لما داق آدم لذة الجنة و طيب المناجاة في الهبوط
 جرت الأنهار من دموعه فلا يوزن بكمائه بكاء أحد ولا يقلقه بقله بقل مخلوق
 ما كان سكون آدم إلا أنه قال : يارب إني تبت و أصلحت أراجعي أنت إلى
 الجنة ؟ فقيل : نعم ! (بياض بالأصل) .

إذا ما ادعينا سلوة عن هواكم حرى الدمع فكذب دعوانا
 فليت الوشاة حين بثت حديثنا إليها دموع العين رقت لبوانا - انتهى
 فلذلك الآن ما قبل في النبيين : النبيون جمع نبي - الخ .

(٤) في بن : إذ .

(٥) - انظة من بن .

(٦) زيد في بن : عليهم السلام .

(٧) في بن : القسم .

المتصل نسبه إلى معد بن عدنان المقرون ذكره مع ذكر الله ١ في الأذان
صلى الله عليه ٢ وعلى جميع الأنبياء ما هطل الغمام، وغرد الحمام، صلاة
دائمة على ممر الساعات والأيام، والشهور والأعوام. فحمد صلى الله
عليه وسلم ٣ حجة الله ٤ المؤيدة ببراہین ٥ أنواره، وفائدة الكون ونكته
أدواره ٦، وصفوة نوع البشر ومتهى أطواره ٧، المجتبي المختار موجود ٨
الوجود؛ وواسطة العقود ٩، المصطفى وديعة النور، المتقل في الجباه
الكريمة والغرر ١٠، ودرة الأنبياء، التي لها الفضل على الدرر ١١، وغمام
الرحمة الهامية الذرر، مختار الله المخصوص باجتماعه، وحبيبه الذي له
المزيد ١٢ على أحبابه، من ذرية أنبياء الله آبائه، الذي شرح صدره

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) زيد في بن : وسلم .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : براہین .

(٥) في بن : أنواره .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : العقد .

(٨) في بن : الحياة .

(٩) في بن : والغرور .

(١٠) في بن : الدور .

(١١) في بن : المزية .

و غسله ، ثم بعثه واسطة^١ بينه وبين العباد وأرسله ، وأتم عليه إنعامه
 وأجزله ، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله ، إلى بشرى المسيح
 والذبيح ، المخصوص بالنسب الصريح ؛ الذى جعله فى المحول^٢ غماما ،
 وللأنبياء^٣ إماما . وشق صدره لتلقى^٤ روح أمره غلاما . * وأعلم به
 ه فى التوراة والانجيل إعلاما* ، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما ،
 الشفيع الذى لا ترد فى العصاة شفاعته . [١٧٣ : الف] والوجه الذى
 قرنت بطاعة الله طاعته ، والرؤف^٥ الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل
 الحرم ضارعتة ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى
 أربا على الألف عدها ، من قر شق . وجذع يحن^٦ وحق^٧ ، وبنان ،
 ١٠ يتفجر بالماء فيقوم يرى الظماء ؛ وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره ،
 وغمام يظل به مقامه ومسيره . خطيب المقام المحمود إذا كان العرض ،
 وأول من تنشق عنه الأرض ، وسيلة الله التى لولاها ما فرض^٨ الفرض ،

(١) فى بن : بواسطة .

(٢) فى بن : المحول .

(٣) فى بن : والأنبياء .

(٤) فى بن : ليلقى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الرؤف .

(٧) فى بن : حن .

(٨) كذا فى الأصلين ، ولعل الكلمة « بحق » .

(٩) عن بن ، وفى بر : أفرض .

ولا عرف النفل و الفرض، محمد بن عبد الله المحمود الحلال، من ذى
الجلال، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء و كتب الإرسال، و آياته التى
أتلجت^١ القلوب ببرد اليقين السلسال، صلى الله عليه ما ذرّ شارق،
و أومض بارق، و فرّق بين اليوم الشامس و الليل الدامس فارق، صلاة
تأرجع عن شذا الزهر، و تبلجج^٢ عن سنا الكواكب الزهر، و تتردد^٣
بين السر و الجهر. و تستغرق^٤ ساعات الأيام و الشهر، و تدوم بدوام^٥
الدهر، و على آله و أصحابه نجوم الهدى، و مصاييح الدجى^٦، و سلم
تسلما كثيرا - فحمد^٧ صلى الله عليه و سلم سيد الأنبياء^٨ زمانا، و إن كان
أولهم منزلة و كالا، كما قال عليه السلام: كنت نبيا و آدم بين الماء
و الطين. . . و قال أيضا: أنا سيد ولد آدم و لا تغر و أنا خاتم النبيين،
و معنى خاتم كما يقال طابع و طابع خاتم^٩ الكتاب طبعه. قال الله ١٠
تعالى: "و ختمه مسك"^{١٠} و سمي نبينا محمد عليه السلام خاتم النبيين
لما كان آخرهم. قال ابن الفارض:

(١) فى بن: تجلجت. و بهامشها: اتجلجت.

(٢) فى بن وردت هذه الأفعال بياء المضارعة بدلا من تائها فى بر كما فى النص.

(٣) فى الأصول: الدجاء.

(٤) فى بن: مجد.

(٥) زيد فى بن: خاتمهم فهو خير الأنبياء.

(٦) ساقطة من بن.

(٧) فى بن: خاتم.

(٨) قرآن كريم ٨٣: ٢٦.

وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا له ختما على حين فترة
وما منهم إلا وقد كان داعيا به قومه للحق عن تبعية
أمر الله عز وجل كل نبي بأتباعه . وقال ابن الفارض أيضا :

فعلنا منهم نبي و من دعا إلى الحق منا قام بالرُسُلِيَّة١

هـ قال العفيف التلسانی : أى من جملة الأنبياء المذكور^٢ فهو نبي و منه قوله
عليه السلام «علياء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل» . وقال ابن الفارض :
ومن كان منهم معجزا صار بعده كرامة صديق له أو خليفة
تقديره أو خليفة له .

بعزته استغنت عن الرسل الورى وأصحابه و التابعين الأئمة^٣
١٠ كرامتهم من بعد ما خصهم به بما خصهم من إرث كل فضيلة
[١٧٣: ب] فمن نصره الدين الحنيفي بعده قتال أبى بكر لآل حنيفة
و سارية الجاه للجل الندا . من عمر و الدار غير قرية
ولم يشغل عثمان عن ورده وقد أدار عليه القوم كأس المنية

(١) في بن : بالرسالة .

(٢) ساقطة من بن [١٢٥ : الف] .

(٣) في بن : والأئمة .

(٤) في بن : لأبى .

(٥-٥) في بن : الجارية الجل .

(٦) في بن : يشعل .

و أوضح بالتأويل ما كان مشكلا على بعلم ناله بالوصية
و سائرهم مثل النجوم من اقتدى بأبهم منه اهتدى بالنصيحة
و للآولياء المؤمنين به ولم يروه اجبا قرب لقرب الأخوة
مبنى على قوله عليه السلام : « واشوقاه إلى إخواني » .

و قريبهم معنى له كاشتياقه لهم صورة فاعجب بحضرة غيبة^٥
فهم بمعنى إليه و لهم و المعنى أنهم بالمعنى قريبهم إليه و بالصورة^٣ شوقه
إليهم فهم حاضرون بالمعنى غائبون بالصورة - انتهى^٢

[لمع من أخبار أبي بكر وعمر و عثمان]

و سأذكر^١ لمعا من أخبار أبي بكر^١ و عمر و عثمان و على رضى الله^١
عنهم . أما أبو بكر فاسمه عبدالله بن أبي قحافة ، أمه أم الخير بنت ١٠
صخر بن عامر ، لبث في خلافته سنتين و أربعة أشهر إلا عشر ليال^١
و توفي بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان^٢ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

(١) عن ابن ، والكلمة في بر : واشوقا .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : غيبة ... و هو خطأ قلبي .

(٣) الجملة واردة في بن و ساقطة من الأصل بر .

(٤) في بن : فلنذكر الآن .

(٥) في الهامش : مناقب الإمام أبي بكر الصديق .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) في الهامش : مطلب . مناقب أبي بكر الصديق و باقي الصحابة .

عشرة من الهجرة . و كان أزهد الناس و أكثرهم تواضعا في أخلاقه
و لباسه و مطعمه ، و كان لباسه في خلافته الشملة و العباءة . و قدم إليه
زعماء العرب و أشرافها و ملوك اليمن و عليهم الحلل و برود الوشي
المثقل بالذهب و التيجان و الحبر ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس و الزهد
ه و النك و التواضع ، و ما هو عليه من الوفاء و الهيبة ، ذهبوا معه
و نزعوا ما كان عليهم . فكان ممن وفد عليه ٢ من ملوك اليمن ٢ ذو الكلاع
ملك حمير و معه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته و عليه التاج
و ما وصف آنفا ، فقلع ما كان عليه و تزينا بزى أبي بكر ، و رثى ٣
أبو بكر يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة . فخرجت
١٠ عشيرته لذلك و قالوا : لقد فضحتنا بين المهاجرين و الأنصار و العرب .
فقال لهم : أفأردتم أن أكون جارا في الجاهلية جارا في الإسلام ؟
لا ! ها الله لا يكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله و الزهد في هذه الدنيا
الفانية . و تواضعت الملوك و ممن وفد عليه من الوفود بعد التكبر ،
و تذللوا بعد التجبر . و لم يتقلد أحد الخلافة و أبوه باق غير أبي بكر

(١) كذا في بن ، و هي في بر : عليه .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصل بر : و روى . و في بن : روى .

(٤-٤) في بن : كذلك و قالت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، و في بر : التواضع .

رضي الله عنه . وكان له من الولد عبد الله و عبد الرحمن و محمد . فأما
عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم [١٧٤ : الف]
فلحقته جراحة ، و بقي إلى خلافة أبيه ، و مات في خلافة . و خلف
سبعة دنانير فاستكثرها أبوه . و لا عقب لعبد الله . و أما عبد الرحمن
ابن أبي بكر فانه شهد يوم بدر مع مشركي مكة ، ثم أسلم فحسن إسلامه . ٥
و لعبد الرحمن عقب كثير بدو و حضر ناحية الحجاز مما يلي الجادة عن
طريق العراق . و محمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، و منها
عقب جعفر بن أبي طالب ، و تزوجها أبو بكر بعد مقتل جعفر ، ف خلف
عليها محمد ٣١ ، ثم تزوجها بعد موت أبي بكر علي بن أبي طالب فأولدها
أولادا . و كان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قریش لنفسه . زهده . ١٠
و مات أبو قحافة جده في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشر
للهجرة .

[عمر بن الخطاب و مناقبه]

ثم خلف من بعد أبي بكر عمر بن الخطاب بن قنيل* ، فلبث في
خلافة* عشر سنين و ثلاثة أشهر . ثم طعن يوم الأربعاء ١٥

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : عهد .

(٤) في الأصلين : يدعى .

(٥) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

(٦) في بن : الخلافة .

لسبع بقين من ذى الحجة سنة أربع و عشرين من الهجرة ، فلبث في طعنته ثلاثة أيام يصل في ثيابه التي طعن فيها و توفي . وكان يلقب بالفاروق لأن الشيطان كان يفرق منه أى يهرب عنه . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتله و من قتله إن شاء الله تعالى . و كان متواضعا خشن اللبس شديدا في ذات الله ، و كان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم و غيره ، و يشتمل بالعبادة ، و يحمل القرية على كتفه مع هبة قد رزقها . و كان أكثر ركابه الإبل و رحله مشدود بالليف ، و كذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد و أوسعهم من الأموال . و حج عمر فأنفق ٣ في ذهابه و بجيئه ستة عشر دينارا . فقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا ١٠ و أجبنا بيت مال المسلمين . و عمر رضى الله عنه له مناقب كثيرة . فتنها قوله : يا سارية الجبل ، وهذا عمر صاح بارية ، و سارية بأرض العراق مصاف للعدو ، و عمر بالمدينة على المنبر يخطب يوم الجمعة فقال سارية : هذا صوت عمر يأمرنى بالجبل ؛ فابتدروا الجبل ، فهزم العدو و أصابوا غيمة عظيمة . قال ابن الفارض :

(١) في بن [١٢٥ : ب] زيد تعالى .

(٢) في بن : بالعبادة .

(٣) الكلمة في الأصلين : نفق .

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) في بن : منها .

و سارية ألهاء للجل الندا من عمر و الدار غير قرية

و من مناقب عمر قصته مع النيل - كتب عمر إلى نيل مصر: إذا كنت تجرى بحولك و قوتك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجرى بحول الله و مته فاجر ٣ .
 فجرى حتى اليوم ٤ . و من مناقب عمر قصته مع جرة بن شهاب، و ذلك أنه [١٧٤: ب] قال لرجل: ما اسمك؟ فقال: جرة. فقال: ابن من؟ فقال: ٥ ابن شهاب. فقال: ممن؟ فقال: من الحرقه. ٤ فقال: أين مسكنك؟ ٤

(١) زيد في بن: و ذلك لما فتحت مصر في خلافته أي أهله (كذا) عمرو بن العاص حين دخل بؤنه من أشهر القبط فقالوا له أن لنيلنا سنة لا يجرى إلا بها، فقال و ما ذلك؟ فقالوا: إذا كان ثنتي عشرة خلت من شهر بؤنة عمدنا إلى جارية جميلة تكون بين أبويها و يجعل عليها من اللباس و الحلى أفضل ما يكون ثم نقيها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام. و إنما شهر بؤنه و أيب و مسرى و النيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالخلا. فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب إليه أنك أصبت في الذي فعلت و إني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابك فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر إلى نيل مصر إن كنت تجرى - الخ » .

(٢-٢) في بن: و منته فنسئل الله أن يجربك فألقى عمرو البطاقة في النيل يوم الجمعة فأصبحوا يوم السبت و قد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، و قطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى يومنا .

(٣) في الأصل: فاجر .

(٤-٤) في بن: قال مسكنك .

فقال : بحرة النار . قال : بأبيها ؟ قال : بذات لظى . قال : أدرك أهلك
فقد احترقوا . فضى الرجل إلى أهله فوجدهم قد احترقوا بالنار . ومن
مناقب عمر ' قصته مع النار ' الخارجة من الجبل ، وذلك أن نارا خرجت
من كهف جبل ، وكانت تخرج فتحرق ما أصابت . فقيل لعمر ذلك
ه فأمر أبا ٣ موسى الأشعري أن يدخلها الكهف ، فجعل أبو موسى يحتبسها
بردائه حتى أدخلها الجبل ، فلم تخرج بعد ذلك .

[خلافة عثمان بن عفان]

ثم ولي الخلافة بعده عثمان * بن عفان رضى الله عنه ، وكان
في نهاية الجود والكرم والساحة والبذل في القريب والبعيد .

(١-١) عن بن ، وهى فى بر : قصة النار .

(٢) فى بن : أصابته .

(٣) عن بن ، وهى فى بر : أبو .

(٤-٤) فى بن : بحبسها .

(٥) فى بن : عثمان .

(٦) زيد فى بن : تعالى .

(٧) زيد فى بن [١٢٥ : ب] : وبني داره بالمدينة وشيدها بالحجروا . . بس
وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنات وعبودا
بالمدينة ، وذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال
خمسون ومائة ألف دينار وخلف خيلا وإبلا كثيرة ، وفى خلافة عثمان
اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره =
فكانت

فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة كَمَلًا . و قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة
 خلت من المحرم سنة سبع و ثلاثين من الهجرة^٢ . و كانت رومة ركية
 ٢ لليهود بالمدينة تباع ماؤها^٣ من المسلمين . فقال النبي صلى الله عليه
 = بالبصرة و ابتنى [١٢٠ : الف] دوره بالكوفة ومصر والإسكندرية وترك
 بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري . كان على
 مربطه ألف فرس و له ألف بعير و عشرة آلاف شاة من الغنم و بلغ بعد وفاته
 الربع من ماله أربعة و ثمانين ألفا ، و لما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب
 و الفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الضباع و الأموال بقيمة
 مائة ألف دينار ، و مات يعلى بن منه و خلف ثمانمائة ألف دينار و ديونا
 على الناس و عقارات و غير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار . و هذا باب كبير
 وصفه فيما تملك و اقضى في أيام عثمان بن عفان ، و لم يكن قبل ذلك في عصر عمر
 ابن الخطاب شيء مما ذكر بل كانت جادة واضحة و طريقة بينة ، و كانت
 خلافة عثمان بن عفان اثنتي عشرة سنة - الخ .

و قد وردت هذه الفقرة فيما بعد في بر و لكننا آثرنا تركها هنا من بن
 لوجود بعض الاختلاف و السقط بينهما .

(١) في الأصلين : اثني .

(٢) زيد في بن : و قتل و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة و قيل لعثمان بن عفان
 و هو محصور بداره أنه يصلي للناس امام فتنة و أنت امام العامة ، قال إن الصلاة
 من أحسن ما يفعله الإنسان فإذا أحسن الإنسان ما حسن و إن أسأوا فاجتنب (!)
 إساءتهم .

(٢-٢) في بن : ليهودي يُباع ماؤها .

و سلم : « من يشتري رومة و يجعلها للمسلمين . يضرب بدلوه في دلائهم ،
 وله بها مشرب في الجنة » . فأبى عثمان بن عفان لليهودي فساومه بها .
 فأبى أن يبيعها كلها ، فاشتري نصفها بأثنى عشرة ألف درهم ، وجعلها
 للمسلمين . و كان اتفق مع "يهودي أن تكون لكل واحد منها يومه في
 الإسقاء ٢ . فكان إذا كان يوم عثمان ٣ استقى المسلمون ماء يكفيهم
 ليومين . فلما رأى ذلك اليهودي قال : أفدت عني ركتي . ثم باع
 النصف الثاني بثمانية آلاف درهم . فصار المسلمون يستقون منها بغير
 ثمن ٤ . و كان عثمان له ٥ من الولد عبد الله الأكبر و عبد الله الأصغر ،
 أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أبان و خالد و سعيد
 ١٠ و الوليد و المغيرة و عبد الملك . و أم أبان و أم سعيد و أم عمر ٦
 ٨ و أم عائشة ٩ . و كان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف ١١ لجماله و حسنه .

(١) في الأصلين : عشر .

(٢) في بن : الاستقاء .

(٣) في بن : عثمان .

(٤) في بن : استقا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : وإنما كانت المسلمون قبل ذلك يستقون منها بالشرى
 من اليهودي .

(٧-٧) في بن : لعثمان .

(٨) في بن : عمرو .

(٩-٩) في بن : وعائشة .

(١٠) في بن : المطرق .

و كان كثير التزويج^١ كثير الطلاق . و كان أبان أبرص أحول قد حل
 عنه أصحاب الحدث عدة من السنن ، و ولى لبنى مروان مكة و غيرها ،
 و كان الوليد صاحب شراب و فتوة و مجون . و قتل أبوه^٢ عثمان
 و هو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة . و بلغ عبد الله الأصغر
 ستة^٣ و سبعين يوما فقره ديك على عينه ، فكان ذلك^٤ سبب موته . ه
 و بنى^٥ عثمان داره بالمدينة و شيدها بالحجر و الكلس ، و جعل أبوابها
 من الساج و العرعر ، و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينة . و ذكر
 عيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون
 و مائة ألف دينار . و خلف خيلا و إبلا كثيرة . و في خلافة [١٧٥ :
 الف] عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع و الدور . و منهم الزبير^٦
 ابن العوام بنى^٧ داره بالبصرة . و ابتنى^٨ دوره بالكوفة و مصر
 و الإسكندرية ، و ترك بعد وفاته خمسين ألف دينار و ألف فرس و ألف
 عبد و أمة . و كذلك طلحة بن عبيد الله التيمي كانت غلته من العراق

(١) في بن : التزوج .

(٢) في بن : أباه .

(٣) في الأصلين : ستا .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصل : و بنا - و يلاحظ أن العبرة القادمة برمتها فيما يتعلق بثناء الصحابة في عهد عثمان وردت قبلئذ في بن كما هو واضح من حاشية سابقة .

(٦) في الأصل : بنا .

(٧) في الأصل : ابتنا .

في كل يوم ألف دينار . و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري كان على مربطه ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ بعد وفاته الربع من ماله أربعا وثمانين ألفا . ولما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكر بالفوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . ومات يعلى بن منه و خلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار . و هذا باب يكثر وصفه فيما تملك واقتنى في أيام عثمان بن عفان . ولم يكن قبل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شيء مما ذكر . بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة .

- ١٠ . وكانت قصة عمر رضي الله عنه في استنقائه بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : اللهم إنا كنا نستسقي بنيك صلى الله عليه وسلم إذ كان بين أظهرنا . وهذا عمه فاسقنا . فقام الله حتى فاض الماء و طفق الناس يمسحون بالعباس أركانهم . ويقولون هنيئا لك ساقى الحرمين ، وبنو العباس يفتخرون بذلك . و قيل خرج عمر يستسقي بالمدينة ومعه
- ١٥ العباس . وقد أحبطوا وخرج الناس معها ، قال : فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : أيها الناس استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمدكم بأموال وبنين . ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهار . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقي بنيك محمد صلى الله عليه وسلم ،
- (١) القصة من هنا إلى خلافة علي بن أبي طالب ساقطة من بن و يستأنف الكلام بالعبارة . وولى خلافة بعد قتل عثمان - الشيخ - مع بعض الاختلاف اللفظي .

و قد قبضته إليك ، و إذا توجه إليك بعم نيك و نستقيك به فاسقنا .
قال بعضهم ، فنظرت إلى العباس و كأن وجهه ورقة مصحف ، و عيناه
تهملان ، و سباباته تجولان ، و هو يقول : إنك لم تهمل الرعية ، و لم تدع
الكبير بدار مضية ، و قد ضرع الصغير ، و رق الكبير . فتدارك
عبادك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لم يقنط من رحمتك إلا القوم
الخاسرون . قال فتشأت طرة من غيم كالية الخروف ، ثم تفرقت في
السما و هدرت ، فاعتلقوا الحدا (كذا) و قلصوا المأزر و الملا ، و أهمت
القوم أنفسهم من شدة المطر ، [١٧٥ : ب] و طفقوا تمسحا بالعباس
و يقولون : هيا لك ساقى الحرمين و في ذلك يقول الفضل بن العباس :

بأن استقى^١ عمر فأنزل الله المطر ١٠

قال بعضهم : سمعت أعرابيا يقول : باكرنا و سمي^٢ و خلفه ولى ٣ ، فصارت
الأرض كأنها دياجة رقتاء قد أحكم نسجها ، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت
رجل من الجراد ، فأخربت البلاد ، و أهنتك العباد ، فسبحان الذى يهلك
القوى الأكل بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

إنزل الجراد عني زرعى فقلت له إنزل بخير ولا تنزل بافساد ١٥
فجاوبتنى إحداهن قائلة إنا على سفر لا بد من زاد
فالجراد إذا بات فى زرع يانع ، لم يصبح به بلغة لجائع ، بل يحصده

(١) فى الأصل : استسقا . و قد صحح مجاهد الكلمة بقلم آخر .

(٢) الوسمى أول مطر الربيع .

(٣) الولى المطر الذى يلى الوسمى .

حصداً ، ويصير أوضه سودا ، فالجراد جائحة من الجوامح ، يقال للذكر
والأنثى جرادة ؛ والجرادة تكنى أم عوف ، قال الشاعر :

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رجليتها منجلان

حكى أن الجراد وقع على زرع كان لزراعة العدوية ، فلما جاءها الخبر
ه خرجت فرأت الجراد قد ارتكبه ، فرمقت بطرفها نحو السماء وقالت :
إلهي رزقي قد تكفلت به ، فان شئت فأطعم رزقي أعداءك ١ ، وإن
شئت فأطعمه أوليائك ٢ ؛ فطار الجراد جميعه عنه .

وحكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد
كثير الذئاب ، و كان قد بلغ من ٣ التعب والجهد ، فبقي متغيراً ، إن
١٠ اشتغل بحفظ الأغنام يحجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب ، وإن
هو طلب الراحة والسكون عانت الذئاب في الأغنام ، فرمق طرفه إلى
السماء وقال : إلهي أحاط عليك ، وقذت مشيتك . ثم وضع رأسه
و نام ، فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه وهو يرعى الأغنام ،
فغضب من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى كن لي كما أريد أن كن لك
١٥ كما تريد - انتهى .

(١) في الأصل : أعداك .

(٢) في الأصل : أوليائك .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الكلمة : منه .

(٤) كذا في الأصل ، ولعل الكلمة : متحير .

(٥) في الأصل : هددت .

[خلافة علي بن أبي طالب]

١. أو ولي الخلافة بعد قتل عثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
 فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وستة عشر يوما . و قتل يوم
 الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .
 و دفن ليلا ، و أعمر قبره ٢ فنههم من قال إنه حمل إلى المدينة و دفن ه
 عند قبر فاطمة . و منهم من قال إنه حمل على جمل في تابوت ٣ ، و ان
 الجمل تاه به و وقع [١٧٦ : الف] إلى بلاد طى . و كان مولد علي ٤ في
 الكعبة ، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ٥ بن عبد مناف ، و كان إسلامه
 و هو ابن خمسة عشر سنة . و قال له ٦ النبي ٧ صلى الله عليه و سلم :
 « من كنت مولاه فعلي ٨ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه » . ٩
 و قال النبي صلى الله عليه و سلم : « أما ترتضى ١٠ أن تكون مني بمنزلة
 هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » . ١١ و بهذا الحديث سمى ١٢
-
- (١) في بن : ثم بويع لعلي ابن أبي طالب بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما .
 (٢) زيد في بن : و قد توزع في قبره فنههم من قال إنه دفن في مسجد الكوفة ،
 و منهم من قال - الخ .
 (٣) في بن : تابوته .
 (٤) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .
 (٥) في بن : هشام .
 (٦) ساقطة من بن .
 (٧) في هامش بر قلم غير قلم الناسخ « فيه نظر بين دون ذلك كما في السير » .
 (٨) في بن [٢٦ : ب] ترضى .
 (٩-١٠) في بن : الحديث سمته .

الشيعة على بن أبي طالب « الوصي » ، وقالوا فيه إنه استخلفه على أمته .
إذ جعله بمنزلة هارون^١ من موسى ، لأن هارون^١ كان خليفة موسى
على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري :

إني أدين بما دان الوصي به . وشاركت كفه كفي بصقنا

٥ . و صقن موضع حرب أهل العراق . و جمع النبي صلى الله عليه و سلم
عليا^٢ و فاطمة و الحسن و الحسين فالتقى عليهم كساءه و ضمهم إلى نفسه ،
ثم تلى^٣ هذه الآية : ” إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
و يطهركم تطهيرا^٤ “ و قال : « هؤلاء أهل بيتي » . و لقوله « إني تارك
فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا : كتب الله و عترتي » ، فتأولت الشيعة
١٠ . الرجس هاهنا الخوض في غمرات الدنيا و لذاتها . و قال النبي صلى الله
عليه و سلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله
لا ينشئ حتى يفتح الله له » ، فدعى^٥ عليا و كان أرمدا فقل في عينه
و قال : اللهم قه أذى الحر و البرد ، فكان يلبس كسوة الشتاء في الصيف
و كسوة الصيف في الشتاء و لا يضره . و قال علي بن أبي طالب : أنا أخو
١٥ رسول الله^٦ و ابن عمه لا يقولها بعدى إلا كذاب . و قال الشعبي : مثل
علي بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل ،

(١) في بن : هرون .

(٢) في هامش بر « مطلب ، أخبار سيدنا علي و إسلامه و أخبار الكساء » .

(٣) في بن : تلا .

(٤) قرآن كريم ٣٣ : ٣٣ . (٥) من بن ، و في بر « وعترتي » .

(٦) في بن : فدعا .

(٧) زيد في بن : صلى الله عليه و سلم .

أحبه قوم فكفروا في حبه ، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه . وقال
النبي عليه السلام : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما
خير منهما ٢ . وقال أبو الحسن : كان علي بن أبي طالب يقسم بيت المال
في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيء ، ثم يرش له ويقبل فيه ، ويمثل
بهذا البيت :

هذا جناسي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه
قال : وكان علي إذا دخل بيت المال ونظر إلى ما فيه من الذهب
والفضة فيقول : ايضى واصفرى وغرّى غيرى ، إني من الله بكل خير .
قال القاضي أبو حازم : إجماع الخلفاء الأربعة حجة لقوله عليه السلام :
عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى . وقيل إجماع الشيخين ١٠
لقوله ٣ : اقتدوا بالذين من بعدى [١٧٦ : ب] أبو بكر وعمر . وقال
(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) زيد هنا في بن : وكان محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية واسمها
خولة بنت جعفر من سبي النجاة ولد في صدر خلافة عمر ورأى عمر وروى عنه وعن
أبيه علي وعن عثمان وعن أبي هريرة وغيرهم وروى له الجماعة وسمته الشيعة
المهدي وهم يزعمون أنه لم يميت وأنه مقيم بجبل رضوى عنده غسل وماء ، وكان
محمد بن الحنفية من لفرسان وأولى القوة . حكى المبرد في الكامل أن أباه عليا
استطال درعا كان له من ورد فقال له نقص منها كذا وكذا خلقة فقبض محمد
إحدى يديه على ذيلها والأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي قدره
أبوه . وكان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه رعدة
لأنه كان يغبطه على قوته . وكان محمد بن الحنفية يلبس الخز ويتعمم بعمامة
سوداء .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

بعضهم يمدح الخلفاء الأربعة 'رضوان الله عليهم':

قوم هم الخلفاء الراشدون ومن أقام ربى بهم للدين أركاناً
'قوم إذا ذكرت عندى فضائلهم شمتت من جنة الفردوس ريحاناً'
منهم أبو بكر الصديق أولهم مقدم القوم أبطالا وفرسانا
٥ وبعده عمر تفاروق صاحبه ٣ ذاك الذى لم يزل للدين معوانا
ثم ابن عفان لا تنسى فضائله أعنى بذلك شهيد الدار عثمانا
وفى الإمام أبو السبطين حيدرة فضل غدا فى كتاب الفضل عنوانا
فأهل بيت رسول الله جهم' أرجو* به عند رب العرش غفرانا

[قصص وأخبار من عهد معاوية ويزيد]

١٠ وأما أبو قرضابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
يغزو سنة ، وابنه عياض يغزو سنة . ثم أسر عياض فى أرض الروم .
فكان أبو قرضابة يقوم فى مواقيت الصلاة فيقول : يا عياض ؛ الصلاة

(١-١) ساقطة من بن .

(٢-٢) هذا البيت ساقط من بر ووارد فى بن ، وجاءت لفظة « ريحانه » فيه
« ريحنا »

(٣) فى بن : صاحب .

(٤) ساقطة من بن [١٢٧ : الف] .

(٥) فى بن : أرجوا .

(٦) زيد هنا فى بن : وأما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن
الخطاب فى استساقائه بالعباس رضى الله تعالى عنهم : اللهم إنا نستقى بنبيك
صلى الله عليه وسلم إذا كان بين أظهرنا وهذا عمه [الكلمة مطموية] =

== فسقامهم الله حتى فاض الماء و طفق الناس يتمسحون بالعباس أركانهم
و يقولون هناك ساقى الحرمين ، و بنو العباس يفتخرون بذلك . و قيل خرج
عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته يستسقى بالمدينة و معه العباس و قد أنحطوا
و خرج الناس معهم ، قال فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : استغفروا ربكم
إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم
جنان و يجعل لكم أنهارا . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك محمد صلى الله
عليه و سلم و قد قبضته إليك و إنا نتوجه إليك بعم نبيك محمد صلى الله عليه و سلم
و نسئلك به فاسقنا . قال بعضهم فنظرت إلى العباس و كأنه ورقة مصحف
و عيناه تهللان و سباتاه تجولان و هو يقول : إنك لم تمهل الرعية و لم تدع
الكبير بدار مضیعة و قد ضرع الصغير و رق الكبير فتدارك عبادك قبل أن
يقنطوا فيهلكوا فإنه لن يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون . قال : فنشأت
طيرة من غيم كالیة الحروف ثم تفرقت في السماء و هدرت فاعتنقوا الحداد
و قلسوا المازر و الملا و اهتمت انقوم أنفسهم من شدة المطر و طفقوا تمسحا
بالعباس يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين . و في ذلك يقول الفضل بن العباس :

بأبي استسقى عمر فأزول الله المطر

قال بعضهم سمعت أعرابيا يقول : باكرنا وسمى و خلقه ولی ، فصارت الأرض
كأنها ديباجة رقصاء قد أحكم نسجها . فینما نحن كذلك إذ أقبلت رجل من
الجراد فأخربت البلاد و أهلك العباد فسبحان الذي يهلك الأقوى الأكل
بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

نزل الجراد على زرعی فقلت له أنزل بخير و لا تنزل بافساد
بفأوبتي إحداهن فائسلة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات في زرع يانع لم يصبح به بلقة بلانع بل يحصد حصيدا و يصير
أرضه بعد الخضرة سودا فالجراد جائحة من الجوائح و الجوائح الريح تسقط
الثمر و المطر و البرد ، و الجراد و الخليلد و الطير الغالب و انقطاع الماء فهو
جائحة في القليل و الكثير بإجماع ، و أما ما كان اكتسابه من المخاوفين المكلفين ==

الصلاة'. فيجيه عياض وهو بأرض الروم. وأما 'أبو أيوب' خالد

= ولا يمكن الاحتراس منه كالبحش والسارق فاختلف فيه، قال ابن القسم هو جائحة وقال نافع البحش ليس بجائحة دون السارق. انتهى
نعوذ ونقول للذكر والأنثى جرادة والجرادة تكنى أم عوف.
قال الشاعر:

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رجليها منتخلان (كذا)
الجرادة رجلا عاسية ورأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر
أسد وجناحا جناح نسر ورجلها رجل حما (مه!) وذنبها ذنب حية. وقال
الشاعر في النمل والعصفور والجراد:

ثلاثة في الأرض لا تراد النمل والعصفور والجراد
حكى أن الجراد وقع على زرع كان لرابعة العدوية فلما جاءها انطبر خرجت
فأرأت الجراد قد ارتكبه فرمقت طرفها إلى السبله وقالت إلهي رزقي قد تكففت
به فان شئت فأطعم رزقي أعداءك وإن شئت فأطعمه أوليائك. فطار الجراد
عنه. وحكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير
الذئاب وكان قد بلغ به الجهد فبقي متحيرا إن اشتغل بنظر الأغنام [١٢٧: ب]
عجز عن ذلك وغلب النوم عليه والتعب وإن هو طلب الراحة والكون
عانت الذئاب في الأغنام فرمق طرفه إلى السماء وقال إلهي أحاط عدك ونفذت
مشيتك، ثم وضع رأسه ونام فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه
وهو يرعى الأغنام فعجب من ذلك فأوحى الله تعالى «يا موسى كن لي كما أريد
أكن لك كما تريد». انتهى.

نعوذ، وأما أبو قرضابة - الخ.

(١) ساقطة من بن.

(٢-٢) في بن: ومن ذلك قصة أبي أيوب. - وبهامش بر: قصة أبي أيوب
خالد مع يزيد بن معاوية.

ابن زيد مع يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية ' فانه مات بها ' ،
 وقبر ' في سور القسطنطينية ، فأشرف أهل القسطنطينية فقالوا ٣ :
 إنما فعلتم هذا بعظيم من عظمائكم أحب أن يجاهدنا حيا وميتا ، فان
 رحلتم لنخرجته . فقال يزيد بن معاوية ٤ : فان فعلتم لا مررت بكنيسة
 ما بيني وبين الشام إلا خربتها . قالوا : فالتاركة . فارتحل يزيد ٥ بن
 معاوية ٦ وتركهم . وكانوا إذا حلوا كشفوا عن قبره ، فاستقوا به
 فيزل لهم المطر . وكان يزيد بن معاوية ٦ قد أحب أريئب بنت
 إسحاق ٧ في أيام والده معاوية ٨ ٩ وبلغ والده محبة لها ، فتجبل له
 على أن يزوجها بها ، فما نعت حيلته . و ساذكرها إن شاء الله تعالى ٩ .

قال عبد الملك بن عبدون الحضرمي في كتابه الموسوم بالدرة ١٠
 'الفريدة في شرح القصيدة الموسومة بزهر الكامة' ١١ و قطر الغمامة ١٢ ،

(١-١) في بن : ومات أبو أيوب خالد بن زيد بها .

(٢) زيد في بن : بها .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : معاوية وحكمه ٤١ - ٦٠ / ٦٦١ - ٦٨٠ م وحكم يزيد ٦٠ - ٦٤ هـ /

٦٨٠ - ٦٨٣ م .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : ابن أبي سفيان - وبها مش بر : قصة يزيد مع أريئب بنت إسحاق .

(٧) في بن : إسحاق .

(٨-٨) في بن : قبل أن يلى الخلافة .

(٩-٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) في بن : الكلام .

(١١) في بن : الغمام .

قوله^١ فيها :

وفي ابن هند^٢ وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة^٣ الألباب والفكر^٤
فقال في^٥ شرح هذا البيت بعد أن ذكر خبر معاوية^٦ وأمه هند وولدهما
يزيد^٧ أن أرينب بنت إسماعيل^٨ زوج عبد الله بن سلام القرشي ، وكان
عبد الله هذا واليا على العراق . وكانت أرينب هذه من أجل نساء وقتها
وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية^٩ سمع بحماها^{١٠} وما
هي عليه^{١١} من الأدب وحسن الخلق والخلق ، ففتن بها ، فلما عيل صبره ذكر
ذلك لأبيه معاوية^{١٢} ، فقال له معاوية^{١٣} : مهلا يا يزيد . فقال يزيد : علام تأمرني
يا أمير المؤمنين بالمهل [١٧٧ : الف] وقد انقطع منها الأمل ؟ قال

(١) في بن : وقوله .

(٢) في بن : غندر .

(٣) في بن : بمعضلة .

(٤) هذه القصيدة لأبي محمد عبد المجيد بن عبدون . راجع « نهاية الأرب » .

ج ٥ ص ١٨٨ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : إسماعيل .

(٨) في بن : معاوية .

(٩-٩) في بن : بما عليه .

(١٠) في بن : الأصل .

معاوية : فأين عقلك و مروءتك ؟ فقال له يزيد : قد عيل العقل ٢ ،
ولو كان أحد ينتفع فيما يتلى به من الهوى لكان أولى الناس بالبصر
عليه داود حين ابتلى به ٣ . قال له : اكنم بابني خبرك ، فان البوح
به غير نافعك ، والله بالغ أمرد فيك ، ولا بد عما هو كائن . وأخذ معاوية
في الحيلة يريد رضى ولده فيها ، فكتب معاوية ٤ إلى عبد الله بن سلام ه
زوج أرينب ، وكان استعمله على العراق : أن ' اقبل لأمر فيه حظك
إن شاء الله ولا تأخر . وكان عند معاوية ٥ يومئذ بدمشق أبو هريرة
و أبو الدرداء ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أمر معاوية ٦ أن ينزل
منزلا قد هياه له . ثم قال لأبي هريرة و أبي الدرداء : إن الله قد قسم
على عباده نعماً ٧ و أوجب عليهم حفظها ، فحباي عز وجل بآتم الشرف ٨
و أفضل الذكر ، و أوسع على رزقه ٩ ، و جعلني راعى خلقه ، و أمينه في
بلاده ، و الحاكم في أمر عباده ، ليلوني أشكر أم أكفر ، و قد بلغت
لى ابنة أريد تزويجها في تنحل من يتزوجها . لعل من يكون بعدى يقتدى ١٠
بهدني . و يتبع فيه أثرى ، فانه قد يلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه

(١) في بن : معاوية .

(٢) في بن : و العقل .

(٣) في هامش بر بغير قلم الناسخ : انظر قيسح اعتذاره و تهوره و كيف احتج
على غلبة هواه بنبي الله و خليفته .

(٤) في بن : بأن .

(٥ - هـ) الجملة ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : فيه .

زهو الشيطان إلى تعطيل بناتهم ولا يرون لمن كفوا ولا نظيرا . وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه . فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء : إن أولى الناس رعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه بها منها ، لأنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبه وصهره . قال معاوية^٢ : فاذكرا لعبد الله بن سلام ذلك غنى ، وقد كنت جعلت لها في نفسه^٣ شورى ، غير أنى أرجو ألا تخرج من أمرى^٤ ، إن شاء الله تعالى . فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية^٥ . ثم دخل معاوية^٦ على ابنته فقال لها : إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر^٧ عبد الله بن سلام وتزويجى إياك منه وحضاك على المسارعة إلى هوائى فقولى لهما^٨ : عبد الله كفؤ وقريب حميم . غير أن تحته أرنب بنت إسحاق^٩ ، وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول منه ما يسخط الله فيه ، فيعذبنى عليه^{١٠} ، ولست بفاعلة حتى يفارقها .

(١) زيد بن [١٣٨ : الف] : لهما .

(٢) فى بن : معاوية .

(٣) واردة فى بن ، وساقطة من بر .

(٤) فى بن : اربى .

(٥) فى بن : لهم .

(٦) فى بن : اسحق .

(٧) ساقطة من بن .

فلما ذكر ذلك ١ أبو الدرداء وأبو هريرة لعبد الله بن سلام ، وأعلمها
بالذي ٢ أمره معاوية ، فرح بذلك وحمد الله وبعثها إليه خاطبين عليه .
فقال لها معاوية ٣ إذا جاءه خاطبين : قد تعلمان رضائي به [١٧٧ : ب]
وحرصى عليه ، ٤ وكنت قد ٥ أعلمتكما الذي جعلت لها في نفسها من
الشورى ، فادخلا عليها ، واعرضا الذي رأيت لها ٦ ، فدخلتا عليها ه
وأعلمها ذلك ٧ . فقالت لها كالذي ٨ قال لها أبوها ، ٩ وأعلمها بالذي
ارتضاه لها أبوها ٩ ، فأعلمها عبد الله بن سلام بذلك . فلما ظن ١٠ أنه لا يمنعها
منه إلا عدم ١١ فراق زوجته أرنب ، أشهدهما على طلاقها ، وبعث بهما إليه
خاطبين . وأعلمها معاوية ٣ بالذي كان من فراق عبد الله امرأته طالقا ١٢

(١ - ١) الاسمان معكوسان في بن .

(٢ - ٢) في بن : امرها به معاوية .

(٣) في بن : معاوية .

(٤ - ٤) في بن : وقد كنت .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : الشورا .

(٦ - ٦) في بن : ذلك عليها .

(٧) في بكلمة « الشورى » زائدة وهي غير موجودة في بن وهو الأصح .

(٨) في بن : الذي .

(٩ - ٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) في بن : علم .

(١١) ساقطة من بن ، برو واردة في بن .

(١٢) ساقطة من بن .

لما رضى ابنته ، فأظهر معاوية^١ كراهية لفعله^٢ وقال^٣ : ما استحسنت له
 طلاق^٤ امرأته . وأقام عبد الله بن سلام ينتظر إنجاز الأمر ، فقالت
 ابنة معاوية^٥ : إن أرينب بنت إسحاق^٦ ذات حظ من الجمال ، وقد بان لي
 من أمر^٧ هذا الرجل أنه ملول مطلق ، وأخشى عاقبة أمرى معه . فتوقف
 الأمر إذ ذاك : وأمر معاوية^٨ أبا الدرداء أن يتوجه إلى العراق وكيلا
 في خطبة أرينب بنت إسحاق^٩ ليزيد ولده . فتجهز وتوجه إلى العراق ، فلما
 وصل الكوفة مر بالحسن بن علي بن أبي طالب مسلما^{١٠} عليه ، وسأله الحسن عن
 أمره ، فأعله الخطبة ليزيد بن معاوية^{١١} على أرينب بنت إسحاق قال له^{١٢} : اعرضني
 عليها في خطبتك . فلما دخل عليها أبو الدرداء قال لها : إن عبد الله بن سلام !
 ١٠ بت^{١٣} طلاقك^{١٤} ، وقد جئتك خاطبا ليزيد ابن^{١٥} "أمير المؤمنين" معاوية^{١٦}
 وهو صاحب عقده ، وولى أمره^{١٧} ، والخليفة من بعده ، ومن عند الحسن

(١) في بن : معاوية .

(٢) في بن : فعله .

(٣) « وقال » مكررة في بر .

(٤) عن بن ، وفي بر : خلاف .

(٥) في بن : اسحق .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في بر : مسلم . وفي بن : فلم عليه .

(٨) زيد في بن : منذ كذا وكذا وقد انقضت عدتك .

(٩) في الأصل : بن .

(١٠ - ١٠) ساقطة من بن .

(١١) في بن : عهده .

ابن^١ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة^٢، وقد بلغك سناؤهما وفضلها، وجئتكم خاطبا عليهما، فاخترى أيهما شئت . فكتت طويلا ثم قالت: يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب لاستخصت^٣ فيه^٤ الرسل إليك، واتبعت فيه رأيك، ولم أقطعه دونك، فأما إذا كنت المرسل فيه، فقد فوضت أمري بعد الله إليك، هـ وجعلته في يديك . فاخته لي ارضاهما لديك، والله شاهد عليك، فاقض في قضائي بالتحري، ولا يصدنك^٥ عن ذلك^٦ اتباع هوى . فليس أمرهما عليك خفيا، ولا أنت^٧ عما طوقت^٨ غيا . قال أبو الدرداء: إنما على إعلامك، وعليك الاختيار لنفسك . قالت: عفى الله عنك^٩، أنا بنت أخيك، ومن^{١٠} لا غنى به عنك^{١١}، فلا يمنحك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقت^{١٢}، فقد^{١٣} . وجب عليك أداء^{١٤} الأمانة فيما حملتك^{١٥}، والله خير من روعى وخيف، إنه

(١) في بر: بن، وهى كذا في بن .

(٢) في بن: القيمة .

(٣) في بن: لا شخصت .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٦) في بن: بما طوقت^{١٢} به .

(٧) في بن: إنما .

(٨ - ٨) في بر: لا غنايه عليك . وصحتها في بن: لا غنا به عنك .

(٩) مطموسة في بن .

(١٠) زيد في بن: وفيما حملت .

بنا خير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول و الإشارة قال : أى بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب (١٧٨ : الف) إلى لك و أرضى عندي و الله أعلم بخيرهما لك ، و قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى حسن^١ . قالت : قد اخترته و رضيته . فتزوجها الحسن بن ه علي و ساق لها مهرا عظيما . و بلغ معاوية الخبر و ما كان من فعل أبي الدرداء في ذلك ، و تزويج الحسن إياها . فتعاضمه جدا و لامة شديدا و قال : من يرسل ذا بلاء و عمي^٢ يركب خلاف ما يهوى . و كان عبد الله بن سلام قد استودعها قبر^٣ فراقه بدرة مملوءة دُرًّا ، و كان ذلك أعظم مال^٤ لديه و أحبه إليه ، و قد كان معاوية^٥ قطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه ، و تهمته أنه خدعه^٦ فلم يزل يحيره^٧ حتى عيل صبره ، و قل ما في يديه ، و لام نفسه على المقام لديه^٨ ، و هو يتوقع جحود أرينب لسوء فعله و طلاقها لغير شيء أنكره عليها . فلما قدم العراق لقي حسنا فلم عليه . ثم قال له :

(١) في بن [١٢٨ : ب] : الحسن .

(٢) في بن : معاوية .

(٣) في بر : بعد ، و صحتها من بن .

(٤) كذا في بن . وهي في بر : ماله .

(٥) في بن : معاوية ، و زيد بعدها : أصرحه .

(٦) في بن : بنجره .

(٧) زيد في بن : فرجع إلى العراق و هو يذكر ماله الذي كان استودع^(٨) عه إياها

و لا يدري كيف يصنع فيه و كيف يصل إليه و هو يتوقع - الخ .

- قد عرفت ما كان من^١ خبري وخبر أرنب ، و كنت قبل فراق إياها استودعتها^٢ مالا عظيما ، و كان الذي كان^٣ ولم أقتضه^٤ ، والله ما أنكرت منها في طول صحبتها قليلا ، ولا أضل بها إلا جيلا ، فذاكرها أمرى ، و احضتها على رد مالى ، فان الله يحسن عليه ذكرك ، و يحزل به أجرك .
- فلما انصرف الحسن إليها قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، و هو يحسن^٥ الثناء عليك ، و يحمده^٦ النشرك . في حسن صحبتك ، و ما أنه قد بما من أماتك ، فسرني ذلك^٧ ، و أعجبنى منه ذلك ، و ذكر أنه قد استودعك مالا فاد إليه أماته ، و ردى عليه ماله ، فانه لم يقل إلا صدقا ، ولا يطلب إلا حقا . قالت : صدق ، استودعنى مالا لا أدري ما هو ، و إنه لمختم عليه بخاتمه ، و ما هو ذا فادفعه إليه^٨ . فأننى عليها حسن^٩ خيرا و قال : ١٠ . بل أدخله عليك حتى تبرأ إليه منه كما دفعه إليك . ثم لقي^{١١} عبد الله ابن سلام و قال : ما أنكرت أرنب مالك ، و زعمت أنه يحتمك كما
- (١) ساقطة من بر ، و واردة في بن .
 (٢) في بن : استودعتها ، و ظاهر أنه خطأ تلمى
 (٣) ساقطة من بن .
 (٤) في بن : اقتضه .
 (٥) في بن : و يحمل .
 (٦) ساقطة من بن و هو الأصح .
 (٧) في بن : إنك .
 (٨) في بن [١٢٨ : ب] : الحسن .
 (٩) في بن : التى .

دفعته إليها، فادخل^١، وأخذ مالك^٢ منها^٣ كما دفعته إليها، وتبرئها منه إذا أدته إليك. فلما دخل عليها قال لها^٤ الحسن: هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته، فأدّ إليه أماته. فأخرجت إليه تلك البدرّة. فوضعتها بين يديه وقالت: هذا مالك. فشكر وأثنى^٥ عليها، وفض عبد الله ختمه وحثا^٦ لها من ذلك وقال: خذي فهذا قليل لك مني. وبكيا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به، ففرق الحسن لها للذي سمع منهما فقال: أشهد الله أنها طالق ثلاثا، اللهم قد تعلم أني لم [١٧٨: ب] أزوجه رغبة في مالها ولا جمالها. ولكني أردت إحلالها لبعلي فطلقتها. ولم يأخذ شيئا مما ساق إليها في مهرها. فسالها عبد الله أن ترد على الحسن ما كان أعطاها^٧، فأجابته إلى ذلك شكرا لما صنع بها. فلم يقبله الحسن وقال: الذي^٨ أرجو عليه من الثواب خير لي. فلما انتقضت^٩ عدتها، تزوجه عبد الله بن سلام، وبقي زوجين متصافين^{١٠} إلى أن فرق الموت بينهما، وحرّمها الله [على-^أ]

(١-١) في بن: وخذه.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) في بر: وثني، وصحتها من بن.

(٤) في بن: وحتى.

(٥) في بن: أعطاه لها.

(٦) في بر: انتقضت، وصحتها من بن.

(٧) في بن: متصافين.

(٨) ساقطة من الأصين. ولزومها واضح من السياق.

يزيد بن معاوية^١ . و قيل : كان يزيد يتعاطى الشراب ، وهو القائل :

لولا الحيا لشربتها ما بين زمزم والحطيم

و جلوتها في كأسها فوق الصراط المستقيم

[موت الحسن بن علي]

٢ و قيل كان موت الحسن بن علي من سم سم به ، يقال إن زوجته ه جعدة بنت الأسود بن قيس الكندي سقته إياه . و يذكر والله أعلم بحقيقة أمورهم أن معاوية^٣ دس إليها بذلك على أن يوجه لها مائة ألف و يزوجه من ابنه يزيد . فلما مات الحسن وفا لها معاوية بالمال ، و قال إني أحب حياة^٤ يزيد .

و ذكروا أن الحسن قال عند موته : لقد خابت شربته ، والله ١٠

(١) زيد في بن : وكان يزيد هذا آدم شديد الأدمة عظيم القامة بوجهه أثر جدرى بين ييادر بلذاته و يجاهر بمعصيته و يستحسن خطأه و يهون الأمر على نفسه في دينه إذا صححت له دنياه و كان ممن يتعاطى الشراب - الخ .

(٢) زيد قبل هذه العبارة في بن : و كان الحسن على بن أبي طالب كنيته أبو محمد صفته كان أحد الشبهين برسول الله صلى الله عليه و سلم .

(٣) في بن [١٢٩ : الف] : معاوية .

(٤) في بن : حيوة .

(٥) كذا في الأصلين ، ولعل صححتها : لئن .

(٦) في بن : حاقت .

لأوفى لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال . وفي سمة يقول رجل من الشيعة^٢ بعد قتل الحسين :

تعز فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن

بموت النبي و قتل الوصي و قتل الحين و سم الحسن

٥ انتهى ٣ .

[في القطب والاقطاب]

نعود ، وإنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض وإبراهيم ابن آدم ، لأنها كانا تقدم لهما زمن قطعة^٣ ، كما قال إن الفضيل كان قاطعا للطريق ، وابن آدم كان ملكا يلبخ . ثم أقبل على الله تعالى ، فأقبل الله^٤ عليهما ، فبدأ بذكرهما في رسالته بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم المخالفات . ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العناية . إذ لو بدأ في رسالته بالجيد وسهل بن عبد الله الشترى و عتبة الغلام والمحاسبي وأمثالهم . منهم^٥ ممن نشأ في طريق الله^٦ . لقال قائل :^٧ هل يدرك هؤلاء الذي لم تسبق^٨ منهم زلات . ولم تتقدم منهم مخالفات ؟

(١) في بن : لأوفا .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن زيد مائلي : و سياتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل الحسين وكيفية قتله إن شاء الله تعالى - انتهى .

(٤) كذا في الأصلين ، ولعلها « قطعة » .

(٥) زيد في بن : تعالى . (٦) ساقطة من بن .

(٧-٨) في بن : ومن يدرك الذين لم تقبل .

و سئل الشيخ ' أبو الحسن الشاذلي . قيل له : يا سيدي ، لم بدأ صاحب الرسالة بإبراهيم بن آدم دون غيره ؟ وربما كان غيره مقدما عليه في التاريخ . فقال : لأن إبراهيم بن آدم كان من ملوك الدنيا ، فأصبح وهو كذلك . فجاء وقت الظهر وهو من الأولياء ، فبدأ به صاحب الرسالة ليُعلم أن فضل الله ليس بعمل . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي من ٥ الأقطاب . [١٧٩ : الف] و القطب ٢ هو الغوث . و القطب هو الذي تدور عليه الرجا و البكرة . و قطب الكون هو الرجل الذي لأجله وجد الكون و عليه مدار كونية الدارين . و لكل ٣ عصر قطب و هو صاحب الوقت . و قطب الأقطاب هو الذي لم يكن قبله و لا بعده مثله ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم . و هذا في الحقيقة لم يزل في العلم الأزل . ١٠ كذلك الأوتاد ٤ أربعة على أربعة جهات العالم . و الأبدال ٥ سبعة على حكم أيام الأسبوع و الكواكب السيارة ، و سُموا ١ أبدالاً لأنه إذا مات الغوث الذي هو القطب بدله واحد منهم . قال بزرجمهر حكيم الفرس : إن شئت أن تصير من جملة الأبدال فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال . ف قيل له : كيف ذلك ؟ فقال : في الأطفال خمس ٦ خصال ١٥ لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً ، وهي : أنهم لا يفتنون للرزق ، و إذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم ، و أنهم لا يأكلون الطعام مجتمعين ، و إذا تحاصموا لم يتحادوا و سارعوا إلى الصلح ، و أنهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم - انتهى ٨ .

(١) ساقطة من بر . (٢) في بن : القطب - و بهامش بر : القطب .

(٣) في بن : لكل . (٤) في هامش بر : الأوتاد .

(٥) في بن : الأبدال - و بهامش بر أيضاً : الأبدال . (٦) في بن : سُموا .

(٧) في هامش الأصل : مناقب الأطفال . (٨) في بن : آخره .

١٠ أو للقطب رجلان عن يمين و شمال ، فهو بهم ثلاث ١ .
 و الأوتاد بهم ' سبعة ، فالعالم وجد لغاية هي قطب الأقطاب ، فابتدأ
 مترقيا حتى ظهرت ، ثم ينحط إلى أن ينفذ ظهور أرباب الكالات
 الذين هم أقطاب أعصارهم بعده كما كانوا قبله . فإذا توجهوا إلى الآخرة
 ه خربت الدنيا ، لأنها لم تكن إلا من أجلهم ، و هم من أجل الغوث .
 و قد قال ابن الفارض :

ففي دلوت الأفلاك فاجب لقطبها المحيط بها و القطب مركز نقطة
 المعنى : لما كنت ' سبب وجودها ، و غاية ظهورها ، كنت قطبها . و لما
 كانت بما فيها مسخرة لى ، و كلها صور صفات ه ، كنت محيطا بها ' إحاطة
 ١٠ الإنسان بالحيوان و النبات و المعدن ، لا إحاطة الإناء بالماء - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ٦ الجزر . - جزيرة رواد ' قرية من ساحل الشام ،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : آخره .

(٤) في بن : كانت .

(٥) في بن : صفات .

(٦) زيد في بن : ذكر .

(٧) و كانت تدعى قديما Aradus بالقرب من Tortosa على الساحل السورى .

و اسمها القديم Antaradus

و كانت الفرنج 'بها قاطنين' ، تبعث فيها بمراكب المسلمين المارة بهم في البحر ، فرفع أمرها إلى السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون^٢ ، فأرسل لها مراكب فيها الرجال الشجعان ، قتلوا أهلها وأخربوها إلى الآن .

جزيرة اغرو^٥ وهى مقابلة لبوقير في البحر الملح . و بوقير ظاهر ه الإسكندرية . وهذه الجزيرة ترسى مراكب الفرنج باحلها^٣ ، يستقون منها ماء الأمطار المتحصل فيها في الأماكن المنخفضة منها . ويتوارون بجبالها عن نظر المتوكلين [١٧٩ : ب] بحراسة مينة بوقير^٤ ، فلما فهم المسلمون منهم ذلك غوروا^٦ طرق الماء حتى صارت الأمطار إذا اجتذرت من جبالها تجري إلى البحر الملح تنصب فيه^٧ ، فصارت الجزيرة ١٠ المذكورة خالية من الماء العذب دائماً .

و جزر بحر الروم كثيرة بطول الكلام عليها^٨ وهى كثيرة في البحر الأخضر ، ذكر بطليموس الفيلسوف أن فيه سبعة وعشرين ألف جزيرة ،

(١) في بن : قاطنين بها .

(٢) وكان حكمه على ثلاثة دفعات ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م ٦٩٨ و

- ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م ٧٠٩ و - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٣) عن بن [١٢٩ : ب] ، والكلمة ساقطة من بر .

(٤) في بن : أبي قير

(٥) في الأصلين : فهمت .

(٦) في بن : مضوا إليها وغوروا .

(٧) زيد في بن : بسرعة .

(٨) في بن : كبيرة .

و كذلك الجزر كثيرة في البحر الزققي . و البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع الجهات تتفرع منه البحار ، ومنها البحر الآخذ من المغرب إلى الجنوب . و يأخذ من المغرب إلى القلزم ، و يمر إلى أرض السند و الهند ، و منه جناح يأخذ إلى بلاد فارس . و البحر الرومي يأخذ من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب ، و هناك يلتقي بالبحر المظلم ، و بحر الهند هو البحر الحبشي و هو بحر الصين ١ . و الكلام على البحار و الأنهار ٢ و الجزر ٣ ، يطول ٣ ، فلنقتصر على هذا القدر ٤ .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

و* لراجع الآن إلى قوله ابن أبي حجلة في مرثيته :

١٠ و من لي بفريسان الجزيرة عند ما^١ تعامل أهل الكفر في البحر بالنحر
يعنى بها جزيرة الأندلس أو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء
بالأندلس . و الأندلس في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . و كانت^٢

(١) زيد في بن : وفيه جزر كثيرة .

(٢) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٣) زيد في بن : ذكرها .

(٤) زيد في بن : وسيأتى ذكر الأنهار و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

(٥-٥) في بن : تعود إلى ما قبله .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : « المدينة المعروفة » بالجزيرة الخضراء - أى Algeiras في إسبانيا .

الجزيرة الخضراء للمسلمين ، فحاصرها الفريج نحو الستين . فخرج ٢ أهلها المسلمون منها لطول الحصار و لعدم القوت سالمين من أسر الفريج الكافرين ، وذلك أن الفريج أرسلوا يقولوا ٣ للمسلمين : إن اخترتم الحصار حاصرناكم طويلا إلى أن تموتوا جوعا و عطشا ، وإن أردتم الخروج من البلد بأموالكم و حريمكم و ذراريكم من غير أن يتعرض أحدنا لكم ٥ فعلنا ذلك ، و ما قصدنا إلا البلد خاصة . فتشاور ٤ المسلمون فيما بينهم و قالوا : إن البلد تُخلف بغيرها ، و الرجال لا تخلف إذا هلك . فخرجوا منها و تركوها لهم بعد أن أمنتهم ملك الإفريج على أنفسهم و أموالهم و حريمهم و ذراريهم . فخرجوا منها ينجرون ٦ بين عساكر الإفريج . قد أخلت الإفريج ٧ لهم طريقا ينصرفون ٨ منها ، فصاروا ١٠ سائرين في تلك الطريق ٩ من غير معارض لهم ، فينماهم كذلك و إذا بلغ محشم ١١ تعرض لامرأة جميلة معها ١٢ أمها ، فقبض على يدها و مضى بها إلى خيمته ، فصرخت أمها ، فسمع ملك الإفريج ١٣ من سرادقه ١٤ صراخا عاليا مستمرا ١٥ ، فسأل عنه . فأعلم بالخبر ، فادعى بالمرأة تصارخه و سأل

(١) في الأصلين : فحاصرتها . (٢) في الأصلين : فخرجت .

(٣) زيد بهامش بن : لأهلها . و في الأصلين الكلمة : يقولوا .

(٤) في الأصلين : فتشاور . (٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصلين : ينجروا . بمعنى الانحباب و السير بصعوبة .

(٧) في بن : الفريج .

(٨) في الأصلين : ينصرفوا .

(٩) زيد في بن : التي بينهم .

(١٠) زيد في بن : من أكابريهم .

(١١) في بن : مع .

(١٢-١٣) في بن : صراخها .

عن أمرها و ما سبب صراخها ، فقالت : أيها الملك أنت قد أمّنتنا
 [١٨٠ : ألف] على أنفسنا . و قد أخذت ابنتي ٢ مني . قال : من أخذها ؟
 قالت : رجل من أصحابكم صفته كذا و كذا ، فادعى الملك به فحضر .
 فقال : الآن تحضر ابنة هذه المرأة ٢ . فأحضرت ٢ سريعا ، فقال له
 الملك : أما سمعت أمانتا للسلين ؟ و إننا ١ إذا أعطينا الأمان و فينا به ،
 و لم نغدر . و لم تنكث . و أنك قد غدرت و خالفت و فعلت الفعل القبيح ،
 و خرجت عن شرع المسيح ؛ انزعوا ماله منه جميعه حتى ملبوسه الذي
 عليه . فامثل أمره ، فقال : أعطوا ذلك كله للمرأة ٢ و ابتها ليتطهر هذا
 الباغى من الغدر الذى غدره ، و الكدر الذى كدره فى دين النصرانية
 ١٠ . و ابتدعه بهمة الشيطانية . ٨ فقبضنا حينئذ ٨ مال العليج المذكور ، و مضنا
 بالفرج و السرور ، فاستغت بعد فقر ، مع طول حصر . و ارتحل ٩

(١) زيد فى بن [١٣٠ : ألف] : و حرمنا و أموالنا و أولادنا و اليهود منكم
 الوفاء و عدم الغدر فيما تؤمنون به من أردتم أمانه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : المأخوذه .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : فما احضرها .

(٦) فى بن : أما تعد أنا .

(٧-٧) فى بن : اعطوه لتلك المرأة .

(٨-٨) فأخذنا .

(٩) فى بن : و انتقلت ، و الكلمة فى بر : و ارتحلت .

الفرنج من ظاهر البلد 'سكته وملكته' ، فأقاموا^٢ به نحو الثلاثين سنة ،
ورجع البلد بعد ذلك للسليين . وسيأتى ذكر كيفية رجوعهم إليه
إن شاء الله تعالى .

[السلطان أبو الحسن علي بن يعقوب المريني]

و كان السلطان أبو الحسن علي^٣ بن يعقوب المريني^١ صاحب ه
مدينة فاس وأعمالها حاصر مدينة تلمسان بأرض المغرب مدة سنتين ،
و بنى^٤ إلى جانبها مدينة وسماها المنصورة ، وقال : لا أبرح حتى أملكها .
و كان صاحبها^٥ إذ ذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى^٦ بن عمران
ابن زيان العبد الوادى ، و كانوا ملوكا أحرارا^٧ ، و كان أبو الحسن
المريني^٨ أصوله عبيدا^٩ ، فأرسل خطب فاطمة بنت أبي تاشفين^{١٠} ،

(١-١) في بن : إلى بطنه وملكته واستوطنته

(٢) في بن : قاموا .

(٣) زيد في بن : بن عثمان بن يوسف .

(٤) المريني أي Merinid وهو سلطان مراکش وحكمه ٧٣١-٧٤٩ هـ / ١٣٣١

١٣٤٨ م .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : بنا .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : بن ريان .

(٨) زيد في بن : فقال لهم بنو عبد الواد .

(٩-٩) في بن : أسود اللون أمه جارية حبشية .

(١٠) جاز أن يكون أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني الزيدى سلطان تلمسان =

فرد رسوله وقال: نحن أحرار لم نزوج بناتنا من 'أصله عبدا'.
 فاتكأ له 'أبو الحسن' ٣، ثم إن أبا تاشفين أرسل وزراهه وقواده إلى
 مدينة تونس يحاربون 'سلطانها أبا بكر' ٤. فلما قدموا إليها هرب منهم
 أبو بكر لكثرتهم وقوتهم، فاستغلبوا على تونس، وأخذوا زوجته
 ه بنت الرصافي وأولاده وحريمه. ونهبوا بعض أمواله، ورجعوا إلى
 تلمسان، فحصلت العداوة بين صاحب تلمسان وصاحب تونس. فأرسل
 أبو الحسن المريني صاحب فاس خطب فاطمة بنت أبي بكر صاحب
 تونس، فزوجه بها نكاحاً في أبي تاشفين ٥. ثم إن أبا الحسن حاصر
 تلمسان بسبب فعله بصهره ٦ وبما رده رسولاً إليه من نسبه

= وهو المذكور فيما بعد بهذا النص من الجزائر وحكه ٧٨٨ - ٧٩٦ هـ / ١٢٨٦ -
 ١٣٩٣ م. وهناك أيضاً أبو عمر تاشفين المريني وحكه ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م
 وتاريخه أقرب لتاريخ الحسن ٧. في بن: قاشين المذكور.

(١-١) في بن: ابن جارية.

(٢) في بر: لها.

(٣) زيد في بن: المريني.

(٤) في الأصلين: يحاربوا.

(٥) من المعلوم أن الاحتلال المريني لتونس كان سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م

وسلطانها وتشد كان أبو حفص عمر الثاني وهو خف ابني يحيى أبي بكر

المتوكل وحكه ٧١٨ - ٧٤٧ هـ / ١٣١٨ - ١٣٤٦ م.

(٦) زيد في بن: مدينة فاس وأعمالها.

(٧) زيد في بن: صاحب تلمسان.

(٨) زيد في بن: أبي بكر.

١ لاصوله الغير أحرار^١ ، فطالت محاصرته لها حتى ملكها^٢ ، وذلك أن
أبا تاشفين كان مشغولا باللذات ، مستغرقا في الشهوات ، وسماع أصوات
الغانيات ، على حِسِّ الدفوف^٣ و النايات . ولم يباشر الحرب بنفسه
٤ نحو سنة^٤ من حين حصاره . وكان يقول لحريمه^٥ : والله لا سَلَمْتُكَ
لأبي الحسن أبدا ، فإذا [١٨٠ : ب] غلبت ذبَحْتُكَ^٦ فنصب أبو الحسن هـ
المجانيق على البلد ، فجعل على باب كشوط سبعة^٧ مجانيق . وعلى باب الجياد
ثلاثة ، وفي باب العقبة اثنين ، وفي باب القرمادين^٨ اثنين ، وصار^٩
يبني الحائط بعد الحائط لمنع السهام التي تأتي من رماة السور ، إلى أن
هدم مواضع^{١٠} من السور^{١١} ودخلها . فلما رأى أبو تاشفين الغلبة أتى

(١-١) في بن : إلى أمه الحبشية و سواد لونه .

(٢) زيد في بن : بعد سنتين من حصاره لها .

(٣) في بن : المزاهر .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : وجواره .

(٦) كذا في بن وهي في بر : سلمتكم .

(٧) كذا في بن ، وفي بر : ذبحتكم . وزيد في بن : عن آخركن .

(٨) في الأصلين : سبع .

(٩) في بن : باب القرادين - ولعله الصواب .

(١٠) واردة في بن وساقطة من بر .

(١١) كذا في بن وهي في بر بالف التنوين .

(١٢) في بن : سورها .

١ إلى حريمه ' بسيفه يقتلهم ' كما وعدهم ٣ ، ففلقن ٤ الأبواب في وجهه
 فلن ٥ . قبض عليه أبو الحسن فقتله صبرا ، وأخذ أمواله قهرا ٦ .
 فلما فتحها أبو الحسن في ٧ العشر الأخير من رمضان ٨ سنة سبع وثلاثين
 وسبعائة ، قويت سلطته ، ووقعت ٩ في القلوب هيبة ، فلك البلاد
 ه وأطاعته العباد ، وفزعت منه الفرنج التي بحزيرة الأندلس ١٠ . فلما كان
 بعد ١ ذلك حدثته نفسه بجهاد الفرنج ومحو آثارهم منها ، وأن يجعلها
 دار إسلام ليصير له بذلك الذكر على طول الأيام ، فجهاز الجيوش
 وجمع المقاتلة وعدى ١١ بها من زقاق سبعة ١٢ ، وذلك في بضع وأربعين

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : يقتلهم .

(٣) كذا في بن ، وهي في بر : وعدهم .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : فلقوا .

(٥) في الأصل بر : فسلموا ، وفي بن : فسلمن منه .

(٦) زيد في بن : وحريمه أسرى .

(٧-٧) ساقطة من بن [١٣٠ : ب] .

(٨) في بن : ووقع .

(٩-٩) في بن : فعند .

(١٠) كذا في بن وهي في بر : عدا .

(١١) زيد في بن : وهو الخليج الذي حفره الإسكندر المتقدم ذكره وكان

دخول جيش أبي الحسن المذكور الجزيرة المذكورة في بضع - الخ - وكلمة

« وذلك » في بر ساقطة من بن .

وسبعائة . وقد تبعه من المسلمين ' خلق كثير بنسائهم و ذراريهم ' قاصدين أرض النصارى يسكنون ' ديارهم ، ويتسعون ٣ بنهب أموالهم ' وزراعة أراضيهم ' . " فكان جيشه كما " قيل مائتي ألف مقاتل . وتبع ذلك الجيش من المقاتلة المتطوعة أضعافها ١ . واستصحاب أبو الحسن معه زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر ٤ و حريمه و خزان ٥ أمواله ، ليملك البلاد ويخليها من النصارى ' أهل العناد ' بقتله فيهم الكبير والصغير ، و يطهر جزيرة الأندلس من الخمر و الخنزير ، و يمحو " منها " الصليب ، و يجعلها سكنى لكل عبد منيب . فلما تكامل جيشه بجزيرة الأندلس اجتمع به سلطان المسلمين بها ، وهو المعروف بابن الأحمر ،

-
- (١) زيد في بن : المرابطين .
 (٢) كذا في بن ، و هي في بر : يسكنوا .
 (٣) كذا في بن ، و هي في بر : ويتسعوا .
 (٤-٤) في بن : و زرعه لأراضيهم .
 (٥-٥) في بن : و كان جيش أبي الحسن على ما .
 (٦) زيد في بن : و أضعافها .
 (٧) في الأصلين : أبا .
 (٨) زيد في بن : صاحب تونس .
 (٩-٩) زيد في بن : الضلال و العناد .
 (١٠) في الأصلين : يمحى .
 (١١) زيد في بن : دين .

وكرسى مملكته مدينة عرناطه . و جارى عادة المسلمين^١ بها و بأعمالها يحاربون النصارى ، و النصارى تحاربهم أيضا ، فتارة لهم و تارة عليهم ، فتغنم كل طائفة غلبت من الطائفة المغلوبة^٢ ، فاذا وقع بينهم الصلح ، يصير المسلم يحرق في أرضه ، و النصارى يحرق في أرضه المجاورة لأرض المسلم ، بينهما حد^٣ الزرع . لا يعارض الواحد الآخر .

قيل^٤ لبعض المسلمين المجاورين لأرض النصارى^٥ : اما تحشون مكر النصارى و خبثهم ؟ فقال : كيف نخشاهم و الذى يحبونا يحميننا . لولا الحباية سقطت الحماية .

[ذكر الزراعة]

و إذ قد ذكرت الزراعة ، فلنذكر ما قيل فيها ، و نرجع إلى خبر أبى الحسن المذكور^٦ إن شاء الله تعالى . يقال لموضع الزرع مزرعة و مزدرع^٧ ، و الزرع أيضا ضرح [١٨١ : الف] الحب في الأرض ، و "زرع أيضا الإنبات . يقال زرعه الله أى أنبته ، و منه قوله تعالى :

(١) زيد فى بن : القاطنين .

(٢) زيد فى بن : الأخرى .

(٣) - نقطة من بن .

(٤) فى بن : ثقيل .

(٥) زيد فى بن : فى الزراعة .

(٦) فى الأصلين : يحميننا .

(٧) زيد فى بن : فى غزواته تلك .

(٨) فى بن : و مزدرع .

”أأنتم تزرعونه أم نحن الزرعون“ . ويقال للصبي : زرعه الله أى - جبره .
 وفى الصحيح من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يغرس
 مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعاً ، يأكل منه إنسان ، ولا طائر ولا دابة
 ولا شيء . إلا كانت له صدقة ، والزارع ٢ يقال له كافر ، والجمع
 كفار ، قال الله تعالى : ” كمثل غيث أعجب الكفار نباته “ ٣ . والكفر ه
 ضد الإيمان . والكفران جحود النعمة ، والكافور نوع من الطيب ؛
 والكافور كم العنب قبل أن ينور ، وسمى كافورا لأنه كفر الوليع
 أى غطاه ، والكفر من الأرض ما بعد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر
 به أحد ، ومن حر تلك المواضع فهم الكفور - ويقال للكفور القرى
 واحدا كفر - انتهى .

١٠

[حروب أبى الحسن المرىنى و ابن الأحمر]

[فى الأندلس]

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر غزوة أبى الحسن المرىنى لتصارى الأندلس ،
 وذلك أنه لما كملت جيوشه بجزيرة الأندلس . [بن ١٣٠ : ب] نصب لأبى

(١) قرآن كريم ٥٦ : ٦٤ .

(٢) وردت فى بن بسقوط الواو .

(٣) قرآن كريم ٤٨ : ١٩ .

(٤) هذا القسم ساقط من بر ، ولكنه وارد فى بن ، ويظهر من اسياق أن
 الكلام يكتمل به وذلك أثرنا إدراجه فى النص [بن ١٣٠ : ب - ١٣١ : الف] .

الحسن قبة عالية من الخشب في وطاقه، فلما صعد لها ورأى ذلك العسكر العظيم الذي فرش الأرض أعجبه نفسه لما رأى من كثرة الخلائق التي اتبعته بعيالها وذرائعها ليقاتل [بن ١٣١ : الف] كل رجل عن حريمه ولا يفر . فلما نزل من القبة إلى الأرض لحقه الإعجاب فأخذ مزراقه هـ وهزه وقال : لا مزراق أعلا من هذا المزراق في هذا اليوم . فكان قوله ذاك سبب خذلانه ، ولو ترك الإعجاب وتواضع لرب الأرباب نصره العزيز الوهاب ، ولكنه صار كما قال الشاعر :

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع

عن الشيخ أبي يعقوب السائح قال : أقت مدة ثلاثين سنة سائحا ١٠ في الجبال وكانت الأحوال تطرقني فأهيم على وجهي مجردا وتسني على الرياح إلى أن بقي فوق جلدي جلد آخر من الوسخ فجأني ذئب فنظر إلى مبتسما ولحس جلدي كله حتى تركه كالبحار تم ذهب عني ، فداخلى العجب فرجع الذئب إلى ونظر إلى مضطبا ثم بال على وانصرف فأبیت عين ماء فاغتسلت وقلت هذا جزاء الإعجاب أن تبول على المعجب ١٥ الذئب - انتهى .

ثم إن الملكين أبا الحسن المربني وابن الأحمر اتفقا وسارا ٣ يقصدان قطع جادة الكفر فاجتازا ٣ في طريقها بمدينة للنصارى يقال

(١ - ١) العبارة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٢) في الأصلين : ابو .

(٣) في بر : وصارا - وصحتها من بن .

(٤) في بر : فاجتازوا - وصحتها من بن .

لها طريف، فقال السلطان ابن الأحمر للسلطان أبي الحسن: افتح بناء هذه المدينة ولا تتركها خلفنا. فقال أبو الحسن: هذه أقل وأذل من أن نبثي^١ بفتحها. وإن بها الأموال الكثيرة، و' نخشى أن تفتحها أولاً، يهب العسكر أموالها،^٢ فإذا أخذناها اجتمعت لنا أموالها^٣، ولا؛ نبثي الآن إلا بمثل مدينة^٤ قرطبة وإشبيلية وطليلة وأشباهها. وأعجبه نفسه بما معه من العساكر التي هي كالبحر الزاخر. ولم يخطر بباله في ذلك الوقت إلا أنه هو المنصور، على كل رجس كفور،^٥ ولم يذكر^٦ حيثذ قوله تعالى: "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ"^٧، ثم إن أبا الحسن نصب سرادقه، وطاقه بأمال يسيرة من مدينة طريف، وترك هناك خزائن^٨ أمواله وحرمه وطائفة من رجاله. وكانت النصارى التي بطريف لما عاينوا جيوش المسلمين ينجرون^٩ كالسيل في النهار^{١٠} والليل. أيقنوا بالذل

(١) كذا في بن وهب في بر: يبتدى.

(٢) واو العطف ساقطة من بن.

(٣ - ٢) الجملة ساقطة من بن.

(٤) في بن: ولستا.

(٥) ساقطة من بن.

(٦ - ٦) عن بن، وفي بر: لا ذكر.

(٧) قرآن كريم ٩: ٢٥.

(٨) في الأصلين: ينجروا.

(٩) في بن: بالنهار.

و الويل ، و صاروا من الفرع حيارى^١ ، و قالوا ذهب^٢ و حق المسيح ملك^٣ النصرى فغلقوا أبوابها ، و أقاموا ينتظرون الموت ، عند وقع^٤ نصوت . و كان ملك النصرى المعروف بالفنش^٥ ، و هو أول ملوك النصرى السبعة التى بالآندلس ، قد اهتز لجيش أبى الحسن ، و فرغ منه و قال : ذهب ه ملك النصرانية ، و انقضت دولة الرومانية [١٨١ : ب] و انقضت أهل ماء المعمودية ، و غلبت الملة الحنيفة ، على جميع ممالك الملة المسيحية^٦ . فصار فى حزن رهوم . بسبب انقضاء دولة الروم . ثم سأل عن مدينة طريف هل هى سالمة^٧ أم لا ؟ فقيى له : إنها سالمة . لم يحصل لها من جيش المسلمين ضرر ، و أهلها مقيمون بها . فقال : إن فيها خمسة آلاف ١٠ مقاتل ، و يعضى إليها خمسة آلاف أخرى . فأرسلهم لها من غير طريق^٨

(١) ساطة من بن .

(٢) فى بن : ذهبت .

(٣) فى بن : دولة .

(٤) بن : وقوع .

(٥) الغالب انه الفونس الرابع « الجلود » Alfonso IV — The Brave و حكه

١٢٢٥ - ١٢٥٧ . و من المواقع المعروفة فى هذا العهد التى انهزم بها المسلمون

موقعة سلاى salade سنة ١١٤٤ م تحالف فيها ملوك قشتالة Castille و البرتغال .

(٦) زید هذا فى بن : وعادت الجزيرة الأندلسية جميعها إسلاميه كما صارت البلاد

الشامية والديار المصرية والاسكندرية كذلك و صار الفنش فى حزن - الخ .

(٧) زيد فى بن : من معرة عدا الجيش .

(٨) فى بن : أن يعلم جيش .

أبي الحسن . و خرج الفتح بعسكره من مدينة إشبيلية ، و كان الفتح
 قدم القول مع الخمسة آلاف التي أرسلهم بمجدة لطريف ، أن تكونوا
 أتم و الخمسة آلاف التي بها من وراء عسكر المسلمين . ونحن من بين
 أيديهم ، و تعتمدوا على انهب سرادقات أبي الحسن و وطاقه ٢ ، و تقتلوا
 من فيه ، و تأخذوا خزائن أمواله ٣ فون في ذلك ذلته و كسرتة ، فخرج ٤
 جيش مدينة طريف عشرة آلاف مقاتل و من تبعهم من نصارى البلد
 في الليل ، كبسوا الوطاق الذي به حريم أبي الحسن و خزائن أمواله ،
 فملكوا الخزائن و الحريم بعد قتلهم لمن كان به من حماة ، فأتى الخبر إلى
 أبي الحسن بذلك ، فلم أنه هالك مع ما وقع في جيشه من لغلاء الكبير
 لكثرة الخلائق التي معه ، فزحف الفتح على أبي الحسن و ابن الأحمر مع ١٠
 زحف مقاتلة أهل مدينة طريف من ٧ خلفها كسرهما فلما انكسر جيش
 المسلمين قتل منه كثير من العالمين ٥ . و شرد من شره في الففار و البراري

(١-١) كذا في بن . و في الأصل بر « سرادق » فقط .

(٢) زيد في بن : الذي تركه خلفه بعد أن تقتلوه (كذا) من فيه - الخ .

(٣) زيد في بن : و سائر أخوانه .

(٤-٤) في بن : فإن تعلم ذلك فهو سبب خذلانه .

(٥-٥) في بن : و جالوا على من فيه السيف .

(٦) في بن : « أبو » . و محبتها من بن .

(٧-٧) في بن [٢١ : ب] : خلفهم كسروهم و قتل من المسلمين كثير .

و أسرا الفرنج الحرم^٢ و الذراري . فرجع السلطان ابن الأحمر طالبا
مدينة غرناطة مهزوما . وكذلك أبو الحسن رجع مهموما مغموما ،
قد نهبت خزائنه . وأسرت فاطمة^٢ زوجته ، فانكرت همه ، و طالت
حسرتها ، فعدى من زقاق سبتة ، و آتى مدينة فاس فى نكاية و بهتة .
هـ هذا ما كان منه ، و أما ما كان من زوجته فاطمة بنت السلطان
أبى بكر صاحب^٣ تونس ، فانها أمرت جوارىها و خدمها أن يقاتلوا
معها من يأتهم من الفرنج يأخذهم ، فلما أتاها^٤ الفرنج بكثرتهم ، لم تستطع
قتالهم ، فقالت عند ذلك : لا يأخذنى إلا ابن ملك . لآنى بنت ملك
وزوجة ملك ، فأتوا إليها^٥ على ما قيل بابن الملك^٥ الفنش ، و قالوا له
١٠ سلم بيدك بنت ملك المسلمين ، و تمتع^٦ بزوجة ملك المسلمين و تهن
بها أيها الملك^٧ و ابن الملك^٧ . فد يده ملك^٨ يدها ليمضى بها ،
فضربته بسكين كانت أعدتها له ، فوقع فى بطنه^٩ شقته ، فخرجت^٩

(١) فى الأصلين : وأسرت .

(٢) واردة فى بن . و ساقطة من بر .

(٣) زيد فى بن : مدينة .

(٤) فى بر : أتها ، و فى بن : أنت إليها .

(٥-٥) فى بن : كما قال بابن ملك .

(٦) زيد فى بن : فى خلوتك .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) فى بن : ابن الملك فأخذ .

(٩-٩) فى بن : فشقه فبرزت .

- حشوته بارزة^١ ممزقة ، فوقع^٢ على وجهه يتشطح في دمه^٣ . فلما رأت ماليكة و غلمانها ما فعلته به ، وثبوا عليها بسيوفهم^٤ قتلوها مع [١٨٢: الف] جواربها ، فمُتنَّ كريمات شهيدات . فحصل^٥ للفنش بقتلها لولده نكابة ظاهرة ، بما فعلته تلك الحرّة الطاهرة . فبلغ فعلها ذلك زوجها أبا الحسن فترحم عليها ، و أعجبه فعلها . فأرسل خطب أختها من أيها و تزوج بها . و حصل له الندم الأكبر ، لمخالفته للسلطان ابن الأحمر ، في تأخيرهِ فتح مدينة طريف التي تركها خلفه ، حتى جاءه العدو من بين يديه ومن خلفه . وكان أبو الحسن لما دخل الأندلس^٦ معه من الجيوش^٧ الكثيرة والعساكر^٨ المجرورة ، أعجبه نفسه و اغتر بتلك الجنود ،^٩ التي هي كاللدود فكان إعجابه بنفسه . مضرة عليه و على حريمه و عرسه ، ولو جعل ١٠ اعترازه بالله . و سلم أمره إلى الله ، انتصر و ما انكسر ، و انجبر و ما انقهر^{١٠} . و لله در القائل حيث يقول :

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : و وقع .

(٣) زيد في بن : و يتخبط في عنده .

(٤) في بن : و حصل .

(٥) زيد في بن : بما .

(٦) في بن : العاكر .

(٧) في بن : و الجيوش .

(٨-٨) في بن : كما تقدم .

ليكن بربك كل عرك يستقر ويشبت

فاذا اغتررت بمن يموت فان عرك ميت

وفي مشور الحكم « اغتر 'من اعتر بغير الله' ، فالعز من أعزه الله ،
والذليل من أذله الله . . وليس من التعز والتذلل^٢ بأيدى المخلوقين
هـ ، فان الله تعالى يعز من يشاء ، ويذل من يشاء . ألا ترى^٣ أن إخوة
يوسف أرادوا إذلال يوسف ، فأذلهم الله عز وجل^٤ ، وأعزه حتى
قاموا بين يديه ، وقالوا : « يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر » . . واعلم أن
من تعزز بالله لم يذله سلطان ، ومن « توكل عليه » لم يضره شيطان . قال
الشيخ أبو مدين : الحق تعالى « مطاع على السرائر » والظواهر في كل نفس
١٠ و حال ، فأما قلب رآه مؤثراً له حفظه من طوارق المحن ، ومضلات القن .
والاعمال بالنيات معناه أن العبادات التي « يتفجع بها » عند الله ، ما أخلصت
النية فيه لله ، ولا يزال المؤمن يكابد دنياه . حتى يلقى مولاه ، جبر الله
صدع^٥ قلوبنا ، وغفر عظيم ذنوبنا ، وجعلنا من أوليائه وأهل طاعته .
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم تذنبوا

(١-١) كذا في بن وهو الصواب ، وفي بر : بمن اعتر .

(٢) في بن : والتذليل .

(٣-٣) في بن : الى اخوة يوسف لما أرادوا إذلاله أذلهم الله تعالى .

(٤) قرآن كريم ١٢ : ٨٨ .

(٥-٥) في بن : استعان بالله .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) في بن تنفع .

(٨) ساقطة من بر ، واردة في بن .

لخشيت عليكم أكثر من ذلك العجب العجب . عن مطرق قال : لَأَنْ
أيت قائما ، وأصبح نادما ، أحبَّ إليَّ من أن أيت قائما ، وأصبح معجبا .
و روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام ، لقيه جنوده^٢
و عليه إزار و عمامة ، وهو آخذ برأس راحلته ، و يخوض الماء و قد
٣ خلع نعليه و جعلها تحت إبطيه^٣ ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين الآن تلقاك ه
الجنود و بطارقة الشام^٤ و أنت على هذا الحال . فقال : إنا قوم أعزنا الله
بالإسلام فلم نلتبس عزاً بغيره . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : والله
ما رأيت العزَّ إلا فى رفع الهمة عن الخلق . [١٨٢ : ب] و قد رأيت
كلبا فى محجة الإسكندرية و معى شيء من الخبز ، فوضعت بين يديه ،
فلم يلتفت إليه ، فاذا يقول فى سرى - أف لمن يكون الكلب أزهد منه . ١٠
و اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق ، و صفة أهل التخصيص
و لقد سئل الجنيد : أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدرا .
و لله در القائل :

حرام على من وَّحد الله ربَّه و أفردَه أن يحسدى أحدا رفدا
و يا صاحبي قف لى مع الحق وقفة أموت بها وجدا و أحيى بها وجدا ١٥
و قل للملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يُباع ولا يُهدى
و كان من تواضع عمر^٥ رضى الله عنه أنه كان فى خلاقته يلبس جبة

(١) زيد فى بن : تعالى .

(٢) فى بن : الجنود .

(٣-٣) فى بن : أخذ بنعليه و جعلها تحت إبطه .

(٤) فى بن : الروم .

(٥) زيد فى بن : بن الخطاب .

صوف مرقوعة^١ ويمر بالنوى فليلقطه ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا^٢ به^٣،
وكان يطوف بالليل وحده عسا^٤. ومناقب عمر كثيرة تقدم منها
لمع^٥، وسيأتى منها أيضا إن شاء الله تعالى. انتهى.

[تبادل الرسائل والقذف بين الفتنش والمرينى]

٥ نعود إلى ذكر مكاتبة الفتنش ملك النصارى للسلطان أبي الحسن
المرينى بعد ظفروه بعسكره^٦، وجواب أبي الحسن عنها، وذلك أن
نصارى الأندلس^٧ لما ظفروا بالمسلمين^٨ أسروا منهم في كسرة السلطان
أبي الحسن^٩ "خلائق كثيرة". قيل إنهم أسروا من أولاد المسلمين
أربعة وعشرين ألف صبي وصية. وأما الرجال والنساء فلم يُعلم لهم
١٠ عدد، "منهم من قتل، ومنهم من أسر". ثم إن الفتنش اللعين، الكلب
المستهين، كتب كتابا أرسله للسلطان أبي الحسن المرينى صاحب مدينتي

(١) في بن: مرقعة.

(٢) في بن: ينتفعوا.

(٣) زيد في بن: وأكل في الرمادة الحبز والزيت حتى حال.

(٤) ساقطة من بن من هنا إلى «إن شاء الله تعالى».

(٥) في بر: لمعا.

(٦) في بن: بعسكر أبي الحسن.

(٧) كذا في بن، وهي في بر: أبو.

(٨) في هامش بر: كتاب ملك النصارى.

(٩) ساقطة من بر، وواردة في بن.

(١٠-١١) في بن: خلق كثير.

(١١-١٢) في بن: من أسر منهم.

فأس و تلمسان و أعمالها يقول فيه : باسمك اللهم فاطر السموات
و الأرض ، و يخرج النبات ، و يحيى العظام و هى رفات ، و العالم
بما مضى و ما هو آت ، و صلى الله على الفصيح ، صاحب الدين الصحيح ،
و المنهج القويم الرجيع ، عيسى بن مريم المسيح ، الذى تزتر بالزئار ،
و قفا أثر الحواريين و الأنصار ، و صلى من الجهات شرقا ، لربّ يبقا . ٥
من الأمير الفنش بن الأمير جانه صاحب قشيلة و طليطلة و قرطبة
و إشبيلية ، إلى أمير المسلمين أبي الحسن المربني . - أما بعد ، أيها الأمير
فانه لا يخفى على كل ذى لبّ عازب . و ذهن ثاقب ، أنك أمير المملكة
الحيفية . كما أنا صاحب المملكة النصرانية . ٢ قد تعلم أيها الملك
ما أصحابكم عليه بالاندلس من التخاذل و التواكل ، و إهمالهم الرعية ، ١٠
و جورهم فى القضية ، و ما بأيديهم من بلاد الاندلس ، فأنا أسيمهم
بسيمة الخسف . و أشينهم بشيمة [١٨٣ : الف] العسف ، فأخرب
البلاد . و أقتل العباد ، و أسبي الحريرم و الأولاد ، و أقتل الشباب
و الرجال ، و أذيقهم مرّ النكال ، و ثبت عندكم أننا نحن الكفرة ،
بل أتم الشياطين الفجرة . سلطنا عليكم من يده أمور مقدرة ، و أحكام ١٥
مدبرة ، فكثيركم عندنا قليل ، و عزيزكم عندنا ذليل . من طلب أماننا
سلم ، و من رام حربنا خسر و ندم . أكلتم الحرام و أظهرتم البدع ،

(١) ساقطة من بن . (٢) واو العطف ساقطة من بن .

(٣) فى بن : فا - و هو خطأ ظنى .

(٤) فى بن : بشينة .

فدعائوكم عندنا ' لا يحساب و لا ينفع . و أنتم تزعمون أنكم تهمون^٢
 بنصرهم ، و تساعدون ابن الأحرر علينا ، و تصلون^٣ شركم إلينا . فانعلم
 هذا الجبن أبطابكم ، أو تكذبا لما نزل على نبيكم ، و قد قلتم إنه نزل
 ' على نبيكم : في كتابكم أنه كتب^٤ الله على كل واحد منكم عشرة منا ،
 ٥ . ولكن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا . و قد صار كل واحد منا
 يغلب منكم ألفا . و أنتم تزعمون أنكم لم تجدوا للجواز من خليج سبته
 سيلا . و أمر الحزم عندكم بخيلا . و لأن^٦ أبدى لكم ما فيه الكفاية ،
 و أثبت لكم ما فيه النهاية^٧ ، و أرشد عليكم بالدليل^٨ و البرهان ، و أحلف
 عليكم^٩ بأعظم الأيمان ، على ما في أيديكم من القطائع و الطرائد و الأجفان ،
 ١٠ . تسوقونها^{١٠} بأيديكم . فان كان الغلب لكم^{١١} فنعمة أنعمها الله عليكم .
 و إن كان الغلب لنا ، فجاء لملكم الأحران . و شاط لكم التيران ، لأن

(١) في بن : علينا .

(٢) في بن : تنقمون .

(٣) في الأصاين : تصلوا .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : أثبت لكم ما فيه الكفاية و أبدى لكم ما فيه النهاية .

(٧) في بن : الدليل .

(٨) في بن : لكم .

(٩) كذا في بن ، وهي في بن : تسوقوها .

(١٠) ساقطة من بر ، و واردة في بن [١٣٢ : ب] .

نساءكم^١ في أيدينا^٢ وأرلادكم خول^٣ لنا، وقد تفتت بلادنا من حيث القتلى، وقد أصبح عقدكم منحلًا^٤ وقد رثينا بما نزل بكم من الشرار، وما تركتم في الملة الخيفية من العار، لأنكم تزعمون أنكم تغلبون. فلما ترامت الفتان ولتيم الأدبار، دون طعان ولا نضال^٥. ولقد حلفنا بالصلب الأكبر، وكتابنا الإنجيل الأشهر، لا رجعنا حتى نأخذ حصونكم^٥ وأموالكم واليمن^٦ والشام، وبحير منكم الأوهام. والله الموفق لإسعاده والمحب لمن اختار من عباده.

فلما وقف السلطان أبو الحسن المريني على كتاب الفتن، أمر برد الجواب، بأحسن خطاب،^٥ فكتب جواب الكتاب^٥: من أمير المسلمين^٦ ابن أمير المسلمين^٦ علي بن يعقوب^٧ بن العباس^٨ المريني إلى الأمير^٩ الفتن^{١٠} ابن جانه صاحب المملكة النصرانية. دمرها الله تعالى و سلبها عزها، وأباد

(١) في بر: نساءكم، وفي بن: نساءكم.

(٢) في بن: خدم.

(٣) زيد في بن: ولا قتال.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: فأمر أرباب الفصاحة والبلاغة أن يحاربوه بأحسن جواب وأبلغ خطاب فأجاب كل واحد بجواب فلم يعجبه إلا جواب طالب علم فقير. فلما وقف على جوابه أتت الأجوبة كلها وأمر بجواب ذلك الطالب بعد أن أحسن إليه وأثنى عليه وقدمه على غيره. وأمد به بطوله وخيره، وكان جواب الكاتب.

(٦-٦) مكررة في بن.

(٧-٧) ساقطة من بن. (٨) في بن: أمير.

ركزها . أما بعد ، أيها الأمير ، الكافر بالعلم الخبير ! فقد وصل كتابك ،
وفهمنا خطابك ، وما حدثتم به نفوسكم الكاذبة ، وظنونكم الخائبة ،
من الوعد والوعيد ، والمركبة والتشديد . وقد وصفتم أصحابنا أهل
الاندلس بأنهم أهل الذل ، وهم قد أهلكوكم بالأسر^١ والقتل^٢ ، فهم
هـ والله الرجال وأبناء الرجال ، والدليل على هذا بيان صرهم لشركم ،
وإقامتهم مجاورين [١٨٣ : ب] لأرضكم ، وقتلهم أكثركم . فكم قتلوا
منكم رجالا . وسلبوا منكم عيالا ، وأذاقوكم كأس النكال . فأوعدهم الله
الظفر^٣ بكم ، وأورثهم بلادكم وأرضكم . وأما غرركم بالهزيمة ، وماء تحصل
بأيديكم من السلب والغنيمة ، فذلك عادة الله فينا وفيكم . فلم يزل يبتلينا
١٠ و يبتليكم ، حتى يعلم المجاهدين ، ويزيد أجر المحسنين . فهي في أيديكم
أمانة ، حتى نأخذها بالإهانة . وقد نزل على سيد المرسلين والناس :
” و تلك الأيام نداولها بين الناس “ . وأما قولكم إنا ولينا الأدبار ،
دون طعن^٤ ولا فضال ، فقد داخلنا العجب حتى ضيعنا الرجال ، فلم تحظروا
لنا على بال ، حتى عرفتم طرق الاحتيال ، فمن مات منا مات شهيدا ،
١٥ ومن عاش منا عاش سعيدا . فلا بد لنا من الكرة ، وإطفاء تلك

(١-١) في بر: أهلكوا بالقتل ، والعبارة كذلك في بن وهي الأصح كما أخذناها
بالنص .

(٢) في اصلين : بالأصر .

(٣) في بن : الحصر .

(٤) ساقطه من بن .

(٥) قرآن كريم ٣ : ١٤٠ .

(٦) في بن : طعان .

الجرة . فان كان النصر لنا فنعمة من الله ، وإن كانت الأخرى فشيئا
 في سبيل الله . فأمر المسلمين بآقية ، وسيوفهم بالموت قاضية . فلا بد
 من فتح يركم ، وإطفاء ناركم . وقد كان لكم اليمن و الشام في الزمن السابق ،
 و ملكتم ' المغارب و المشرق ' ، و الحصون و المدن ، و المواضع
 و الأماكن ، ففرغناكم ^٢ من أيديكم ، و نصرنا عليكم و أخرجناكم ، ^٥
 و ملكنا الله مصر و الشام و اليمن إلى البحرين و أشخطناكم ^٣ من بلادكم ،
 و أذقناكم الشين ، فصرتم منا منفين ، إلى أطراف البلاد منجلين . فلو
 وجدنا الطريق لكم مينا ، أرسلنا لكم عذابا مهينا . و أما قولكم إن الله
 كتب على كل واحد منا قتال اثنين منكم و الرجل منا يلقى ألفا بقوة
 الإيمان ، و ما وعد الله عز و جل من الثواب ' في جنة الرضوان ' . بل ^٧ ١٠
 الأندلس عشر من أعشاركم ، فقد قتلوا ^٨ أمراءكم و كبراءكم . فها نحن
 عائدون . ' و على مقابلتكم عازمون ' . فينصر الله من يشاء من عباده ، و يورثه
 أرضه و بلاده . و السلام على من اتبع الهدى ، و أطاع الملك الأعلى .

(١-١) في بن : المشرق و المغرب .

(٢) في بن : ففرغناهم .

(٣) في بن : و اشخصناكم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : يلقا .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : في بلد .

(٨-٨) في بر : أمراءكم و كبراءكم . - و في بن : أمراءكم و كبراءكم .

(٩) في بر : فهذا . - و صحته في بن كما في النص .

(١٠-١٠) في بن : على مقاتلتكم .

[غزوة الأندلس سنة ٧٦٨]

قال المؤلف غفر الله له ' ولوالديه ، وللاقربين إليه ، وجميع المسلمين : وردت الأخبار من الأندلس إلى الإسكندرية بأن المسلمين انتصرت على الفتنس وجنوده الكافرين ، وذلك ' في سنة ثمان و ستين ٥ و سبعمائة ٣ ، وأخذوا منهم ' تلك الأمانة بالإهانة ، وقتلوا من الإفرنج ٥ أضعاف ما قتلت الإفرنج ' من المسلمين في كسرة السلطان أبي الحسن و ' ابن الأحمر ' ، و حرثوا مدنهم بالبقر . ثم أن المسلمين فتحوا ' بالأندلس أيضا ' المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ' المتقدم ذكر أخذ الفرج لها من أيدي المسلمين ' بطول المحاصرة ' . فأخرج ' المسلمون الفرج منها ١٠ ذليلين حقيرين ، بعد أن أقاموا فيها ثلاثين سنة . وقد زرعوا أرضها زيتونا ، ولم يكن [١٨٤ : الف] شجر الزيتون قبل ذلك بها ' . و زرعوا

(١-١) ساقطة من بن [١٣٣ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في هامش بر : سنة ٧٦٨ قتلوا من الإفرنج .

(٤) في بن : منه .

(٥) في بن : الفرج .

(٦-١٦) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٧) زيد في بن : أيضا .

(٨) أي مدينة Algeciras .

(٩-٩) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(١٠) في الأصلين : فأخرجت .

أيضا بها البساتين و الكروم . و زادوا في عمارة أرضها و دورها . فلما فتحها المسلمون ^١ في سنة إحدى و سبعين و سبعمائة ^٢ ، رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر 'سلطان الأندلس' أن ينادى في البلاد أن كل من له دار يباطنها أو أرض ^٣ بظاها أو مزرعة بأراضيها يمضى إليها و يأخذها إن كان حيا ، و إلا ورثته تقسمها ^٤ على حكم الفريضة الشرعية ^٥ . إن كان ميتا ^٦ من غير منازع و لا مدافع . فرجع ^٧ أهلها المسلمون إليها سكنوها ^٨ و استوطنوها . فمن كان فقيرا استغنى بما صنع الله له على يد الفرخ الكافرين . و من كان غنيا زادت أمواله بالآلاف و المئين ، فغاب سعى الفرخ الضالين ، و صاروا على ما تعبوا عليه ^٩ و أنشأه لأنفسهم ^{١٠} نادمين ، لعنة الله عليهم أجمعين . ١٠

فإن قيل كيف قدر ^{١١} المسلمون على الإقامة بجزيرة الأندلس في مسيرة سبعة أيام و نصارى في مسيرة سبعة ١٢ شهر و فيها من النصارى

- (١-١) ساقطة من بن . و ورد بهامش بر : فلما فتحها المسلمون سنة ٧٧١ .
 (٢-٢) ساقطة من بر ، و واردة في بن : و قد ذكره لسان الدين بن الخطيب في « كتاب أعمال الأعلام » تحقيق لقي بروفسال (بروت ١٩٥٦) ص ٢٨٧ - ٢٩١ .
 (٣) في الأصلين : دارا ... أو أرضا . (٤) في بن : يقتسمونها .
 (٥-٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن . (٦) في الأصلين : فرجعت .
 (٧) في بن : و سكنوا بها . (٨-٨) عن بن ، و في بر : و أنشوه لأنفسهم .
 (٩) زيد في بن : تعالى .
 (١٠) من هنا تبدأ عبارة زائدة في بن و ساقطة من بر و قد آثرنا ادماجها في النص لاستقامة السياق بذكرها .
 (١١) في الأصلين : قدرت . (١٢) في الأصلين : سجع .

ما لا يحصى كثرة و المسلمون شرذمة قليلة ؟ قيل ان ملوك النصارى السالفة غزاهم المسلمون ١ فحصل للنصارى الهبة منهم فتركوا محاربتهم لما تيقنوا أنهم كلما غزوهم خذلوا . فلذلك تركهم ٢ النصارى مقيمين ٣ معهم في جزيرتهم حتى كانت وقعة أبي الحسن المريني ، فانتصر ٤ النصارى على المسلمين ٥ و ذلك لإعجاب أبي الحسن بنفسه في تلك الغزوة التي ظن أنه لم يكن ملك بالأرض إلا هو و أنه لكثرة جيوشه - انتهى ٥ .

و اعلم أن الأندلس درب الإسلام و حصنه ، ليس وراء أهله المسلمين ٦ إلا الكفرة الضالون ، و العرش يهتز من تكبير المسلمين المقيمين . و ذلك لما روى عن ٧ أبي أيوب ٨ النصارى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم إذ توجه للقاء المغرب و سلم و أشار يده ، فقيل له : على من يا رسول الله ٩ سلمت و أشرت بيدك إليه ؟ قال : "رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب الأقصى بحزيرة يقال لها الأندلس ، حيهـم مرابط . و ميتهم شهيد ١٠" . و هم بمن استثنى الله في كتابه في قوله تعالى :

(١) في الأصل [بن ١٣٣ : الف] : غزوهـم المسلمين .

(١) في الأصلين : تركتهم . (٣) في الأصل [بن] : مقيمون .

(٤) في الأصلين : فانتصرت .

(٥) هنا تنتهى الزيادة من بن و يستأنف الأصل بر فيما يلي .

(٦) في بر : المسلمون . . . و صحتها في بن .

(٧-٧) عن بن ، و في بر : أبي موسى .

(٨) كلمة " له " مشطوبة في بر و يستقيم بها السياق .

(٩) في الأصل : رسول . . . و " سلمت " وردت في بن قبلها .

(١٠) في الطامش : مطلب ، قوله تعالى " فصعق من في السموات " - الآية بسورة

الزمر ، في حق أهل الأندلس ، فهم آمنون من الصعق .

”ونفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله“^١ فهم آمنون من الصعق .

قال الشيخ أبو العباس المرسى : كنت ليلة من الليالي جالسا بالإسكندرية أكتب كتابا لبعض أصحابنا ، وإذا بالشيخ البشتلي^٢ في الهواء ، فقلت : إلى أين انتهت سياحتك في هذه الليلة ؟ فقال : خرجت هـ من بشتيل^٣ القناطر ، وانتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب^٤ الأقصى ، وأنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس ، وأعود إلى بلدي ، ولو بسطت لي أكثر من ذلك لانبسطت . قال الشيخ أبو العباس فقلت هـ : ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ، ولكن أنا الساعة لو أردت^٦ آخذ يدك وأضعك على جبل قاف وأنا هاهنا ١٠ فعلت .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله^٧ : سمعت الشيخ أبا العباس

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٦٧ .

(٢) في الأصلين : البشتني . انظر الحاشية التالية في أصل اشتقاق الكلمة .

(٣) بشتيل من نواحي مركز امبابه بمديرية الجيزة .

(٤) في بن : بالغرب .

(هـ) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن [١٣٣ : ب] : إن أردت أن .

(٧) في بن : ابن عطا .

المرسى يقول: كنت و أنا صبي عند المؤدب جاء ' رجل فوجدني أكتب في لوح ، فقال لي ٢ : الصوف ٣ لا يسود يابضا . قال فقلت له : ليس الأمر كما زعمت ، ولكن يسود يابض الصحائف بسواد الذنوب . ٤ قال [١٨٤ : ب] فسكت ولم يبد جوابا ٥ . قال ابن عطاء : دخلت ٥ عليه و قد جاء من السفر لأسلم عليه ، قال : يا أحمد كان الله لك و لطف بك و سلك بك سبيل أولائه و بهاك بين خلقه . فلقد وجدت بركة هذا الدعاء - انتهى .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

١٠ على أن في مصر على الجيش قائد يبيت و لا يعطى القياد على القصر^٦
يعنى بالقائد المذكور الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي ، قائد الجيوش المنصورة . أى لا يقيم على الذل و القهر ، بعد أن جرى على الإسكندرية في أيام عزه و حكمه ما جرى . فعزم على عمارة المراكب الحربية ،

(١) في بن : جاءني .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصوف .

(٤-٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : و دخلت .

(٦) في بن [١٣٣ : ب] : الكفر .

و اجتهد ١ فى عمل ١ الاسلحة المتكية، و السفر إلى الجزيرة القبرسية،
 يطهرها ٢ من الصليب و الخنزير، بعد قتل من فيها من كبير و صغير .
 و يسكنها للمسلمين ٣، أو يجعلها خرابا على عمر السنين ٤ . و لعل أن يظفره
 الله تعالى بصاحبها رير الملعون، يذيقه العذاب الهون *، و يقتله بسيفه
 البتار، كما قتل الملك المهرج ٦ لصاحب قمار ٧ .
 هـ

[قصة ملك قمار و المهرج]

و ذلك أن ملك قمار من أرض الهند، و من هذه المملكة و الصقع^٨
 يحمل العود القهارى و إليها يضاف، ٩ و أن ملك قمار^٩ جلس يوما فى

(١) فى بن : فيها و عمل .

(٢) فى بن : ليطهرها .

(٣) زيد فى بن : يقيمون بها الدين .

(٤) زيد فى بن : لتصير مأوى البوم و الجرادين .

(٥) زيد فى بن : من هذه - و الجملة مشطوبة و زائدة .

(٦) أى المهرجا : Maharaja .

(٧) انظر ذكر هذه القصة فى « مروج الذهب » للسعودى (ج ١ ص ١٧٠-١٧٥)

و قد جاء فى « معجم البلدان » لياقوت أن « قمار بالفتح و يروى بالكسر، ينسب
 إليه العود، هكذا قول العامة، و الذى ذكره أهل المعرفة قامرون موضع فى
 بلاد الهند يعرف منه العود النهاية فى الجودة ». راجع أيضا دائرة المعارف الاسلامية

تحت موضوع Zabag وكذلك كتاب Georges Coedes : The Making of South
 East Asia. Tr. H. M. Wright. (Berkeley, University of California Press
 1966).

(٨) فى بن : و الصقى . و صحتها كما جاءت فى بن و أوردناها فى النص .

(٩-٩) سائطة من بن، و واردة فى بن و بها تكتمل الجملة .

قصره على سرير ملكه ، ' و هو مشرف ' على نهر عظيم ' يجرى بالماء العذب ، و بين قصره و البحر الملح مسيرة يوم ، و وزيره بين يديه ، إذ قال لوزيره و قد جرى ذكر مملكة المهرج و جلالتها ، و كثرة عماراتها ٣ ، و ما تحت يده من الجزائر : في نفس شهوة كنت أحب بلوغها . فقال له ه الوزير و كان ناصحا : و ما هي أيها الملك ؟ فقال : كنت أحب أن أرى رأس المهرج ملك الجزائر ٤ كالزاج و كله و سرنده ٤ في طشت بين يدي . فعم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر في نفسه ، و أخطر هذا بباله ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بهذا ، إذ لم يجرينا و بين هؤلاء القوم من ه قديم الزمان و حديثه ترة و لا رأينا ١٠ منهم سوءا ، و هم ٢ في جزائر نائية عنا ، غير مجاورين لنا في أرضنا ، و لا طامعين في ملكنا . و بين مملكة القمار ١ و مملكة المهرج عشرة أيام إلى عشرين يوما عرضا في البحر الملح . ثم قال له الوزير : ليس ينبغي أيها الملك أن يقف على هذا أحد ، و لا يعيد الملك فيه قولا . فغضب

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : عماراتها .

(٤-٤) في بن : كالزاج و ككه و سرنده . و الغالب أنها أسماء بعض الجزائر التابعة لساحل الهند و قد وردت في « معجم البلدان » و قيل إنها تابعة للجزائر المعروفة في أيامنا باندونيسيا .

(٥) في بن : في .

(٦) في بن : قمار .

و لم يسمع من الناس، وأذع ذلك لقوده، ومن كان يحضره من وجوه أصحابه، فقلته الألسن حتى شاع واتص بالملك 'المهراج' . وكان المهراج جزلاً متحرّكاً، قد بلغ من السن مبلغاً متوسطاً . وكان ملك القمار حدث السن لم يحرب الأمور . فدعا الملك المهراج بوزيره، وأخبره بما اتصل به، وقال : إنه ليس يجب مع ما قد شاع من أمر هذا ٥ الجاهل وتمنيه ما حتى ٣ [١٨٥ : الف] بحدثة سته وغرته، و انتشار ذلك من قوله، أن يمكّ عنه، فإن ذلك مما يقدر في الملك و يضع منه، وأمره بستر ما جرى بينهما، وأن يعدّ له ألف مركب من أرباط المركب بالأنهار . ويتدب لكل مركب من حملة السلاح وقرّهة الرجال ما يستقل به، وأظهر أنه يريد التزده في جزائر مملكته، و كتب ١٠ إلى نوابه الذين هم في هذه الجزائر و تحت طاعته و جلته بما عزم عليه من زيارتهم، و التزده بجزائرهم، حتى شاع ذلك . وتأهب كل صاحب جزيرة بما يصلح للملك المهراج . فلما استتمت أموره، و انتظمت مراكبه، دخل المراكب، و عبر بها بالجيش إلى مملكة القمار، فطرح رجاله من المراكب، و أخذ قوا به^١ على سبعين غرة، فاحتوى على داره، و صار^٢ ١٥

(١) في بن : الملك .

(٢) زيد في بن : فقال الوزير لا قوة إلا بالله . نصحته فلم ينتصح كما وعظ بعضهم سكران . فقال أما يستحي أن يعظ سكرانا .

(٣) في الأصين : تمنا .

(٤) في بن [١٨٤ : الف] : بملك القمار .

(٥) في الأصين . و طار - و واضح أنه خطأ قلمي .

أهل المملكة بين يدي المهراج ، فأمر بالنداء بالأمان ، وجلس على
 السرير الذي كان يجلس عليه ملك القهار^١ . وقد أخذه أسيرا . فأحضره
 وأحضر وزيره ، فقال لللك : ما حملك على تمنى ما ليس في وسعك
 ولا لك فيه حظ لوئيلته ، ولا أوجه سبب يسهل السيل إليه . فلم يجد
 ه جوابا ، وقال^٢ المهراج : أما أنك لو تمنيت مع ما تمنيت من النظر إلى
 رأسى في طشت بين يديك إباحة أرضها أو ملكها أو نفاذ في شيء
 منها لاستعملت ذلك فيك ، ولكنك تمنيت شيئا بعينه . فأنا فاعله بك ،
 وراجع إلى بلدى من غير أن أمدّ يدا إلى شيء من بلدك . مما قل وجل
 ليكون عظة لمن بعدك . ولا يتجاوز كل قدره ، وما قسم له . وأن
 ١٠ يستغنى العافية من لبته . ثم ضرب عنقه ، وأقبل على وزيره . وقال^٣ :
 جزيت خيرا من وزير . فقد صح عندى أنك أشرت على صاحبك
 بالرأى لو قبل منك ، فانظر من يصلح لللك من بعد هذا الجاهل^٤
 فأقيمه^٥ مقامه . وانصرف^٦ من ساعته^٦ راجعا إلى مملكته . فلما رجع
 إليها وقعد على سريرته وضع^٧ لطشت بين يديه وفيه رأس ملك القهار

(١) فى بن : قهار .

(٢) فى بن : قال له .

(٣) زيد فى بن : له .

(٤) زائدة فى بن .

(٥) فى بن : فأقيه .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) فى بن : ووضع .

و أحضر وجوه مملكته و حدثهم بخبره . و السبب الذي حمله على ما أقدم عليه ، فدعاه أهل مملكته و جزوه خيرا . و أمر بالرأس فغسل و طيب و جعل في ظرف و رده إلى الملك القائم ببلاد القمار ، و كتب إليه : إن الذي حملنا على ما فعلناه بصاحبك بغيه علينا ، و تأديبا لأمثاله ، و قد بلغنا ما أردناه ، و رأينا رد رأسه إليك ، إذ لا دَرَكَ لنا في حبسه ، و لا نخرنا .^٥ لما ظفرنا به منه . و اتصل الخبر بملوك الهند و الصين ، فعظم المهرج في أعينهم . و صارت ملوك القمار من بعد ذلك كلها أصبحت قامت و جوهها نحو بلاد الزابج و سجدت و كفرت للمهرج تعظيما [١٨٥ : ب] له . و كذلك الأمير يلغا الأتابكي إذا ظفر برير انقرسى و قتله و أخرج قبرس بعد أسر من فيها ، خافت جميع الفرنج^٣ منه و ارتعبت^{١٠} و أقرت لمملكة الديار المصرية و الشامية بالقوة و الحجة ، كما خاف من جحد و كفر من السلطان أبي عبد الله محمد تشهير بابن الأحمر بما جرى عليهم^٦ منه من إخراجه لبلادهم ، و قلعه لأصولهم و أوتادهم و أسره لحریمهم و أولادهم بجزيرة الأندلس ، كما سيأتي ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى . انتهى .

(١) في بن : قمار .

(٢) في بن : نخر .

(٣) في بن : الإفرنج .

(٤) في بن : على الإفرنج .

(٥) زيد في بن : يا جنود الصبر اثبتوا إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . تذكروا عز الأقدام و احذروا هتكة العزيمة إذا لاحت أعلام التقى لم يبق منزل دون المنزل و يخ المستكبرين من الخطايا ألا يظن أوتك أنهم مبعثون (كذا اليوم عظيم .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير

صلاح الدين بن عرام سنة ٧٦٨]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

أقام لنا بالفخر جيشا عرمرم وفيه بن عرام المؤيد بالنصر

٥ أقام ، يعنى به الأمير الأتابكي يلبع الحسكى مقدم الجيوش المنصورة ،

بعث للإسكندرية بعد وقعة القبرسى بها جيش سعيدا ، حازما شديدا .

يقيم بها خفطها . وفى ذلك الجيش الأمير صلاح الدين خليل بن عرام

والد بها ، فكان قدومه إليها ثنى لإيادته له بها فى شوان سنة ثمان

وستين وسبعمائة . وذلك بعد عزل الأمير سيف الدين الأكرز منها ،

١٠ وبعد أن كان شاد الدين بالقاهرة ، فنصره الله تعالى على عدوه

' لوزير الفخر بن قرويه ' ، فهو الذى كان تسبب فى عزله من الإسكندرية ،

كما سيأتى ذكره ٣ إن شاء الله تعالى .

وكان الأمير صلاح الدين المذكور فى ولايته الأولى سافر إلى

الحجاز لتتريف بعد أن استأذن الأمير الأتابكي يلبع الحسكى

١٥ فأذن له فى سفره ، وولى ' الأمير يلبع ' الأمير جنغرا ' كما تقدم .

ذكره نائبا للأمير صلاح الدين بها ٣ مدة سفره . فخرى على الإسكندرية

(١-١) وردت هنا فى الأصل : الأكرز . ثم جاءت فى ص ٢١٣ : الأكرز . وقد

وحدتهما كالتأنيده لإمكان سقوط الخط فى الأولى .

(٢-٢) فى بن [١٣٤ : ب] : والوزير بالقاهرة ابن قرويه .

(٣) الكلمة ساقطة من بن (٤-٤) الجملة ساقطة من بن .

(٥-٥) فى بن : المقدم (٦) فى بن : عن الأمير .

في غيبته بالحجاز الشريف ما جرى من ظفر الإفرنج^١ بها على يد الأمير جنغرا ، كما تقدم ذكره . فلما قدم الأمير صلاح الدين من الحجاز الشريف إلى القاهرة حين الوقعة ، أرسله الأمير يلغا إلى الإسكندرية سرعة ليتقدمه إليها ، فدخلها خامس عشرين المحرم رابع يوم الوقعة^٢ . فزرع ما كان على سورها من أعلام صلبان النصارى المشركين ، ونصب عليها أعلام^٣ المسلمين الموحدين . ووجد أسطول^٤ الفرنج محصنا بالبحر ، فتيقن العدو الملعون أن النجدة وصلت لما رأى أعلام الصلبان عن^٥ السور قلعت ، وأعلام المسلمين عليه قد نصبت^٦ ، فكان^٧ فعله ذلك إيهاما لهم . ثم إنه راسلهم مع يهودى يسمى يعقوب فى قارب يقول لصاحب قبرس : إن كنت ملكا فأتزل إلى البر ، وقابل جيش مصر ، وإلا فالذى فعلته^٨ ليس هو كفعل^٩ [١٨٦ : الف] الملوك ، بل فعلت كفعل^{١٠} اللصوص ، سرقت وهربت ، إلى غير ذلك من القول . فقال : ما سويتا عند ابن عرام أن يرسلنا إلا^{١١} مع يهودى^{١٢} .

(١) فى بن : الفرنج .

(٢) زيد فى بن : سنة سبع وستين وسبعائة ، فزرع - الخ .

(٣) عن بن ، والكلمة فى بر : اصطول .

(٤) فى بن : من .

(٥) زيد فى بن : ورفضت .

(٦) فى بن : وكان .

(٧) فى بن : فعل .

(٨) « إلا » وردت فى بن قبل « يرسلنا » .

(٩) زيد فى بن : كوهى - والمقصود بالكلية غامض .

[قصة يعقوب اليهودي مع بطرس لوسيفان]

حدث الشريف محمد الحسني قال: حدثني يعقوب اليهودي المذكور - إنني لما أرسلني الأمير صلاح الدين لصاحب قبرس ، افقتني الفرنج ثم كتفوني^١ ، و صار على رأسي افرنجيان معها سيفان مجردان^٢ .
 ٥ الواحد عن يميني ، و الآخر عن شمالي ، ماشيان معي ، فتخطوا بي أربعين غرابا ملصقة بعضها لبعض ، وأنا أشاهد أسارى الإسكندرية المسلمين و اليهود و النصارى الذميين . الرجال منهم و النسوان و الإماء^٣ و الأطفال و الصبيان^٤ ، إلى أن وصلت إلى الملك في آخر الغرابان ، وإذا به جالس^٥ في خيمة كبيرة لها شبايك مخيطة بها ينظر منها إلى البحر ،
 ١٠ و عن يمينه راهب ، و عن يساره آخر^٦ . فلما أرقفوني^٧ بين يديه قال: من هو هذا؟ قالوا: رسول أتى من عند الأمير صلاح الدين بن عرام نائب السلطان بالإسكندرية . فقام عند ذلك قائما على قدميه .^٨ و قام الراهبان لقيامه خدمة له . ثم جلس الملك و جلسا بجلوسه^٩ . قال ثم قال

(١-١) في بن: فتشتني الافرنج ثم كتفني .

(٢-٢) في لأصلين: افرنجيين معها سيفين مجردين .

(٣-٣) في بن: و الولدان (٤) في بن: و صلوا بي (٥) في الأصلين: جالسا .

(٦) في بن: راهب . و أغلب الظن أنهما مشار الملك Philippe de Mezieres

و بطريك القسطنطينية اللاتيني Pierre de Thomas . انظر في ذلك مؤلفنا بعنوان

The Crusade in the Middle Ages (London 1938) .

(٧) في بن: و تفوا بي .

(٨-٨) في بن: و قام الراهبان ثم جلس الملك و جلسا معه . و في بر: و قامت الراهبان

و الأصح ما جاء في بن فأوردناه بالنص .

الملك إجلس فجلست . وإذا بين يدي الملك من نسوان الإسكندرية جماعة كبيرة حسان الوجوه . وعلى رأس الملك تاج من الذهب بأعلاه جوهرة مضيئة ، وعليه الجوخ^٢ الرفيع المزورّ بازرار الذهب والؤلؤ المنظوم . فقال لى : فيم^٣ أتيت ؟ فقلت : يقول لك نائب السلطان إن عندنا ثمانية وأربعين إفرنجيا تجارا^٤ أعطنا المسلمين ونعطيكمهم . فقال^٥ : سلم على نائب السلطان وقل له يكتب لنا^٦ كل واحد منهم كتابا بخطه^٧ الرومى يعرفنا اسمه واسم أبيه وأمه وكم في الشهر الرومى من يوم منك^٨ . فإذا صح لنا ذلك علمنا أنهم بالحياة^٩ ، نقديهم بأسارى الإسكندرية ، وما لنا إقامة إلا إلى غدا^{١٠} نعصر ونرتحل . قال اليهودى فرجعت أعلمت^{١١} نائب السلطان بذلك ، وكان^{١٢} المسلمون أخرجوا^{١٣} .

(١) فى بن : ذهب .

(٢) زيد فى بن : الاشكلاط .

(٣) فى بن : فيما .

(٤) ساقطة من بر ، وواردة فى بن .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦-٦) فى بن : يأمرهم أن يكتبوا لنا خطهم .

(٧) فى بن : بالخط .

(٨) عن بن ، وهى ساقطة من بر .

(٩) فى بن : أحياء .

(١٠) فى الأصليين : غدا .

(١١) فى بن : واعلمت .

(١٢) فى الأصليين : وكانت .

تلك الفرنج حين الوقعة من الإسكندرية إلى ناحية دمنهور^١ . فلما طلبوا لم يصلوا إلا والفرنج^٢ التي بالمراكب لما عاينوا قدوم عساكر مصر قد أقبلت كالجراد المنتشر لم يلبثوا أن سافروا .

[دخول يلبغا الخاسكى الإسكندرية]

٥ ولما دخل الأمير الاتابكى يلبغا الخاسكى الإسكندرية^٣ . ورأى وشاهد ما آل أمرها إليه من الهدم والحريق والقتلى المطروحة بظاهرها وباطنها بكى^٤ على ما أصابها وأصاب أهلها في أيام عزه . حكمه . فلآم نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العمارة بمجزيرة قبرس . وأمر حينئذ الأمير^٥ صلاح [١٨٦ : ب] الدين بدفن القتلى فدفنها ، وأمدته بالأموال لعمارة ما خرب منها ، فاجتهد في العمارة ، وشق خندقا إلى جانب السور الذى توصلت منه الفرنج إلى الإسكندرية لم يكن قبل ذلك ، فعمره في أسرع وقت . وهذا الخندق المتجدد محاذ^٦ للوضع المسمى من داخل السور بدار الصناعة^٧ وديوان الخنس ومحارى الآقية ، وصله بالخندق^٨ الأصل الذى أوله ساحل بحر السلطة والباب الأخضر إلى

(١) زيد فى بن : رحبوا (كذا ولعلها وضعا) بسجتها .

(٢) فى بن : والإفرنج .

(٣) كذا فى بن [١٣٥ : الف] . وهى فى بر : بكا .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : للأمير .

(٥) فى الأصل : محادى .

(٦) فى بن : الصاغة .

(٧) فى بن : الخندق .

قلعة ضرغام ، فزاد من القلعة المذكورة إلى أن وصله ببحر^١ المينة الشرقية ،
و كأن البحر كان في الزمان القديم يضرب في السور إلى عند قلعة
ضرغام . فلذلك ترك^٢ المتقدمون ذلك الموضع بغير خندق . ثم انظر
البحر عن السور^٣ بعد ذلك^٣ ، فصار ذلك المكان بغير خندق ، وطال
الامن و عدم الخوف ، فأهمل^٤ المسلمون ذلك^٥ الموضع من حفر^٥ .
خندق . و ضرب الدهر ضرباته لإطالة الزمان و تغير الأوقات و تقلب الدول
و صار^٦ المسلمون في أمان و اطمئنان^٧ ليس عندهم هم^٨ و لا نكد
لإطالة الأمد ، فوجد العدو مكانا خاليا من خندق و رجال و عدد كما تقدم
ذكر غلق باب الديوان^٩ خوفا من أن تدخل البضائع البلد منه بغير حق^٩ ،
فتوصل العدو^{١٠} بسبب غلق بابه و منع المقاتلة من طلوع سوره من^{١٠}
تلك الجهة إلى البلد فجاس في خلال الديار و عربد .

[ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية]

ثم إن الأمير صلاح الدين بن عرام عمر في ولايته الثانية خندقا

- (١) في بن : بخندق .
- (٢) في الأصلين : تركت .
- (٣ - ٣) - اقطعة من بن .
- (٤) في الأصلين : فأهملت .
- (٥ - ٥) في بن : بغير حفر .
- (٦) في الأصلين : وصارت . (٧) في بن : و اطمئنان .
- (٨) - اقطعة من بر و واردة في بن .
- (٩ - ٩) في بن : من داخل البلد خوفا من التجار البضائع (كذا) منه بغير حق
و جب عليها .

غربي السور، وهو المكان المعروف بالمطرق، أوله قلعة الباب الأخضر
وآخره القلعة المجاورة لدار السلطان وباب الخوخة، وصله بالخندق
المحيط بالإسكندرية من جهة البر، فصار ذلك خندقا ومطرقا ومكنا
لدخول نجدة المسلمين منه في خفاء، لإقامة حائطه الذي يلي البحر^١ إلى
٥ أن يخرجوا منه على حين غفلة إلى الجزيرة وقت حرب الفرنج إن
أتوا لذلك.

ثم إنه عمر أيضا المطرق الشرقي المحاذي لدار الإمارة. ثم غرق
الحجارة بالمينة الغربية حفظا لمراكب المسلمين، وزم فوهة التفريق بسلسلة
ضخمة. وعمل أيضا^٢ مشطا حديدا^٣ لباب الصناعة الغربية من جهة
١٠ المطرق المذكور. تخرج منه الرماة إلى المينة وتدخل منه وقت الحرب،
وأبواب الإسكندرية حيثئذ مغلقة. فان دهم العدو المسلمين دخل^٤
المسلمون منه بحماية رماة السور التي بأعلاه^٥ ليأمنوا إلى أن يدخلوا بأجمعهم.
فاذا حصلوا داخله أرخى عقيب دخولهم المشط الحديد الذي لا يرفعه
غير المسلمين؛ [١٨٧: الف] من أعلى السور بالسراياقات الدائرة المحيطة^٦
١٥ على لوالب الأتراس لثقله وجفوه. وكانت عمارته للمطرق الغربي
(١) ساقطة من بن.

(٢-٣) كذا في بن وهي في بر: مشط حديد.

(٣) في الأصلين: دخلت.

(٤-٤) في بن: يرفع.

(٥) كذا في بن، وهي في بر: أعلا.

و باب المشط الحديد في ستة وتسع وستين و سبعمائة . و سيأتي فيما يرد
من هذا الكتاب ذكر تغريق الحجار بمينة ' بحر السلسلة ، و تاريخ حفره
للخندق الجديد البارز عن الخندق العتيق و صفة ٢ حفره إن شاء الله تعالى .
فالأمير صلاح الدين بن عرام المذكور هو الذي غرق الحجار
٣ لحفظ مراكب المسلمين ٣ و حفر الخندق الجديد و المطرقين و ما خرب ٤ هـ
من الإسكندرية ، و هو الذي أقام أبواب البحر الأول و الثاني عوضا
عن البابين اللذين ٥ أحرقتهما ٦ الفرنج . و كذلك أقام بابي رشيد اللذين ٧
أحرقتهما أهل الاسكندرية حين الوقعة لتجد النجدة الآتية من مصر مكانا
مفتوحا تدخل منه إلى قتال الفرنج بها . و كذلك أحرق ٨ المسلمون
باب الزهرة لدخل النجدة منه أيضا . ثم إن الأمير صلاح الدين أقام ١٠
أيضا أبواب دار الصناعة الشرقية و أبواب الديوان و سد الباب الأخضر
و باب الخوخة و باب الزهري و باب الآفنية ، فحصل بعمله المستبين ، النفع

(١) في بن : ومينة - مكررة .

(٢) في بن : وكيفية .

(٣-٢) واردة في بن [١٣٥ : ب] و ساقطة من بر .

(٤) في بن : أخربه الفرنج .

(٥) في بن : اللتان .

(٦) في بن : حرقتهما .

(٧) في بن : اللتان ، و في بر : التي .

(٨) في الأصلين : أحرقته .

للسلین ' وفيه يقول الشاعر^١ :

فالله يحفظه و يحفظ سعيه و يمدّه و يمدّه بالخير والبركات
و يديم نعمته على طول المدى^٢ و يحفه بالنصر في الحركات
و يقرّه في مستقرّ خالده بحظيرة^٣ الفردوس في الجنات

هـ ثم إن الأمير الأتابكي يلبغا الخاسكي^٤ طلب الأمير صلاح الدين
ولّاه بالقاهرة شاد الدواوين، وولى الأمير سيف الدين الأكرز^٥ الاسكندرية،
أقام بها سنة واحدة و عزله منها، و أعاد إليها^٦ الأمير صلاح الدين^٧
في التاريخ المتقدم ذكره . و في أيام ولاية الأكرز ركب على الباب
الاخضر أبوابه الثلاثة^٨ بعد أن كان مسدودا بالحجر والجير^٩ و ذلك في
١٠ يوم الواقعة سنة سبع و ستين و سبعمائة .

[المراثي الأخرى للاسكندرية]

قال المؤلف: ^١ غفر الله له ولوالديه و للاقرين إليه و للسلين اجمعين^٢ :

(١-١) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٢) في بن : الدا .

(٣) في بن : بحظيرة .

(٤) في بن : الخاسكي .

(٥) في بن : الأكرز .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : ابن عرام .

(٨-٨) في بن : رحمه الله تعالى .

و إذ قد ذكرت ما تيسر ذكره على مرثية ابن أبي حجلة ، فساذكر
الآن المراتى التى رثيت بها الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فنها قول
الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد بن حسن الشاطبى ٢ أسعده الله تعالى ١ :

همت يا لقوى بالدموع عيون لمعظم شجوى وانبعاث شجوى
و أمسيت صبا شاكيا من صباتى وصار منأى ٣ اقتراب منونى ٥
أصعد أنفاسى و أبدى ٤ تأوهمى لخطب جليل هاج منه أنينى
[١٨٧:ب] إذ اجن ليلى أفلقتى خواطرى كأنى مصاب فى الدجى بمجنون
هجرت منامى مذكى ٥ جسمى الامسى وقد ظل تسهيدى حليف جفونى
و من عظم ما بى لورأتى معارفى لتغير أحوالى لما عرفونى
وقد لامنى قوم لكثرا ٦ توهمى بيت خطوب طال ما دهمونى ١٠
فلو نال عدالى قليلا من الذى منيت به فى الدهر ما عدلونى
ألا يا أخلاقى اندبوا ويحكم معى وجودوا بدمع لا يكف ٧ هتونى

(١) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٢-٢) فى بن : رحمه الله .

(٣) فى بن : شانى .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و ابدو .

(٥) فى بن : كا .

(٦) فى بن : لعظم .

(٧) فى بن : لا ينفك .

على حادث في الثغر أشعل في الحشا ١
 لاثني وعشرين مضت من محرم لربع وستين وسبع مئتين
 أتاه عدو مارد في عوالم معد بليقاء بحرب زبون
 كسى البحر جلبابا تلون صبغة و يرق في تلونه بفنون
 ٥ قراقر في آثارهن مراكب وكم من غراب كالطيور وشين ٢
 عصابة كفر أرعت أكووس الردى مذاقتها تنحلن كل سمين
 أمدت خطاها بالاذى في خلاله فيا عجباً من ظافر ٢ بمصون
 معالم توحيد أباح جنابهم عديموا حجاً بين الأنام ودين
 لقد ظفر القوم اللثام بمعشر كرام ولكن قد سرت بظنون
 ١٠ خطأ نقضت آثرت بارتكابها قذى قد نما في أشهر وسنين
 إباحة قبح وارتكاب جرائر وتضيع أحكام وخون أمين
 وبعد فأمر الله ما منه مهرب ولا معقل من حكمه بحصين
 أرى ذاك تمحيصاً لنا من ذنوبنا وما أنا فيما قتلته بضنين ٣
 لقد شاهدت عيني العجائب ما رأت كظفر شمال و انهزام يمين

(١) في بن: الحشى .

(٢) في الأصل: وشين - وصححت من بن .

(٣) في بن: ظافر .

(٤-٤) كذا في بن ، وهي في بر : خطايا نقضت - وفي العبارة غموض على كل حال .

(٥) في بن: بظنون .

و مد عدو كافر باغ بغيه
و قتل رجال و انتهاب ذخائر
لقد قطعت منى المفاصل مذرأت
و حرمت الأجفان نوى و حق لى
حنائك خلى كن بحقك مسعدى
فقد حل بالثغر الممتع معضل
و كم حكمت^٢ فيه المخازى برأيهم
١ تلهب صدرى من شواظ حريقهم
عجبت لمن ألقى السلاح جبانة
إذا دارك المولى بلطف عيده
و إن خذلوا فالرأى^٣ منهم مشت
ينادى لسان الحال بالحال انظروا
تحكم أعداء الهدى فى بالردى
حماى تعرّى من حجاب لفاتك
لخرق سياج و ارتكاب متون
و هتك حریم فى الخدور مصون
لكل قتل ظل غير دفين
على حرّم فارقت كل خدين
و واصل حينا منك لى^٤ بخين ه
فضيع أتاح العقل أى فتون
لفقدان ذى رأى هناك متين^٥
و من نهب مال ظاهر و خزين
[١٨٨: الف]
و ولى بوجه كالح و سمين
أمدوا^٦ بعقل فى الخطوب رصين ١٠
و لو أنهم فى الحرب أسد عرين
كلاب النصارى و يحكم أكلونى
فلو أن حولى عصبة نصرونى
ظلم ينادى أن أن قرينى

(١) ساقطة من بين [١٣٦ : الف] .

(٢) في الأصل : حلت .

(۴) البيت برمتہ ساقط من بن .

(٤-٤) في الأصل: ألقاء. - وصحته في بن [١٣٦: الف].

(۵) ف بن : امروا .

(۶) ف بن : فالری .

ومن أعظم الأوصاف^١ أن مسلماً غداً يحوز ويحوى لا يدين بدين
تجراً بعد الروم بالنهب عادياً ولم يخش ما يلقاه بعد منون
ولم يرتقب سوء الحساب وهوله وضبط حفيظ كاتب وظنين
إلى الله أشكو جور عادٍ ومعتدٍ ظلوم أئيم مفسد وخؤون^٢
هـ ألا بآبي يائغر قلبي مقلّب على جرات قد أهجن سكوني
ألا بآبي يائغر هل لا تبساً كما قد عهدنا وانبساط فنون
ألا بآبي يائغر أين أحبتي أبعد وصال ما لهم هجروني
نثرت لآلى الدمع حين تناثرت لآليك واستحكمت عقد غبوني
دعوت اصطباري والكرى وتعقلى فلا وأبي يا صاح ما قربوني
١٠ وكيف وقدان الأجابة مُذهلى وشأنهم يضني^٣ جميع شؤوني^٤
يقول فقيد الأهل بالحال معلّم ألم تر حزب الشرك قد ملكوني
فها أنا بعد العزّ في ذلّ أسرم وبعد سراحى في مضيق^٥ يحجوني
وبعد انشراحى في هتّا لذة المني أقامى قسى القلب غير حين

- (١) في بر: الأوصاف، والكلمة أصح في بن كما في النص .
(٢) في الأصلين: مسلم - ويقتضى الوزن نقل « غدا » إلى الشطر الأول .
(٣) في الأصلين: خون، وزيد هنا في بن :
ألا بآبي يائغر اسكنت باطنى خيالاً به شدى اضمحل (كذا)
وقد آثرنا ترك البيت في الهامش لما به من خيل في اللفظ والمعنى والوزن .
(٤) كذا في بن وهى في بر: يصمى .
(٥) في الأصول: شؤون .
(٦) في بن: ضيق .

أيت الليالى لا قنور لدمعى وأصبح فى ذل 'يذوب و هون'
 وكل أسير كالذى قلت قائل فبالله من حسن الدعاء هبوني
 عضضت بنانى عند ذا من تأسنى وأسقطت حُزنًا فى التراب جيني
 وواصل نوحى للشهاد^٢ فلا أرى مصاحبة بين الكرى و عيوني
 ذروني أبكى كل مسمع^٣ له حجا وأثير الحزن فيه ذروني ه
 فإليت شعرى هل لثأرى طالب يحلى صدا قلبي بفك رهوني
 / أيا معشر الإسلام بالله فاضرعوا^٤ باخلاص قصد واصطحاب يقين [ب: ١٨٨]
 بتمكين أرباب النهى من عدونا * بنصر وفتح للأنام^٥ مبن
 بحرمة من بالرب أيد وانكفا بكف تراب منه أى مكين

و للشاطي أيضا مريئة فى الإسكندرية^٦ وهى :

أى جفن له المنام يكادى عند صدم العدو بالأجفان
 عن حرب من اللثام إلى الثغر ظنناه خائب الرأى عانى
 فى خميس^٧ وأقالنا بخميس وإلى الجمعة التقى الجمعان
 وغراب الفراق ينب^٨ فينا فرقا من تفرق الغربان^٩

(١ - ١) فى بر : بذوب وهين ، والأصح كما فى بن بالنص .

(٢) فى بن : الشهاد .

(٣) فى بن : ذى مسمع .

(٤) فى بن : فاسرعوا .

(٥ - ٥) فى بن : بفتح قريب للإمام .

(٦) زيد فى بن : أول كل بيت منها كآخره .

(٧ - ٧) فى بن : وخميس .

(٨) فى بن : ينبق .

(٩) فى بن : الغربان .

هَوْنُ الْمُسْلِمُونَ أَمْرٌ لِقَامٍ فَأَذِيقُوا مِنْهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ
 سَنَ لِلشَّجَرِ ذَا الْحَيْثِ سَنَانَا قَعْدَىٰ بِهَا عَلَى الْأَسْنَانِ
 مُكِّنَ النَّذْلَ فِي الْحَرَمِ وَفِي الْإِمَامِ هَالٍ وَأَلْقَى الْأَذَى بِكُلِّ مَكَانٍ
 قَمَرُ الشَّجَرِ وَيَلَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا بَدَأَ الْقَمَرَانِ
 ٥ أَعْرَبَ الْقَوْلَ بَعْدَ ذَا فِي فَرِيقَيْنِ رَعَاعِ الْعَوَامِ وَالْعُرَبَانِ
 طُعِنُوا فِي كِبُودِهِمْ بِالطَّوَا عَيْنَ لِأَجْلِ الْفِرَارِ يَوْمَ الطَّعَانِ
 'وَدَنُوا لِاتِّهَابٍ' كُلِّ مَكَانٍ فِي النَّوَاحِي وَكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي
 مَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُمْ كُلِّ دَانٍ ٢ مَسْتَمِرَّ الدَّوَامِ بِالْإِمْكَانِ
 وَعَلَامٍ مِنَ الضَّنَا وَالرَّزَايَا فِي حَمَاهِمِ فَوْقَ الَّذِي قَدْ عَلَانِي
 ١٠ ذَكَرَ الْمَرْتِيَةَ الَّتِي رَفَأَ بِهَا الْإِسْكَندَرِيَّةُ 'عَقِيبَ الْوَقْعَةِ' الشَّيْخُ الْفَاضِلُ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْأَخْيَمِيِّ ، ٤ وَمَا أَضْيَفَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْبَارِ
 مِصْرَ ، وَذَكَرَ بَعْضُ مَلُوكِهَا وَنِيلَهَا وَخَيْرَهَا وَبَرَكَتَهَا وَخَصَائِصَهَا وَعَجَائِبَهَا
 وَغَيْرَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ ٥ :

(١) فِي بَنٍ : قَعْدَى .

(٢ - ٢) فِي بَنٍ : وَدَمُوا الْإِتِّهَابَ .

(٣) فِي بَنٍ : دَانٍ .

(٤ - ٤) فِي بَنٍ : وَمِنْ الْمَرَاتِي الَّتِي رَفِئَتْ .

(٥ - ٥) فِي بَنٍ : مَرْتِيَّةٌ .

(٦) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ بَنٍ .

(٧) فِي بَنٍ : ابْنِي .

(٨ - ٨) الْجُمْلَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ بَنٍ .

حدث حل أرى الناس العبر فيما قد هال منه يُعْتَبَرُ
 ياله من حدث مامثله طرق الإسلام من عهد عمر
 وبلاء قد دها الناس فلم نر منه قط أدهى وأمر
 جرع الإسلام سما ناقعا وعليهم سيف بغى قد شهر
 فلکم أطرش سماء واعيا ذكره ولكم أعمى بصره
 مادت الأرض له واضطربت ولقد حل بها كل العبر
 ليس يرجا للهناء من أوبة لا ولا صفو زمان من كدر [الف: ١٨٩]
 وبنو الأصفر في ثغر الهدى جعلت أسياهم فيه ثغر
 ليس يعي منهم في أخذه أحد بل كان في لمح البصر
 وأبادوا بالقنأ حناته وإليه كل عالج قد عبر ١٠
 واستباحوا ذمة الله ولم يرع الله ذماما من كفر
 لو ترى ٣ العالم لما نظروا جيش أنصار الهدى قد انكسر
 وهم جُفلا من الرعب كما تحفل الأنعام من ليث زار
 ومن الأسوار يلقوا أنفسا ليس تخشى من وقوع في خطر
 خيفة الأعداء لما منهم كل قلب خاف منه وانذر ١٥
 كم أراقوا من دم فيه وما رق قلب منهم ولا انزجر

(١) في بن: واعي .

(٢) في الأصلين: بالضبا (أو) بالصبا [بن ١٣٦: ب] وواضح أنه خطأ قلبى لا يستقيم به المعنى .

(٣) في بن: تر .

(٤-٤) في بن: فيه من دم .

ولكم شيخ تقاني^١ عمره فبحوه بالمُدا^٢ فبح البحر
وصغير بضعموه ثم ما رحوا من كفرهم منه الصفر^٣
ولكم طفل نجيب قارئ حبه من عمره درس السور
أخذوه ثم لا برحمة أحد منهم إليه قد نظر
ه وإذا لم ينظر الله له أخرجوه عن هدى^٤ خير البشر
ولكم ستر غدا مُنْهتكا وبدا للناس منه ما ستر
ومبان زخرفت أرجاؤها فوهى ما طال منها واندثر
وغدت بالنار قاعا صفصفا ما يرى من رسمها إلا الأثر
ولكم منها بدور أخذت هين في مثلها بذل البدر
١٠ ومن الأموال ما لو قصدوا حصر نزر منه يوما ما^٥ انحصر
ولقد أضى بها من كان في أعظم العز ذليلا محتقر
قد خلت أوطانه من أنعم وهو من بعد الفنى قد افقر
ليت يوم دخلوه عنوة صبحه الواضح ما كان انفجر
أسفرت غرته عن فتنة ذهل البادون منها والحضر
١٥ أورتهم بحر حرب زاخر وقليل منهم عنه صدر

(١) في بن: تقانا .

(٢) في بن: بالمدى .

(٣) في بن: صفر .

(٤) في بن: يدى .

(٥) في بن: لها (أو) لا .

غرقوا من هوله في لجج طاميات من دم قد انهدر
والعدا في حربهم قد فتحوا باب غدر وسيلقى من غدر
واستهاب المسلمون حربهم وبدا منهم ملال وضجر [١٨٩: به]
وعلى الأعقاب ولّوا هربا والعدا 'من خلفهم' تقفوا الأثر
قبجها عن 'اللقا تولية' فهي عند الله من إحدى الكبر ٥
لو ٣ بهم كان ٢ شجاعا بأسلا بقتال ذلك اليوم اشتهر
لمحى^٤ عن حوزة الدين الردا بالرؤينيات والعضب الذكر
وحى ثغر الهدى لكنه في الدجا يعرف مقدار القمر
وبه كانت تغاث فرقة من عراب البر قد جاؤا زمر
ينصروا الإسلام لكن في الوغا لم يكن نجاحهم إلا المفتر ١٠
وم كانوا عليه ضررا لالكن^٥ جفرا أصل الضرر
غرّ بالعالم إذ أخرجهم للقا الأعداء عبياد الصور
خارج الأبواب إذ فتحتها وهو منه كان خطأ وغرر
لو على الأسوار أضحى راكبا ثم بالحنندق قد أجرى نهر
كان للفر وقاء والعدا لم تل منه مدى الدهر وطر ١٥

(١-١) في بن: منهم .

(٢) في بن: عند .

(٣-٣) في بن: كان بهم .

(٤) في بن: لها .

(٥) عن بن ، وفي بر: ولكن .

بل أضاع المسلمون رأيه حين لا أسعده حكم القدر
لو أراد الله أن ينصره كان بالرعب له قد انتصر
لكن الله الذي أخذه وعليه للأعداء قد نصر
لم يكن في ذلك اليوم الذي شره كان على الناس استطر
ه نفع الإسلام سور مانع أحكمت من حكم بانيه المرار
لا ولا دافع عنهم مدفع للعدا من ناره يرى شر
لا ولا أسلحة معتدة للقا الأعداء كانت تدخر
لا ولا نيران فقط لا ولا منجنيق قد رمى ثانی حجر
لا ولا جيش يقول من رأى في العدا حملاته لله در
١٠ لا ولا عبد تقى قد دعا بانتصار الدين في وقت السحر
فلکم سيف نبا من بعد ما كان في الصخر لحديه أثر
ولکم رمح طويل هزه رامح يغى الطعان فانكر
ولکم قوس رمى نحو العدا فأتى في رميهم عنهم قصر
ولکم من قامه مفلوكة فلقنها اليض تغليق الشجر
[١٩٠: الف] / ولکم رأس على وجه الثرى من على الابدان تجرى كالأكبر
ولکم من سابق فارسه إذ كبا من فوقه للأرض خر
كل هذا فعل رب قادر كل أمر منه يجري بقدر
يا لها من كسرة يحبرها من إذا ما شاء للكسر جبر

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : جرى .

بالمقر الأشرف العالى الذى جوده كالشمس فى الأرض انشر
 يلغا ليث الوغا من سيفه للطفاة المارقين لم يذر
 فارس الإسلام ليث جاسر ويهاب الليث يوما إن زار
 فهو للدين خير يقطز والذى يخفر يحمى ما خفر
 مُذَرِّقا ما قد جرى مسمعه حين وافاه من الثغر الخبر ه
 سار بالجيش مجداً قاصدا ساعه^١ الوقت إليه ما فتر
 ملاء البر جيوشا شوسها من أولى العزم صناديد غرر
 وخيول صافنات ضَمَّر للقا الأعداء لها كَرَّ وفر
 قادها الليث المصُور^٢ يلغا من على الدين بمرأه خفر
 يأخذ الثار من الأعداء فلم يلق للأعداء فى الثغر أثر ١٠
 بل هُمُ لما رأوا جيوشه أقبلت^٣ لحربهم مثل المطر
 أيقنوا^٤ أن لا^٥ نجاة لهم من عظيم حربه إلا السفرة^٦
 واستهابوا الثغر من سطوته ثم عنهم بعدوا^٧ مدا النظر^٨
 لو على البر إليه نزلوا ما نجا من سيفه^٩ منهم نفر^{١٠}

(١) فى الأصل: أزر، وهو خطأ قلبى واضح، وصحته فى بن [١٣٧: الف] .

(٢) فى بن: بساعة .

(٣) فى بن: الحضور .

(٤) فى بن: قد أقبلت .

(هـ-٥) فى بن: ألا .

(٦) مطموسة فى بر، ووردت فى بن .

(٧-٧) مطموسة فى بر، وواردة فى بن .

وغدوا بالأسر في قبضته ونهى فيهم بما شاء وأمر^١
 واشتفت منهم قلوب حرّها لو على الصخر^٢ الأصم لا تقطر^٣
 فهو سيف للعدا^٤ مجرّب حده دون السيوف محتر^٥
 ولقد أضر في نصر الهدى وسيقضى عن قريب ما ضم^٦
 ه قاله العرش قد عوده منه بالنصر العزيز والظفر^٧
 أيها المولى الأمير والذي من نداه^٨ وأبل السحب انهر
 إن دين الله أنت سيفه وعلى نصرتك الدين اقصر^٩
 وإذا ما لم تقم في نصره طمع الإفراج فيه والستر^{١٠}
 لا تم عن نصره واجفو الكرى واسهر العين فذا وقت السهر^{١١}
 [١٩٠: ب] / وأمر السفن كثيرا مثل ما ذلك^{١٢} الكلب اللعين قد عتر^{١٣}
 وبها للحرب جمل^{١٤} عدد^{١٥} كي بها اللابس^{١٦} في الحرب يُسر^{١٧}
 لا تكن في حملها مختصرا فعدوّ الله فيها ما اختصر

(١) مطموسة في بر، وواردة في بن .

(٢-٣) مطموسة في بر وواردة في بن .

(٣) في بر: على العدا . ومحتها في بن كما أوردناه في النص .

(٤) في بن [٣٧: الف]: ذاك .

(٥) كذا في الأصول وقد تكون «حمل» بقوط ققط الجيم، وواضح أن باليت غموضا ووزنه مكسور .

(٦) في بن: عددا .

(٧) في بن: اللبس - والمعنى غامض .

ولتكن أبطالها مشهورة مثل سيف في الوغى^١ قد انشهر
 من كاة الترك كل باسل ثابت عند اللقا فل ذكر
 وتوجه بهم لقبرس و اركز الصنق فيها فوق بر
 وضع السيف ولا تترك سوى من لتوحيد الإله قد ذكر
 واكر الصلبان واحرق قبرسا ثم لا تترك^٢ بناء من حجر^٣ ٥
 وخذ السلطان مأسورا كما لحريم المسلمين قد أسر
 واقترح ماشئت في تعذيبه^٤ فهو كلب للأنام قد عقر
 ولأسرى المسلمين ردّهم لحماهم أيها المولى الأقر^٥
 لتكون الآخذ الثار الذى لك فى الدنيا له عظم الفخر
 ثم لم يبق بأرض ملك بعدها إلا لعلياك^٦ أقر^{١٠}
 ويعود الثغر فى الدنيا حمى بك يخشاه العدو إن حضر
 لكن^٦ الآن غدت^٦ أحواله حزنا يكي عليها من نظر
 أسف الدنيا على الثغر الذى كان للعلم الشريف مستقر
 كان ركننا للهدى مشيدا^٧ ولأرباب النهى فيه مقر

(١) فى بن : الوغا .

(٢-٣) فى الأصلين : مبنا حجر . - ولا يستقيم بها الوزن .

(٣) فى بن : تعيينه .

(٤) كذا فى الأصلين ، وربما كانت الكلمة : الأغر .

(٥) فى بن : اعيالك .

(٦-٧) فى بن : الاعداء الاعداء . . . وهو خلط واضح .

(٧) فى بن : سيدا .

كان ثغرا بالهنا^١ مبتسما وله دون الثغور يفتقر
 كان للملك به جلالة وله ثغره إذا افتخر
 منه جيد الملك أضحى عاطلا مثل قويس عطلت منه الوتر
 نكب الإسلام فيه نكبة أرخت أخبارها الناس سير
 ٥ إن يكن حكم القضا أباده وعليه حادث الدهر جسر
 فله العقبي بنصر عاجل من إله العالمين ينتظر
 وإذا ما أنفذ الله القضا لم يكن^٢ لمخلوق فيه^٣ مفر
 وقد عارض هذه المروية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد النستراوى بمروية
 على قافيتها . وسأذكرها فيما يرد من هذا الكتاب^٣ إن شاء الله تعالى .
 ١٠ حدثني محمد بن طاهر الإنجيمي قال : لما كمل نظم هذه المروية^٤
 كتبها بخط [١٩١ : الف] حسن ، ومضيت بها إلى الأمير الأتابكي
 يلغا الخاسكي ، فاستأذنته^٥ في قراءتها ليسمعها^٦ ، فأذن لي في ذلك .

(١) في بن : بالهني .

(٢-٢) في بن : فيه لمخلوق .

(٣-٣) وردت الجملة في بن بعد « وسأذكرها » . ثم زيد في بن
 [١٣٧ : الف - ب] : وأولها :

خطر فاجأ الوري لما خطر أورت الناس الرزايا والخطر

قال المؤلف رحمه الله تعالى حدثني أبو عبد الله محمد بن طاهر الإنجيمي - الخ .

(٤) زيد في بن [١٣٧ : ب] : أتى أولها حادث حل أرى العبر .

(٥) في بن : استأذنته .

(٦) في بن : لمجلس حضرته .

فقرأتها بمجلسه ١ ، فاهتز لها وبكى ٢ هو ومن كان حاضرا بمجلسه ، فلما فرغت من قراءتها أخذها ، فكانت سببا لقوة عزمه واجتهاده في عمارة ١ المراكب الحربية ٣ وعمل الأسلحة المنكية - انتهى كلامه .

[عمارة الاسطول المصرى لغزو الفرنج]

ثم إن الأمير ١ يلغا جدّ في عمارة المراكب الحربية بمصر والشام ، ه
 فجhez منها مائة وخمسين مركبا ، منها طرائد للخيّل ، وشوانى للغزو .
 فلما كملت ٤ المراكب المصرية ٥ ، وكانت مائة مركب ، أشحنها بالرجال
 والأبطال ، والأسلحة الثقال ، وأمر الغزّ أن تلبس الزرد النضيد ،
 ومصفحات الحديد ٦ بالبر فلبستها ، وتساحت بأسلحتها ، وركبت خيولها
 والغز جمع غاز ٦ ثم جذفت المراكب في النيل ، وتبعثها الغزّ بشاطئه ٦ ، ١٠
 فصار الجيشان ٧ البحرى والبرى ، كما قال ابن الفارض ٨ في قصيدته التالية ٨ :

(١) ساقطه من بن .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) زيد في بر : بمصر والشام فجhez منها . - ثم شطبت الجملة لورودها فيما بعد بالنص .

(٤) زيد في بن : عمارة .

(٥) في بن : التى بنيل مصر .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بر : الجيشين . - وفي بن : الجيش البرى والبحرى .

(٨-٨) ساقطه من بر و واردة في بن .

و تنظر الجيشين^١ في البر مرة وفي البحر تجرى الفلك في كل لجة
لباسهم نسج الحديد لبأسهم^٢ وهم في حِمى حدّى ظبا وأسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس على فرس أو راجل رب رجلة
فن ضارب بالبيض فتكاً وطاعن بسمر القنا العسالة السّمهرية
ه ثم إن الأمير يلبغا أمر باحضار رسل صاحب الكيتلان، لينظروا
الجيشين^٣ الذين^٤ هم كالنور والعقبان، والاسد والغيلان. وكانوا
إذ ذاه قد^٥ قدموا بسبب الصلح، وزعموا أنهم لم يكونوا اظهروا القبرسى
على المسلمين، ولا حضر أحد منهم وقعة الإسكندرية. فلما حضروا
نظروا^٦ لتلك المراكب الحرية، وإلى ما فيها من الهمم العلية، ورأوا
١٠ تلك الجنود، التي هي كاللدود، قد تهيأت للقتال، والحرب والنزال،
وقد جذفت^٧ تلك الطرائد والغربان، الشبيهة^٨ لالوان طيور^٩ الغربان
يبحر النيل حادرة وصاعدة، تودّ لو أنها حينئذ لجزيرة قبرس قاصدة،

(١) في بن: للجيش.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) في الأصلين: الجيشان.

(٤) في بن: اللذان.

(٥) في بن: ذاك.

(٦) في بن: ونظروا.

(٧-٧) في بن: وجذفت.

(٨-٨) في بن: لونا بطيور.

بعد أن سترت جوانبها بالطوارق المدهونه . و يياطنها الأسلحة
المسنونة ، و قد صارت برجال الحرب مشحونة . و الأعلام بالرياح
تحقق ، و الأبواق تزئق ، و الطبول تضرب ، و النفط بناره ملتهب ،
و قد زمرت الزمور ، و تهبأت الأمور ، لقتال كل عالج كفور^١ . و قد
اجتمع لرؤية تلك المراكب ٣ من الخلائق الألوف^٢ ، صاروا على شاطئ ه
النيل صفوف صفوف^٣ ، ينظرون لتلك المراكب التي صارت من
أعجب العجائب ، و القياد^٤ بمجاذيفها تجذف ، تارة تستقيم في جريانها
و تارة [١٩١ : ب] تنحرف . و قد صارت تلك المراكب من خفة
دورانها ، كاللواب ، و هي تنجلي كالعرائس بزيتها التي حكمت انتشار
أجنحة الطواويس ، و قد صارت كما قال بعضهم^٥ :

١٠
لله يوما بشاطئ النيل مبتججا تبدو الشواني فيه كالكراديس
تراهم طالعين النيل في قرن و نازلين به مثل القواديس
كانتهم سيوف النصر تقدمهم و قد تحلوا بأنواع الملايس
غربان بين على الأعداء تفرقهم لكنهم بيننا مثل الطواويس
و كما قال بعضهم أيضا :

١٥
إذا زينوا ظهر الغراب بعدة غدا بازيا يُصمى الطريدة أشها

(١) زيد بن : الشجبان .

(٢-٢) في بن : و انزامير زمر و الأبطال بأصواتها و الطبول تضرب ، و النفط
بشراره ملتهب .

(٣-٣) في بن : ألوف ألوف .

(٤-٤) في بن : صفوف . غير مكررة ، و صحتها صفوفا تركناها كما هي للسجع .

(٥) في بن : و القواد .

(١) في بن : الشاعر الماهر .

وقد كان في جوف الصناعة حيّة فعاد بظهر البحر بالجذف عقرباً
فعند ذلك انخلعت قلوب^١ الكيكلان من رؤية^٢ المراكب الحربية،
التي عمرت بسبب أخذ ثأر^٣ الإسكندرية، وسرعة عمارتها في عام
واحد، فتحققوا أن يلجأ لإخرا ب قبرس^٤ قاصد، وقالوا: ما في الممالك
ه مثل مملكة هذا الوادي، الذي حلاوة مائة يروى ظمأ الصادي، ويزول
برؤيته عن العين الرمد، وهو يجري بالذهب والعسجد^٥.

حدود مصر

وقد ذكر من له معرفة بالمساحة أن^٦ وادي مصر حده من
العريش إلى أرض برقة^٦. قال الشاعر:

١٠ سقى واديا بين العريش و برقة من الغيث هطال الشآيب هتأن
وحى النسيم الرطب منى إذا سرى هُناك أوطانا إذا قيل أوطان
بلاد إذا ما جئها جئت جنة لعينك فيها كل ما درت رضوان
تخيل لى الأشواق أن تراها وحصاءها^٧ مسك يقوح وعقيان

(١) زيد في بن [١٣٨ : الف] : رسل صاحب .

(٢) زيد في بن : تلك .

(٣) ساقطة من برو واددة في بن .

(٤) زيد في بن : سائر الجزيرة .

(٥-هـ) في بن : ويجرى ديماء (كذا) يتبر العسجد .

(٦) زيد في بن : ولذلك .

(٧) في الأصلين : وحصاؤها .

العقيان الذهب او كذلك العسجد^١. ولبعضهم في وادى مصر:
 واد به أهل الحبيب نزول حيا معاها الحيا والنيل^٢
 واد يفوح المسك من جنباته ويصح^٣ منه للنسيم^٤ عليل
 في مصر النيل

ولبعضهم في مصر و النيل تورية ، و التورية إظهار شيء يكون ه
 المراد به^٥ غيره يخفيه:

كانت لمصر^٦ ميرة بالنيل مذ ولى خلت
 كأنه بعل لها وبعده تزلزلت
 أى بنزول النيل انقطعت الميرة التى تأتى بها^٧ المراكب الكبار المعروفة
 بالدرامين - وأحدا درموتة -^٨ يحملونها سائر الجوب^٩ من صعيد ١٠
 مصر^{١٠} تنحدر بها إليها^{١١}. معناه كأن النيل زوج لمصر ينفق عليها من

(١-١) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة بالترميم في بن .

(٣-٣) في بن: فيه و النسيم .

(٤) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٥) في بن: بمصر .

(٦) في بن: لها .

(٧-٧) كذا في بن، والجملة في بر: يحملها لها .

(٨-٨) كذا في بن والجملة في بر: ويجريها إليها . وكلمة « تنحدر » في بن

« تنحدر » .

حمل مراكبته الميرة إليها في أبان^١ زيادته كما ينفق [١٩٢ : ألف]
 الزوج من كسبه ويحمّله إلى زوجته. فإذا طلقها صارت أرملة^٢ لعدم النفقة.
 وعند نقص النيل عن مصر ترملت^٣ أي صارت رملا ناشفا لانقطاع
 عنها نفقة النيل عليها^٤، كأن زوجها الذي كانت تمتاز منه^٥ مات عنها،
 فصارت كالأرملة من النساء^٦ التي مات عنها زوجها أو طلقها، فانقطعت
 النفقة^٧ و الترمّل ينطلق على الذكر و الأنثى .

قال جرير من قصيدة مدح بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^٧ :
 هذى^٨ الأرامل قد قضيت حاجتها^٩

فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر

١٠ فالأرملة الذي لا زوجة له ، و الأرملة التي لا بعل لها . و قال
 ابن السكيت : الأرامل المساكين من رجال و نساء - انتهى .

(١) في بن : أوان .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : مصر .

(٤-٤) في بن : النيل عنها بنقصانه في زمن احتراقه .

(٥) زيد في بن : ينقل المراكب إليها ما يأتيها به فكأنه .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٨) في بن : حاذى .

(٩) في بن : حاجاتها .

(١٠) في بن : زوج .

نعود^٢؛ فلنذكر الآن ما قيل في روضة مصر^٢، أما جزيرة مصر التي
تسمى الروضة^٢ جهتها القبيلة تواجه مصر و جهتها البحرية تواجه بلد
وسيم . قال علي بن عبد الله القصرى فيها :

ذات وجهين فيهما قسم الحسنُ فأصبحت بها القلوب تهيمُ
ذا بلى مصر فهو مصر وهذا يتولى وسيم فهو وسيم ٥
قد أعارت عصر الصابي صباها : أبادت فيها الغيوم الغيوم^٣
ولبعضهم^٤ في جزيرة* الروضة المذكورة :

روضةُ حُسن لا يرى مثل حُسنها^٥ مساكنها مثل النجوم تلالا
أناها عاب النيل من بعد غايته كزائر مشغوف يريد وصالا
فأنقها من فرط شوق لُحُنها ومد يمينا نحوها وشمالا ١٠
^٦ فلنذكر ما قيل في أرض مصر^٦ عن كعب الأحبار أنه قال : من أراد
أن ينظر إلى شبه الجنة فليَظر إلى^٧ مصر إذا أخرفت وإذا أزهرت وإذا
(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) العبارة هنا ساقطة من بر، وواردة في بن، وقد جاءت بعد « وسيم » في بر.

(٣) في بر : لغوم . وصحتها ظاهرة في بن ولو أن الكلمة مطموسة جزئيا بها.

(٤) في بن : وقال بعضهم.

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : قط مثلها.

(٧-٧) العبارة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٨) زيد في بن : أرض.

انطردت أنهارها ، و تدلت ثمارها ، وفاض خيرها ، و غنى طيرها ، بفنون
الآلحان ، على الأغصان ، حين هبت نسائم الأشجار ، على رياض
الأزهار : تسبح بحمد ربها الملك القهار . و لله در القائل حيث يقول
في حمامة تغرد ٢ :

٥ ربّ ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت ألفا ودهرا صالحا فبكت ٣ حزنا فزادت حزنى
فبكائى ربما أرقها وبكاهها ربما أرقنى
فاذا تسعدنى أسعدما وإذا أسعدما تسعدنى
وإذا تشكو ٤ فإضمها وإذا أشكو ٥ فما تفهمنى
١٠ غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى
[١٩٢:ب] يا نديمى صف معانى حسنهم فمعانى حسنهم يطربنى
وإذا ما لاح من حيمهم بارق فى سحر فاذا كرنى
ذلك الوادى و أيام مئى ما أحبلا ذكرها فى أذننى

عن عبد الله بن عمر قال قال : ٥ من أراد أن ينظر إلى الفردوس

١٥ فليُنظر إلى مصر حين يخضر زرعها ، و يزهر ربيعها ، و تكتسى بالنوار ٦

(١) زيد بن عيدان .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٣) فى بن [١٣٨ : ب] : فبكيت .

(٤) فى بن : اشكو .

(٥) فى بن : تشكو .

(٦) كذا فى بن ، وهى فى بر : بالنور .

- أشجارها . قال الصنوبرى يصف فصل الربيع وزهرته :
- ما الدهر إلا الربيع المستير إذا جاء الربيع أنار النور و النور
فالارض ياقوتة و الجو لؤلؤة و التبت فيروزج ' و الماء بلور
من شم ريح ٣ رياحين الربيع ٣ يقل ما المسك مسك ولا الكافور كافور
و قال الصنوبرى فى المسك و الطيب و المهاداة بهما ٥ :
- الطيب يهدى و يستهدى طرائفه و أشرف الناس يهدى أشرف الطيب
و المسك أشبه شيء بالشباب فهو ٦ شبه الشباب لبعض العصبة الشيب
و الربيع ٧ يكون فيه الغيم و الصحو كما ٨ قال الشاعر :
- اليوم يعذب ورد فيه تكدير و يستفيق من الهجران مهجور
يوم أناك من الايام ذى قصر و ما به من مدا ٩ اللذات تقصير ١٠

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا فى بن ، و فى بر : فيروزجة .

(٣-٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : الرياحين .

(٤) كذا فى بن ، و فى بر : به .

(٥) فى بن : طيب .

(٦-٦) فى بن بالشيا فهو .

(٧) فى بن : الربيع - بسقوط و او العطف .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) فى بن : مدى .

١ صحو وغيم يروق العين حسنهما فالصحو فيروزج و الغيم سمور
 ٢ قيل: إن مداومة النظر للسمور يقوى النظر . و السمور هو الفرو
 الذي تجعل ٣ منه تجار الأعاجم رقابا لفراجيهم .
 و بصعيد مصر بلد ٤ يقال لها أسيوط . ذكر أنه صور للرشد
 ٥ الدنيا فما استحسن منها غير . عمل أسيوط . فان مساحته ثلاثون ألف
 فدان في دست واحد . و لو قطرت فيه قطرة ماء فاضت على جوانبه ،
 يدر فيه جميع الحبوب فلا يكون على الأرض بساط أعجب منه . من
 جانبه ٦ الغربي جبل أبيض على صورة الطيلسان ، و يحيط به من جانبه
 الشرق النيل ، كأنه جدول فضة لا يسمع فيه الكلام من شدة أصوات
 ١٠ الطير . قال الشاعر فيه :

لله يوما في سبوط : ليلة قط الزمان بأختها لا يغلط
 بقنا و عمر ١ الليل في غلوائه و له بنور البدر فرع أشمط
 و الطل في سلك الغصون كثؤلؤ رطب يصافحه أنسيم فيسقط
 فالطير يقرأ و الغدير صحيفة و الريح يكتب و الغمام ينقط

(١) في هـ مش بر : أسيوط .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن : يتخذ .

(٤) في بر : بلدا .

(٥) في بن : دون .

(٦) في بن : جانب .

(٧) في بن : عمل .

و قال بعضهم في روضة يانعة نزل هو وأصحابه بها في يوم غيم :
 [١٩٣: الف] ولقد نزلت بروضة حزينة^١ رتعت نواظرنا بها و الأنفس
 فجعلتُ أعجب من تناهى حسنها و المسك من جنباتها يتنفس
 و لبعضهم في خليج مصر :

لم أنس يوما بالخليج و ليلة أفنيت فيها من عفا في ما بقي ٥
 و الليل بحر مزبد يتجومه و انسحب موج و الهلال كزورق
 ٢ و لبعضهم في نيل مصر :

يوما لنا بالنيل محتضر و لكل وقت مرة قصر
 و السفن تعلو كالخيول لنا فيه و جيش الماء منحدر
 فكأنما أمواجه عكن و كأنما داراته سرر ١٠
 و لبعضهم في بركة ماء :

ولقد طربت على محاسن بركة زرقاء نحسبها مذهب الجواهر
 قد كللت جنباتها^٣ بريعبها تفقدت الأبصار بهجة منظر

(١) في بن : جزيرة .

(٢) هذا القسم من النص إلى « كتب عمر بن الخطاب ، ساقط من بر ، و وارد

في بن [١٣٨ : ب - ١٣٩ : الف] فأدخلناه في النص .

(٣) الكلمة غير واضحة و قد تكون كما أوردناه في النص و ينتظم بها ميزان
 البيت ومعناه .

(٤) في الأصل : ففقدت . بنقص في النقط ، وجائز أن تكون كما أوردناه بالنص .

فكأنما المرأة في تدويرها قد طوقوها طوق شمع أخضر

[بن ١٣٩ : الف] و لبعضهم في جداول ماء :

وجداول كأرقام حباؤها كبطونها و حباها كالأظهر

الجدول واحدها جدول ، و الأرقام واحدها أرقم و هم الثعابين .

هـ و لبعضهم في جدول هب عليه النسيم و مالت عليه الغصون :

وجداول ترد الأغصان سلسله كورد ظمان لم يصددا

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص و هو

والى على مصر : إن أرضك واسعة رفيعة و قد أعطى الله أهلها جلدًا

و قوة في بر و بحر و عاجتها الفراعنة و عملوا فيها محلا محكما مع شدة

١٠ عتوهم ، فاكتب لى بصفة أرض مصر حتى كأنى أنظر إليها ، و السلام .

فكتب إليه عمرو : إن أرض مصر تربة سوداء ، و شجرة خضراء ،

بين جبل أغبر ، و رمل أعفر . و خطها مسيرة راكب شهر ، كأنها

بين جبلها و رملها بطن أقب ، أو ظهر أجب ، بها نهر مبارك يسيل

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الذى أوردناه بالنص من بن لطابعه الأدبى ما عدا الجملة

أو البيت الآتى الذى اقتصرنا فى تسجيله على الهامش لما احتواه من خبل واضح

و هو كما يلى دون تحريف عن الأصل :

إذا وردا مالت عليه تريك الطعن سرعة فالبيته العيا من صنعها وردا

بعدئذ يستأق الكلام من بر .

(٢) فى الأصول : أعطى .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤-٤) فى بن : و ظهر أحذب .

بالذهب على الزيادة و التقصان كمجارى الشمس و القمر ، تمده عيون^١
الأرض و ينابيعها مأمورة بذلك حتى إذا زاد نيلها و اعلولا عبا به
فكان القرى مما أحاط بها لا يوصل من بعضها إلى بعض إلا فى السفن
و الزوارق^٢ . ثم لا يلبث إلا قليلا حتى تنقص جريته ، وتستبين متون
أرضه^٣ . ثم تنتشر فيه أمة محصورة قد رزقوا على أرضهم جلّداً و قوة . هـ
فبذروا فيها من^٤ الحبّ ، ما يرجون به النماء من الشرب ، حتى تبدو^٥
طوالعه ، و تظهر قنواته ، يسقيه من تحته مدرة سوداء ، إذاً هى نجمة
زرقاء ، ثم غوطه خضراء ، ثم ديباجة رقشاء ، ثم فضة يضاء . فتبارك الله
أحسن الخالقين .

و وصف بعض الحكماء^٦ مصر فقال : ثلاثة أشهر للؤلؤة يضاء ، ١٠
و ثلاثة أشهر مسكة سوداء ، و ثلاثة أشهر زمردة خضراء ، و ثلاثة
أشهر سيكة ذهب حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فإن أرض مصر فى شهر
أبيب و مسرى و توت يركبها النيل فترى الدنيا يضاء و ضياعها على

(١) فى بن : العيون .

(٢) فى بن : و زواريق .

(٣) فى بن : الأرض .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : تبدوا .

(٦) فى بن : لماذ .

(٧) انظر « مروج الذهب » للسعودى ج ٢ ص ٣٥٦ .

رواني و تلال مثل الكواكب وقد أحاطت بها المياه من كل وجه فلا
 سيل لبعض إلى بعض إلا في الزوارق . و أما المسكة السوداء فان في
 شهر بابه [و هاتور و كيهك - ١] ينكشف الماء عنها و ينصب عن أرضها
 فتصير أرضها سوداء و فيها تقع الزراعات و للأرض روائح طيبة
 ٥ تشبه روائح المك ٣ . و أما الزمردة الخضراء فان في شهر طوبه
 و أمشير و برمهات تلمع^١ و يكثر عشبها و نباتها فتصير الأرض^٢ خضراء
 كالزمردة . و أما السيكة الحمراء فان شهر برمودة و بشنس و بؤولة
 يبيض الزرع و يتورد [١٩٣ : ب] العشب و هو سيكة^٣ الذهب منظرا
 و منفعة . فتبارك الله أحسن الخالقين .

١٠ و وصف بعضهم مصر فقال : نيلها عجب ، و أرضها ذهب ، و هي
 لمن غلب . و نهرها النيل من سادات الأنهار ، و أشرف^٤ البحار ، لأنه
 يخرج من الجنة .

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصول ، و لابد منه لاكتمال العبارة .

(٢) في بن : رائحة .

(٣) في بن : المسكة .

(٤) في بن : و تلمع .

(٥) في بن : أرضها .

(٦) في بن : كسيكة .

(٧) في بن : و أسرات .

- أقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقفت على كتاب الحيوان لأرسطاطاليس فرأيت ذكر فيه كل شيء (يتبع) فمن يتولد من عفونته الحيوان، ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر شيء كثير، فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وأنها ذات أجزاء كثيرة ه وأن هواءها وماءها ريان^٤. وقفت في كتاب حيلة البره لجالينوس في دفع مضار الأبدان بمصر للشيخ الحكيم على بن رضوان بن جعفر المصري فرأيت ذكر فيه أن السكنى بمصر ينبغي أن تؤثر [على -] غيرها لأن المضار التي تعرض للأبدان فيها يمكن زوالها لأن شروهر^٥ أقس المصريين سريعة القبول للعلاج لأن شروهرهم^٦ ضعيفة غير مستعصية^٧، وجعل هذا ١٠ [١٣٩: بن باه] الكتاب خمسة عشر بابا، الأول في صفة أرض مصر، الثاني في اختلاف هواء مصر وما يتولد فيها، الثالث في الأسباب المحيطة بالصحة والمرض بأرض مصر، الرابع في فصول السنة بأرض مصر،
- (١) هذا الجزء من هنا إلى «وروى ابن عباس» ساقط من بر، وأخذناه عن بن [١٣٩: الف - ب]. (٢) الكلمة مطموسة جزئيا في الأصل.
- (٣) في الأصل: النار - وهو خطأ قلبي أحللتنا فيه الفاء محل النون.
- (٤) كذا في الأصل، وتلوهوا كلمة «يم» وهي زائدة وغير مفهومة فتجاوزنا عن ذكرها.
- (٥) ساقطة من الأصل، ولزومها واضح لاستقامة السياق.
- (٦) وربما كان المقصود بالكلمة المساوي بمعنى الأمراض.
- (٧) في الأصل: مستعصية، وواضح أنها خطأ قلبي.

الخامس في أن أكثر ما قاله ابن الجزار الحكيم من أسباب مرض مصر ليس بصحيح ، السادس في اختصاص المدينة اليوم بمصر وهوائها وجميع أحوالها ، السابع في الوقوف على أسباب الوباء ، الثامن في شرح أمر الأسباب ، التاسع في حفظ الصحة ومداواة الأمراض ، العاشر فيما ينبغي للطبيب أن يفعله في الأبدان بأرض مصر ، الحادي عشر في تدبير الأبدان بمصر ، الثاني عشر فيما يصلح رداءة الهواء والماء والغذاء بأرض مصر ، الرابع عشر في نسخ أدوية تستعمل في دفع المضار وحفظ الأبدان ، الخامس عشر في أنه ينبغي أن تختار السكنى بمصر وإن كانت تفعل في الأبدان رداءة فإن قيل إن أسعار مصر مرتفعة فالجواب أن المكاسب فيها كثيرة وأيضا فإن أرض مصر قليلة الفتن والحروب لسكون أنفسهم إلى من يسوسهم وضعفهم عن الجهاد - انتهى .

[في الخمسة الأنهار]

فلنذكر الآن ما قيل في الخمسة الأنهار . روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل الله من الجنة خمسة أنهار ، ١٥ سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ، والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها ، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض .

(١) يلاحظ أن الكاتب ذكر « الرابع عشر » بعد « الثاني عشر » مباشرة فهو إما أخطأ في التوالى أو سقط منه « الباب الثالث عشر » سهوا .

(٢) هذا ينتهي القسم الذي أخذناه عن ابن لسقوطه من بر حيث يستأنف الكلام فيه بعد ذلك .

قال المسعودي^١ في تاريخه^٢: فأما سيحون^٣ فهو نهر أدنة^٤ ومخرجه من نحو ثلاثة أميال^٥ من مدينة^٦ ملطية ويجرى في بلاد الروم ويصب في البحر الرومي. وأما جيحون^٧ فهو نهر المصيصة وهو من أعين تجرى في بلاد الترمذ حتى يأتي بلاد خوارزم وغيرها ويستمر جريه إلى بلخ وهو يصب في البحر الرومي. وأما الفرات^٨ فبدؤه^٩ من بلاد قالى قلا^{١٠} من ثغور أرمينية ومصبه في دجلة. وأما الدجلة^{١١} فانها تخرج من بلاد آمد من ديار بكر وينتهي^{١٢} جريانها^{١٣} إلى تكريت وسامرا وبغداد ومصبها في^{١٤} البطائح. قال بعضهم في ضوء الهلال في ماء دجلة: وكان دجلة حين التي^{١٥} ضوءه ما بين جسيها الهلال الغارب

(١) انظر «مروج الذهب» ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢-٢) ساقطة من بر، واردة في بن.

(٣) في هامش بر: سيحون.

(٤) في بن: اذنه.

(٥-٥) في بن: بمدينة.

(٦) وأيضا في هامش بر: جيحون.

(٧) وأيضا في هامش بر: الفرات.

(٨) في بر: فبدأؤه؛ وفي بن: فبدؤه.

(٩) في هامش بر: الدجلة.

(١٠) عن بن، وفي بر: تنهى.

(١١) في بن: جريها.

(١٢) في بن: من.

(١٣) في بن: القا.

دَرَجُ الكَتَبِينَ به ثلاثة أسطر ومداد أسطرهن تبر ذاتب
ولبعضهم مواليا في القمر وقد ألقى ٢ جرمة في الماء :
لما بدا البدر شبه النقدة الغضة ٣ كسوتة عطرة في زرجة غضة
عاينت أنواره في الماء منقضة سيل من التبر يلعب في سلك فضة
و أما النيل ٥ فان منبعه من تحت جبل القمر من اثني عشرة عينا
فاجتمع في بحيرتين كالبطائح ٦ ، ثم تشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار
تجتمع مع جميعها إلى بطيحة ، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر .
ثم ينبعث بين رمال و جبال ، ثم يخترق ٧ أرض السودان مما يلي بلاد
النج و يطوف ٨ بأرض النوبة و يأتي إلى بلاد أسوان فيقطع النيل الصعيد
١٠ ثم يمر ٩ بفسطاط مصر ثم ١٠ بأرض الفيوم .

[الفيوم]

١١ وقيل : إن الفيوم ١٢ عمر في ألف يوم ، فلذلك قيل له الفيوم .

- (١) في بن : درجا .
- (٢) في بن : القا .
- (٣) في الأصل بر : النضة . و هو خطأ قلبي صحته من بن .
- (٤ - ٤) في بن : شمس القبر .
- (٥) في هامش بر : النيل .
- (٦) في بن : كالبطائح .
- (٧) في بن : يخترق . (٨) في الأصلين : و يطيف .
- (٩) ساقطة من بن .
- (١٠) زيد في بن : يمر .
- (١١) هذا القسم (الفيوم) بكامله ساقط من بن .
- (١٢) في هامش بر أيضا : الفيوم .

وقيل إن بنت فرعون كانت تنزل بلدا به يقال شانه، و حجر اللاهون
من بناء يوسف الصديق عمره بالوحى . وكانت ملوك فارس تأتي إليه
لتبصره لأنه نبى بالحكمة . وللقيوم أخبار عجبة . من أراد الوقوف عليها
فليطالع كتاب المسالك و الممالك لأبى عبد الله القرطبي .

[فروع النيل]

٥

نعود^١، ثم يمر النيل هابطا^٢ فينقسم خلبانا إلى أرض تيس
و دمياط و إلى الاسكندرية [١٩٤ : الف] كل يصب في البحر الرومى
مذنبى^٣ الاسكندرية الإسكندرية، فيتصل بأسواقها، و يمر في سككها
و قد بلطت مجاريه بالمرمر . ثم صار النيل الآن . منهم على نحو يوم ،
و صار شربهم من الآبار المسرّة التي يأتي إليها النيل من خليجها^٤، فتعلا^٥ ١٠
منها^٦ صهاريجها التي بديارها و شوارعها . و النيل يتشعب دون^٧ فسطاط
مصر شعبتين ، فتصير شعبة إلى رشيد بالقرب من الإسكندرية ، و تصير

(١) من هنا يشأق الكلام في بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : بنا .

(٤) في بن : الاسكندرية . مكررة بدل الاسكندر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، و « من خليجها » ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : فتعلا .

(٨) في بن : منه .

شعبة أخرى إلى دمياط . و النيل إذا زاد غاضت له الأنهار و العيون
و الآبار ، و إذا غاض زادت ٢ . فزيادتها ٣ من غيضة و غيضا من
زيادته . و كل نهر في الأرض مخالف للنيل لأنه يتقبل الشمس .
قال الشاعر :

٥ مصر ومصر شأنها عجيب و نيلها تجري به الجنوب
و قال بعضهم يتشوق لأجابه :

ان رام غير حاكم أو أَلَم به أو راق في سمعه من غيركم قيل
أوبت يرعى^١ جمالا غير حسنكم فلا سقاء على حر الظما نيل
و اختلف الناس في الأنهار^٢ فقالوا : إنها كالعروق في البدن ، و قال
١٠ آخرون : حق الماء أن يكون على سطح [الأرض]^٣ . فلما اختلفت الأرض
فكان منها العالي^٤ و الهابط . انحاز الماء الى أعماق الأرض ، فلما انحصرت

(١) في بن : فاذا .

(٢) في بر : زاد . و صحتها من بن .

(٣) في بن : فريديتها .

(٤) في بن : كل .

(٥) في بن [١٤٠ : الف] وشأنها .

(٦) في بر : يرعا .

(٧) في هامش بر : الأنهار .

(٨) ساقطة من الأصلين ، ولزومها واضح من السياق .

(٩) في بر : العال . و صحتها من بن .

في الأعماق طلبت التنفس بضغط الأرض من أسفل، فنبثق حيث
عيونا وأنهارا .

[فيضان النيل والمقياس]

و ليس في الأرض نهر يزيد و ينقص بترتيب غير النيل^١ . وإذا
أردت أن^٢ تعلم عيار النيل فاحسب من يوم عيد ميكايل وهو ثاني^٣
عشر بؤونه ٣ كم يكون في الشهر العربي من يوم وزد فوقه تسعين يوما ،
وخذ سدس الجميع^٤ يكون ذلك^٥ عدة أذرع النيل^٦ في تلك السنة .
وفي سنة ثلاث و سبعين وسبعمئة نودى على النيل بمصر ستة أصابع
من ذراع العشرين ، ثم سكت المتأدى بعد ذلك عن ذكر الزيادة ،
وصار يقول كل يوم : يا قوم اتقوا الله من الجبل الى الجبل^٧ . وقيل ١٠
إن في بعض السنين زاد النيل عن ذراع العشرين فهدم بتلك الزيادة

(١) في هامش بر : زيادة النيل .

(٢) زيد في بن : ان .

(٣) في بن : يؤنه .

(٤) في هامش بر : مطلب ، قاعدة يعلم منها زيادة النيل كل سنة و مقدار أذرع .

(٥) في بن : تلك . وقد زيد عليها هنا ما يلي : الأيام التي هي سدس العدد
المذكور .

(٦) في بن من .

(٧) زيد في بن : ولا ينطق بزيادة أصلا .

العظيمة رباعاً ودياراً بمصر والقاهرة^١ والبلاد^٢ .

حدثني رجل من أهل إيبار قال : كان بها رجل عنده في تلك السنة من القمح ثلاث مائة ٣ أردبا مخزونة ٣ بداره ، فسل أن يبيعها للناس حين غلاء الحب^٤ ، فلم يرض وطلب^٥ الزيادة^٦ في السعر الواقع^٦ .
 هـ فلما زاد^٧ النيل احتاط الماء^٨ بتلك الدار^٩ ودخلها ، فاتحّل طوبها اللبن^{١٠} ، فوقعت وأخذ الماء القمح الذي بها ومضى به^{١١} ، فلم ينتفع صاحبه منه بـمن قدح واحد مع سقوط داره .^{١٢} وكان المسكين طلب الزيادة فوقع في كفه الخسران ، فالشفقة على خلق الله تعظيماً لأمر الله فبعدم شفقتة لم ينظر الله له برحمته وأراهم فيه عبرته^{١٣} .

(١) زيد في بن : التي بغضه النيل .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٤) في بن : أردب مخزونة .

(٤) زيد في بن : قيل وطء النيل ستة عشر ذراعاً .

(٥) زيد في بن : فيها .

(٦-٧) في بن : عن ذلك السعر العالي .

(٧) عن بن ، وفي بر : على .

(٨) عن بن ، وكلمة « الماء » ساقطة من بر .

(٩) زيد في بن : التي فيها القمح المخزون .

(١٠) زيد في بن : بالماء .

(١١) زيد في بن : عائماً على وجهه .

(١٢-١٣) واردة في بن ، وساقطة من بر .

قال المسعودى فى كتاب 'مروج الذهب و معادن الجواهر' ،
 إن 'النيل [١٩٤ : ب] فى خلافة^٢ عمر بن عبد العزيز^٣ وصل عدة
 أذرع فى عمود المقياس بمصر ثمانية عشر ذراعا ، فتعجب الناس من
 تلك الزيادة العظيمة^٤ . وهذا يدل على أنه كان مقصرا عن هذه الزيادة
 فى السنين الماضية حتى حصل التعجب منه وأُرِّخ^٥ . وفى سنة خمس ٥
 وسبعين وسبعمئة قصر النيل عن ذراع ستة عشر فصل بالديار المصرية
 فى تلك السنة^٦ غلاء حتى وصل^٧ القمح بالإسكندرية^٨ ثلاثمائة سودا
 بدراهمها والخبز كل رطل جروى بدرهم ونصف و ثمن أسود بدراهمها
 والرطل الجروى زنة ثلاثمائة واثنى عشر درهما^٩ ، وازداد سعر الحبوب
 كلها وحصل للناس الضرر الكبير بذلك ، وكذلك سائر بلاد مصر ١٠
 حصل بها الغلاء ، وحصل لخبزان القمح فى تلك السنة فوائد كثيرة
 فيه . ولم يزرع بأرض مصر إلا الأماكن المنخفضة ، والعلاوى التى

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) الخليفة الأموى وحكمه ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م .

(٤) زيد فى بن : حتى كتبت فى التواريخ .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : وورخ .

(٦) زيد فى بن : والسنة التى بعدها .

(٧) فى بن : وصل ثمن .

(٨-٩) كذا فى بن ، والعبارة أوفى من بر حيث نصها : بالورق مائة وستين

الأردب والخبز بدرهم أسود الرطل الجروى .

لم يركبها الماء شرقاً^١ كلها وجاءت الصعاليك ووقع فيهم الفناء فتأوا
جوعاً إلى أن تداركهم الله عزّ وجلّ برحمته في ستة سبوع وسبعين وسبعمئة
بلغ النيل فيها^٢ ثمانية عشر ذراعاً فانحط السعر كثيراً^٣ - انتهى .

[النهر في اللغة والأدب]

٥ ٣ نعود إلى ما قيل في الأنهار^٤ . النهر مفرد والجمع نُهرٌ وأنهار .
ويقال أن النهار^٥ يجمع على النُهر ، واستنهر النهر إذا أخذ مجراه ،
وأنهرت الدم أسلته ، وأنهر الماء جرى ، ونهر نهر^٦ كثير الماء^٧ .
قال الشاعر .

أقامت به فابتنت خيمة على قصب وقراتٍ نهر

١٠ ونهرت الرجل وانتهرت مثل زجرته ، والنهار ما بين طلوع الفجر
إلى غروب الشمس ، ورجل نهر صاحب نهار . قال الشاعر .
وقد لبس النهر الدروع توقياً مخافة رمى القطر من سحبه نبلا
ولبعضهم فيه^٨ .

والنهر سلسلة النسيم أظنه لم يستطع^٩ الرقص صار يصفق

(١-١) إوردت العبارة في بن ، وسقطت من بر .

(٢) في الأصل : فيه .

(٣-٣) في بن : فلنذكر الآن الأنهار وما قيل فيها .

(٤) في بن : أنهار .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) كذا في الأصلين ، وربما كان صوابها : ما يستطيع .

١' ولبعضهم :

والنهر قد رقت غلالة صيفه و عليه من ذهب الأصيل طراز
تترقق الأمواج فيه كأنما عكن الحصور نعيمها الإعجاز
وما قيل في النهر و يوم الغيم :

والجو بين تغيمٍ وتخيّم و تبسّم و تنسّم و تسرّ ٥
والنهر بين تفجّر و تموج و تحلج و تلجلج و تكسر
ولبعضهم في غدير ماء :

وفي صفور قراق^١ الغدير إذا حكي وقد جعدته الريح ٣ صفحة مبرد
ونهر^٢ النيل يتكدر في الزيادة و يصفو في النقص . قال الشاعر :
أما ترى النيل يصفو في تنقصه^٣ وما تكدر إلا في الزيادات ١٠
وقال الآخر في معناه :

والخِـدَ كالماء يبدى لي ضمائره مع الصفاء و يخفيها مع الكدر
أى إذا صافاك خليلك أظهر ما عنده ، و إذا دجاك^٤ أخفاه كالماء
إذا صفا رؤى ما تحته و إذا تكدر خفي .

(١-١) البيتان واردان في بن ، و ساقطان من بر .

(٢) في بن : رقرق .

(٣) في بر : النيل . و الأصح جاء في بن كما في النص .

(٤) في بن : نهر - بسقوط و او العطف .

(٥) في بن : نقصه .

(٦) في بن : دجاك .

حكى أن أبا الطيب المتنبى سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمى خارج باب الجامع يقول: واضيعة الأدب! هذا المتنبى يقول:
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
فقال المتنبى لبعض أصحابه: سل عن ذلك وقل له فكيف! كان يقول.
٥ قال ٢: كان يقول: ما من مداجاته بد، لأن الصفاء لا يكون إلا مع
الصداقة، والمداجاة لا تكون إلا مع العداوة، فالعدو أبدا لا يضاف ٣
بل ليسلم بمداجاته من شره. قال بعضهم [١٩٥ : ألف] في معناه ٤:
إنه الولد المشوم ٥، لأنه ما منه ٦ بد، فلا يكون خلاص الوالد منه
إلا بموته عنه.

١٠ وقد ٧ جاء في الخبر، تقول المرأة لزوجها: إن لم تطعمني ٨
وإلا طلقني ٩، ويقول العبد لسيده: إن لم تطعمني وإلا بغي أو اعتقى،
و يقول الولد لو الده: إلى من تركني؟ وينبغي لكل واحد أن يكثر من
حمد الله وشكره في السرّاء والضراء، ففي ذلك صلاحه إذا حمده وشكره ١٠.

(١) في بن: وكيف.

(٢) في بن: فله فقال.

(٣) في الأصلين: بصيافا.

(٤-٤) في بن: بعض الفضلاء.

(٥) في بن: المشوم.

(٦) في بن: من ملازمته.

(٧) في بن: فقد.

(٨) في بن: تعطني.

(٩) مطموسة في بن.

(١٠) زيد في بن: فإن من شكر البارئ عز وجل زاده من فضله وكرمه لقوله =

قال داود عليه السلام: يا رب! كيف أشكر نعمك؟ فأوحى الله إليه: إذا علمت أن النعم التي عندك هي مني، فقد شكرتني. كتب عدى بن أرطاة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما حفر لأهل البصرة 'نهر عدى: يا أمير المؤمنين إني حفرت لأهل البصرة 'نهرًا عَذْبَ لهم مشربه، واحازت به أموالهم، فلم أر لهم على ذلك شكرًا، فإن رأى أمير المؤمنين ه أن يأذن لي فأقسم عليهم ما أنفقته على النهر. فكتب إليه عمر: إني لأحسب أهل البصرة حين حضرت لهم هذا النهر خلوا من أحد^٢ قال الحمد لله، وأن الله عز وجل رضى به^٣ شكرًا من أهل جته^٤ فارض بها شكرًا من نهرك^٥ والسلام^٦.

قال بعض العلماء^٧: من اكترى على متاع دواب إلى موضع، فاعترضه ١٠ نهر في الطريق لا يجاز إلا على المركب قد عرف ذلك كالنيل^٨ وشبهه = تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم" ومن شكر الله تعالى وجب عليه شكر ثان اذ وفقه الله لشكره وهذا شكر الشكر.

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) في بن رجل .

(٣-٣) في بن : تعالى قد .

(٤) في بن : بها .

(٥) زيد في بن : حين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

(٦) زيد في بن : انتهى . نعود ، [١٤١ : الف] .

(٧) في هامش بر : مسألة فقهية .

(٨) في بن : كالنهر .

أن جواز المتاع منه على صاحبها، وإن كان يُخاض في المخاض فاعترضه حملان لم يعلموا به فحمل المتاع على صاحب الدواب . وتلك جائحة نزلت به، وكذلك إن كان^١ النهر شتوياً يحمل الأمطار إلا أن يكون وقت الكراء^٢ قد علموا جريه، وعلى ذلك دخلوا،
هـ فيكون كالنهر الدائم .

وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر، واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه . ذكر ذلك في كتابه المترجم لكتاب^٣ الأمصار و عجائب البلدان . انتهى .

[السمك المعروف بالاولال]

١٠ قال المسعودي^٤ : وبحر الزنج فيه السمك المعروف بالاولال^٥، طول السمكة نحو^٦ من أربع مائة ذراع إلى خمس^٧ مائة ذراع بالذراع^٨ العمرى . وهو ذراع أهل ذلك^٩ البحر . والأغلب من هذا السمك طوله

(١) ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٢) في بن : الكرى .

(٣) في بن : بكتاب .

(٤-٤) ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٥) في بن : بالاولال .

(٦) في الأصول : نحو .

(٧) عن بن، وفي بر : الخمس .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : ذا .

مائة ذراع . وربما يمد البحر فيظهر طرفا من جناحيه ، فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع . وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء ، فيذهب الماء في الجو أكثر من ممّ السهم . والمراكب تفزع منه بالليل والنهار ، ويضرب له بالخشب والدياباب لينفر من ذلك . ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه ، وقد ضر فاه ، وذلك يهوى إلى ه جوفه جريا ، فإذا بَعَثَتْ هذه السمكة بعث الله ٢ إليها سمكة نحو الذراع تسمى اللشك . فتلتصق بأصل أذنهما ٣ فلا يكون لها منه خلاص ، فتطلب قعور البحار وتضرب بنفسها حتى [١٩٥ : ب] تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجلل العظيم . وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمركب ، فلا يدنو الآوال مع عظمها من المركب ، وتهرب ١٠ إذا رأت الصغيرة منها إذ كانت آفة عليها وقائلة لها . قال الشاعر :

لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

[التمساح وآفته]

وكذلك للتمساح آفة من دوية تكون في ساحل النيل وجزآره ،

(١-) ساقطة من بن .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣) في بن : ذنبها .

(٤) في الأصلين : فتطفوا .

(٥) في الأصلين : تدنوا .

(٦) في هامش بر : التمساح .

وهو أن التماسح لا يُدبر له . وما يكون في بطنه يتكون دودا ، فإذا أذاه ذلك خرج إلى البر فاستلقى^١ على قفاه فاعترّا فاه ، فينقض طير الماء كالطيطوى والخضاري وغيرها من أنواع الطيور ، وقد اعتادوا منه ذلك ، فتأكل ما يظهر في جوفه من ذلك الدود العظيم ، وتكون^٢ الدويبة قد كملت في الرمل تراعيه ، فتشب إلى حلقه وتلج جوفه ، فيخط بنفسه الأرض ويطلب^٣ قعر النيل . ثم تحرق جوفه وتخرج^٤ ، وربما قتل نفسه قبل أن تخرج ، فتخرج بعد موته من جوفه . وهذه الدويبة تكون من ذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب . وفي بحر الزنج أنواع من السمك ذو صور شتى .

[أنهار الأندلس]

١٠

وبالأندلس من الأنهار المنصبه في البحر الرومي والبحر المحيط سبعة أنهار^١ ، منها نهر قرطبة وهو المعروف بنهر ييطى^٢ ، ومساقته ثلاثمائة ميل وعشرة أميال . نهر^٣ أنه^٤ ويخرجه بشرقي الأندلس ومصبه

(١) في بر: فاستلقا . وهي بالياء المقصورة في بن .

(٢) زيد في بن: تلك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن: منه .

(٥) في بن: أنهر .

(٦) في الأصول: نييطى ، ومحتته « ييطى من الاسم القديم Baetis باللاتينية

أو Baitis باليونانية واسمه الآن Guadalquivir والعربية « الوادى الكبير » .

(٧) في الأصول: أبه . وصحته « وادى أنه » وهو Guadiana .

في البحر المحيط باكشونه^١ و عدة أمياله ثلاثمائة ميل و عشرون ميلا .
نهر تاجه و مخرجه من جبال شرقى الأندلس بناحية تطيله^٢ و مصبه في
البحر المحيط و عدة أمياله ستمائة ميل و عشرة أميال . نهر دويره^٣
و مخرجه من جبال البريونه^٤ و مصبه في البحر المحيط بجليقية^٥ بين قلرية^٦
و برطفال^٧ و عدة أمياله خمسمائة ميل و ثمانون ميلا . نهر ديوييه^٨
و هو وادى أرطه و مخرجه من جبال النش من بلاد إفرنجة و عدة أمياله
تسمائة ميل و عشرون ميلا ، و يقال : إن هذا النهر أكبر أنهار الدنيا

(١) اكشونه في التاريخ القديم هي Oesonoba و هي الآن Estombar في البرتغال .

(٢) في بن : قسطيله ، و قد يقصد بها طليطله و هي تقع على ذلك النهر داخل
الأندلس .

(٣) نهر Douro أو Duro قديما Durus .

(٤) في بن [١٤١ : الف] : البرنونه ، و هي غالبا جبال Sierra deurbion في منبع
نهر Douro .

(٥) مقاطعة Galicia - انظر حاشية سابقة ، و هي تمتد من شمال غربي الأندلس -
إلى البرتغال و المحيط .

(٦) لا يمكن أن تكون Almeria لأنها واحة في شرق الأندلس و لا نعرف بلدة
بهذا الاسم عند مصب النهر في البرتغال .

(٧) المقصود بها طليط Portugal .

(٨) في بن : ديوييه - لم نستطع تحقيق هذا الاسم بين أنهار الأندلس ، و الغالب
أن المؤلف يقصد نهر الدانوب باعتباره من أكبر أنهار الدنيا ، و منبعه طليط
في أواسط أو ربا بما يمكن تسميته في ذلك الوقت بلاد الفرنجة .

و أكثرها ماء . نهر ابره^١ ومخرجه من جبل البيثو^٢ فوق ارنيط^٣
ومصبه في البحر الشامى؛ القيل بناحية طرطوشه و عدد أمياله مائتا
ميل وعشرة أميال . نهر مينوه ومخرجه من جبال انية ومصبه في
البحر المحيط بمجلىقة^٤ و عدد أمياله ثلاثمائة ميل وعشرون ميلا -
ه انتهى .

[الماء العذب والملح]

^٥ قال المؤلف غفر الله له وللسلين أجمعين ، وسأذكر^٥ الآن ما قيل

(١) وهو نهر Ebro .

(٢) في بن [١٤١ : ب] : ينو - ويغلب أن تكون جبال Pena Labra وهي
من الجبال المعروفة باسم Cantabrian Mts .

(٣) ربما كانت مدينة Arnedo بمقاطعة Legrono وهي واقعة على أحد فروع
نهر الأبرو واسمه Cidacos .

(٤) المقصود القسم الغربي من البحر الأبيض المتوسط أى الروم آخذ وشرقه
ينتهى إلى بلاد الشام حيث يسمى باسمها .

(٥) مدينة Tortosa قديما Dertosa بمقاطعة Tarragona في شمال شرق
الأندلس .

(٦) المنطقة المعروفة باسم Galicia في شمال غربي الأندلس واسمها بالتاريخ
القديم Gallaecia .

(٧) واردة في بن وساقطة من بر .

(٨-٨) في بن : فلنذكر .

في الماء العذب والمالح أيهما أثقل ، ولما من أخبار النيل إن شاء الله تعالى . قالوا : إن الماء المالح أثقل من الماء العذب ، ٢ والدليل على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ ٢ ، والماء العذب صاف رقيق [١٩٦ : الف] وأنه إن أخذ جزء من الشمع يعمل ٣ منه إناء ، ثم سُدَّ رأسه وصير في ماء مالح من البحر . وجد ذلك الماء الذي وصل إلى داخل الإناء ه عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ، و وجد الملح المحيط به على خلاف ذلك قد ازدادت مرارته واشتدت ملوحية ٤ . وكل ماء جار فهو نير ٥ وحيث ينبع الماء فهو عين ، وحيث يكون معظم الماء فهو بحر .

[ما قيل في بحر النيل و أصوله]

و أما ٢ ما قيل في بحر ٢ النيل ، فذكر أن عمران بن جابر صعد ١٠ فيه فأدرك غايته ، و عبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها ، وهي دابة البحر منها إلى أن ١ يسير ٢ إلى قوائمها تحاذي قرص الشمس من مبدأ ٣

(١) زيد في بن : كدر غليظ .

*(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن : فعل .

(٤) في بن : ملوحته .

(٥) في بن : نهر .

(٦) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٧) كذا في بن ، وفي بر : مبدء .

(۱) ساقطہ من بن .

(۲) فین : فاقه .

(۳) فین : من .

(۴-۴) فی بن : کیف له .

(۵) کذا فی بن، و فی ر: مبده .

(٦-٦) ف من : الأربعة على أربعة.

(۷) ف ن : وينحدو .

(۸) فی من : ینقی .

١ بالسوانح و السواقى ، فالسوانح تسقى بها الاراضى بالترع و ما أشبهها
و السواقى تسقى بها أحواض البساتين و الأقطاب الخلوة و ما شابهها ، فيسمع
لها فى دورانها حنينا و أنينا و طربا و شجونا ، و قد قال شرف بن أسد
الماجن المصرى لغزاً ٢ فى ساقية :

- و ماشى طويل الرأس ضخم له رأس بيكرة و حـزّه ٥
إذا ما جاء جحرا سدّ فاه و يسكب ماءه فى كل لكزه
و كم غنّاجة ركزت عليه و وافق ركزها فى [البال ٢] ركزه
لها عقد من المرجان قان بسلك أحكم الفاج طرزه
فيخرقها إذا ما جاز فيها و تبكى بالدموع المستزّه
ترخم غنّجها طوراً و طوراً ترقيقه بأخماس و فزّه ١٠
تراها فى تشوقها إليه تدلّ لقربه من بعد عزّه
تصلب فوقه الساقات حتى تسكنه فلا يستطيع رهزه
و بينهما شويخ ذو قرون عليه إن مشى خفر و بزّه
يغمض عنه عن كل شيء و يظهر فيهما عين المعزّه
ترى فى بيته * جمعا كثيرا * يناكحهم بأوعاد و هزّه ١٥

- (١) هذا القسم ساقط من بر، و وارد فى بن [١٤١ : الف - ١٤٢ : ب]
أخذنا به فى النص لطرافته و ربما كان تجاوز ناسخ بر عنه راجعا لطبيعة الغزفيه .
(٢) فى الأصل : لغز .
(٣) الكلمة مطموسة فى الأصل .
(٤) كذا فى الأصل ، و ينكسر وزن البيت معها .
(٥ - ٥) فى الأصل : جمع كثير .

فيخرج ذا ويدخله^١ فؤادى ومثى ثم بعض القوم جرزه
[بن ١٤٢: الف] فادام الشويخ النحس باق فأحوال الجماعة مستلزه
ولا بن أسد الغاز كثيرة من هذا النوع فسا^٢حه الله تعالى .

[عود لفيضان النيل و المقياس]

٥ فلنذكر الآن ابتداء النيل بالنقص و الزيادة^٣،^٢ و ابتداءه بالتنفس
و الزيادة^٤ بقية أيب و مسرى . فإذا كان الماء زائدا زاد شهر توت
كله إلى انقضائه^٥ . فإذا انتهت الزيادة إلى ذراع ستة عشر فقيه تمام
خراج السلطان و خصيب الناس الكافي^٦ . وهو صار بالبهايم لعدم المراعى
و الكلا^٧ . ثم الزيادات كلها^٨ نافعة للبلد كله^٩ سبع عشرة ذراعا ، و في
١٠ ذلك كفافها و رى جميع أرضها ، وإذا زاد على^{١٠} السبع عشرة الذراع^{١١}
و بلغ^{١٢} ثمانى عشرة^{١٣} ذراعا كانت^{١٤} لعاقبة فى انصرافه حدوث و باء بمصر .

(١) فى الأصل : يدخل . و بتصحيح الكلمة يستقيم الوزن .
(٢) فى النص « فا » و بالهامش « يساعده » و قد أدمجناها فى « فاعده » و طاهر
أن الكلمة هى المقصود .

(٣-٤) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٤-٤) فى بن : ابتداء النيل بالزيادة .

(٥-٥) فى بن : إلى آخر شهر توت .

(٦-٦) الجملة ساقطة من النص فى بر ، و وردت مضافة بهامشه .

(٧-٧) فى بن : العامة النافعة لجميع البلاد .

(٨-٨) فى بن : السبعة عشر ذراع .

(٩-٩) فى بن : ثمانية عشر . (١٠) فى الأصين : كان .

والذراع من جملة أذرع بالعمود الرخام الذى هو قائم ١ فى وسط ١
 فسقية المقياس ، وكل ذراع منقوش عليه أصابع معدودة عدتها أربعة
 وعشرون إصبعاً بعرض الذراع القائم يقاس بتلك الأصابع ٢ ، فإذا بلغ
 المائة ستة عشر ذراعاً ذهب الغلاء عن الناس و تباشروا ٣ بالرخاء وأخرجت
 خُزَّان القمح ٤ القمح للبيع ، وإذا أقصر ٥ عن ذراع ستة عشر ذراعاً ٥
 أمسك خُزَّان القمح أيديهم على مخازنهم ٦ و امتنعوا من بيعه ٧ يطلبون
 فيه السعر الكثير ٨ . قال الشاعر فى بلوغ النيل ستة عشر ذراعاً فصاعداً
 على لسان حال النيل ، قال و قوله ملأ ٩ مسامعى :

أذكر لمن طلب الغلا عَمَّ البلاد منافعى

١٠ و عيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعى

أى عيون خُزَّان القمح الذين يطلبون فيه ٩ [١٩٦ : ب] "سعر قلعتها"

(١ - ١) فى بن : وسط .

(٢) زيد فى بن : المحفورة فيه .

(٣) فى بن : واستبشروا .

(٤ - ٤) فى بن : الخزان ،

(٥) فى بن : قصر .

(٦) زيد فى بن : ومطاميرهم .

(٧ - ٧) فى بن : يطلبوا فيه الغلاء .

(٨) زيد فى بن : لكل .

(٩) زيد فى بن : زيادة .

(١٠) فى الأصلين : قلعتها .

أصابع الوفاء^١ بتقليق الستة عشر ذراعا^٢ من أذرع عمود المقياس ،
فتنفس^٣ حيثئذ الفقراء^٤ وتعيش عيالهم^٥ بالرخاء .

[في القناعة]

قال بعض الصالحين : لو لم يكن من فضيلة الفقير إلا إرادته^٦ الرخاء
للناس ليجد بينهم ما يتبلغ به هو وعياله ، لكانت هذه الفضيلة والنية الحسنة^٧
كافية ، لأن الشفقة على خلق الله تعظيم^٨ لأمر الله . قال العتيبي : سمعت أعرابيا
كنا نختلف إليه نسمع من وعظه ، فكان إذا فرغ من خطبته قبض على
لحيته وقال : مسكين ابن آدم مكتوم^٩ للعلل ، مستور^{١٠} الأجل ، أسير الجوع .
صريع الشبع ، ثم ينشد :

١٠ يا ميتا في كل يوم بعضه سدّ فيوشك أن تموت جميعا
فأهل القناعة رضوا بما قسم الله^{١١} لهم ، فاستراحوا من التعب والنصب

(١) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٢) في بن : بأصابع .

(٣) في بن : فتنتعش .

(٤ - ٥) في بن : ويفرحون هم وعيالهم .

(٥) في بن : اختياره .

(٦) « والنية الحسنة » عن بن ، وهي ساقطة بر .

(٧) في الأصلين : تعظيما .

(٨) زيد في بن : تعالى .

و الهموم و الغموم . و لله در القائل حيث يقول :

١ 'إذا رضيت بميسور من القوت بقيت في الناس حرا غير بمقوت

ياقوت يومى إذا ما فر خلقك لى فليس آسى على در و ياقوت '

و قال ٢ بعض الصابرين ٢ :

نوائب الدهر أدبني وإنما يوعظ الأريب ه

قد ذقت حلوا و ذقت مرا كذاك عيش الفقى ضروب

ما مرّ بؤس و لا نسيم إلا ولى فيها ٣ نصيب

(١ - ١) و رد مكان هذين البيتين ما طلى في بن [١٤٢ : اتف] :

رضيت بما قسم الله لى و فوضت أمري على خالقى

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ألا فاصبر على الحدث الجليل و داو جواك بالصبر الجليل

ولا تحزن فإن أعسرت يوما فقد أسرت فى الدهر الطويل

فلا تظن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

فان العز يتبعه يسار و قول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تجر رزقا لكان الرزق عند ذوى العقول

فكم من مؤمن قد جاع يوما سيروى من صحيح السليل

كان أبو موسى الأشعري فى اليوم الشديد الحر و يقول (الواو زائدة كذا

فى النص) : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من عطش نفسه فى يوم حار كان

حقا على الله أن يرويه يوم القيامة .

(٢ - ٢) فى بن : بعضهم .

(٣) فى بن : فيها .

ولقاسم القصاب^١ الجاي :

لا تجزعن من الخطوب واصبر على نوب النوائب
فربما ورد السرو ربحيحت تنظر المصائب
فالدهر قد ما لم يزل يبدى الغريب من العجائب

٥ فالعاقل من يعبر الدنيا ولم يعمرها ويتزود منها للآخرة بزاد التقوى ،
فان الليل و النهار يقرضان في عمر الإنسان . قال الشاعر :

يا عامر الدنيا تعمر منزلا لم يبق فيه مع المنة ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه حق^٢ وأنت بذكره متهاون^٣
إن المنة لا توامر من أتت في نفسه يوما ولا تستأذن
١٠ واعلم بأنك^٤ لا أبالك^٥ في الذي أصبحت تجمع له غيرك خازن
و قال بعضهم :

خذ تراثك ما استطعت فانما شركاؤك الأيام و الوراث^٦
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات و اندفعت^٧ به الأحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته فليوقنن بأنه ميراث

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن [١٤٢ : ب] : و تذكره بتهاون .

(٣-٣) في الأصل بر : لا بالك ، و صحتها واضحة من بن .

(٤) هذا القسم بقصيده ساقط من بر ، و وارد في بن .

(٥) في الأصل : الوارث . و صحتها الوراث ، لاستقامة الوزن بها .

(٦) في الأصل : و دفعت . و صحتها كما ذكرنا لاستقامة الوزن بها .

مألى إلى الدنيا الغرور بحاجة فليخز ساخر كيدها النفاث
 طلقها ألفا لأحسم داءها وطلاق من عزم الطلاق ثلاث
 أم المصائب لا تزال تروعننا منها ذكور نواب وأناث
 أنى لا عجب من أناس أمسكوا بعلائق الدنيا وهن رثاث
 كنزوا النذور وأعلقوا شهواتهم فالأرض نبع^١ والبطن غراث^٥
 أترام لم يعلموا أن التقى هو زادنا وديارنا الأجداث
 قال فائد بن سميع: سمعت أعرابيا بمكة وقد أبرز زندا قِحلةً كأن جلد لها
 جلد ضبّ وهو يقول: عصيتك وأملود الشيبية يعتصر^٢، وأطعتك
 وقوس الكبر قد اغنى، نزل المشيب فورد، وبان الشباب فذهب وقهقهة
 الايضاض ساميا لتقضى أيامي، وضحك أشرا^(١) تقرب حمى، فيا من ١٠
 يسور الأكام بوابل الرباب، وأحيى مظلوم موات الربا بجود السحاب،
 لا تقنّى بعدق^(١) الدنيا ولا توردنى موارد الأشقياء، فلست أصل سيا
 إلا بمعوتك يا رب العالمين^٦.

قال القعقاع الضبى: ذكر لى أن أعرابيا من بنى زيد مائة انقطع
 إلى ربه، فخرجت فى طلبه، فوقعت عليه فى نصف نهار وقد استظل ١٥

(١) الكلمة غير واضحة تمام الوضوح لانطماس بعضها.

(٢) فى بن: معتصر.

(٣) كذا فى بر، وهى فى بن: أثرا.

(٤) فى بن: وحيا. (٥) كذا فى الأصلين.

(٦) زيد فى بن: فانظر يا هذا إلى فصاحة هذا الأعرابي فى منطقته.

بقيء عصاه ١ و هو يقول : الأرض باطى و السماء سقى ، و أنا أسير
بين يدي عدوى ، يا مدهق فلاة الفلاة برهام ٢ منخرق الصفاة ، أجرينى
من لُهب شواظ احتدام ٣ الحريق ، و قفى على أخدود مدرجة [١٩٧ :
الف] الطريق . قال فسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام و قال : من أنت ؟
هـ فقلت : رجل قصدك أراد إناسك . فافتر مبتسما و قال : ما أصنع
بأنيسك و قانص الأرواح و سائق الأرزاق معى ؛ يحفظ الواحد منهما
علىّ أجلى إلى انقضاء مدته ، و يأتينى الآخر برزقى عند بلوغ غايته ؟
فقلت : عى الله أن ينفعنى بعلم من عندك . فقال : و لم ؟ فقلت :
ضعف يقينى و قلّ صبرى . فقال : ادن منى . فدنوت فجعل يضرب
١٠ يده صدرى و يقول :

غلبتك نفس غير متعظه نفس مفرغة بكل عظه
نفس مُدبرة مصرفة مطلوبة فى النوم و اليقظه
الله حسبك من سواه كفى راعى الرعاة و حافظ الحفظه

(١) فى بن : عضاة .

(٢) فى بن : و برهام .

(٣) فى بن : احتكام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٦) كذا فى الأصلين ، و حائز أن تكون الكلمة : مفرغة ، و هى فى بن : مفرعة .

قال: فسرت وعبرت برهة، ثم قصدت موضعه فلم أجد أثره .
 اعلم يا أخى أن الدنيا دار زوال وارتحال، فالعاقل يزهد فيها
 على كل حال، لأنه لا بد له من الانتقال، لم يتخلد فيها أحد لكثرة ماله،
 ولا خوله ورجاله، بل يموت كما يموت الفقير، ويحمل على نعش السرير،
 ويتساوى فى الثرى هو والعبد الحقير .
 ٥

[حكاية جعفر البرمكى والرشيد]

حكى أنه لما فهم جعفر بن يحيى البرمكى التغير من الرشيد عند حجه،
 ووصلا إلى مدينة الحيرة، ركب جعفر إلى كنيسة بها لبعض الأمر،
 فوجد فيها حجرا عليه كتابة منقوشة لا تفهم، فأحضر تراجمة الخط وقال
 فى نفسه: قد جعلت ما فيه فالألمأ أخاه من الرشيد وأرجوه. فقرأ ١٠
 فإذا فيه:

إن بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب
 أضحوا ولا يزجرهم راغب يوما ولا يرهبهم راهب
 تنفح بالمسك دفارهم والعنبر الورد له قاطب
 فأصبحوا أكلا لدود الثرى ٣ وانقطع المطلوب والطالب ١٥
 فخرن جعفر لذلك . وكانت تجرى على لسانه تلك الآيات مع الأحيان
 ويقول: ذهب والله أمرنا . فلما قتل هارون الرشيد جعفر وأوقع القتل

(١) فى بنى: وأعلم .

(٢) فى بنى: فالزاهد .

(٣) فى بنى [١٤٣ : الف] : الفلا .

بالبرامكة^١: أصيب على باب قصر علي بن موسى بن ماهان بخراسان
صبيحة الليلة التي قتل^٢ فيها جعفر كتابة بقلم جليل:

إن المساكين بني برمك^٣ صُبَّتْ عليهم غير الدهر
إن لنا في أمرهم عبرة^٤ فليعتبر ساكن ذا القصر

هـ و كانت البرامكة من الجود والكرم إلى غاية، كانوا إذا فعلوا مع أحد
جميلا لم ينتزعوه منه أبدا، ولا يمتنوا به^٥ عليه بل يزيدوه خيرا على
ما أسدوه له^٦ من المعروف. قال الشاعر:

إن البرامكة الكرام تعلوا فعل الجليل وعلومه الناسا
كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا لا يهدمون لما بنوه أساسا
١٠ [مصر في القرآن وذكر من دخلها من

الأنبياء والعلماء وغيرهم]

[١٩٧ ب] ذكر الآيات الكريمة التي وردت في مصر، وذكر من

دخلها من الأنبياء^٧ والعلماء والأولياء والأدباء، ومن سكنها من الحكماء،
وذكر بعض^٨ ملوكها الكفار، وقسمة الأرض بين أولاد نوح عليه

(١) في بن: البرامكة.

(٢) في بن: نكل.

(٣) في بن: وليعتبر.

(٤) عن بن، وهي ساقطة من بر.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) زيد في بن: عليهم السلام. ووردت كلمة « والأولياء » بعدها.

(٧) الكلمة ساقطة من بن.

السلام و' غير ذلك' . .

قال الله تعالى في كتابه العزيز: "و' وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر يوتاً" . وقال تعالى حكاية عن فرعون وافتخاره بمصر: "ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ٣" . وقال تعالى حين وصف ما كان عليه فرعون من النعمة والملك: "كم تركوا من جنّات هـ و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فكهين" ، وما ذكر الله عز وجل من قول يوسف عليه السلام: "ادخلوا مصر إن شاء الله آمين" . إلى غير ذلك من الآي ، فهل تعلم أن بلدًا من البلدان غير مكة والمدينة وبيت المقدس أثني عليها بمثل هذا الثناء أو وصفها هذا الوصف أو شهد لها بالكرم غير مصر؟ ومن ذكر الله من أهل مصر في كتابه مؤمن آل ١٠ فرعون فقال عز وجل: "وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله" . و كان اسمه حمويل بن صالوت خازن فرعون: . وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون ، وقال: "أتقتلون رجلاً أن

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) قرآن كريم : ١٠ : ٨٦ .

(٣) قرآن كريم : ٤٣ : ٥٥ .

(٤) قرآن كريم : ٤٤ : ٧٤ - ٧٦ .

(٥) قرآن كريم : ١٦ : ١٨ .

(٦) زيد في بن : الله تعالى .

(٧) قرآن كريم : ٤٠ : ٦٧ .

(٨) عن بن ، وفي بر : لفرعون .

يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم - وهى اليد البيضاء والعصا .
 وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم به من
 العذاب ١ . ثم قال : " يا قوم لكم الملك اليوم " . يعنى فى الأرض أى نعمة
 أنعمها الله عليكم ، فيجب عليكم أن تشكروه ولا تكفروه فخرج فرعون
 ه من قول المؤمن ثم قال المؤمن : " ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
 الرشاد ٢ " . ثم خوفهم بعذاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
 وأن الله أهلكهم بأنواع العذاب حين كذبوا رسلهم . ثم قال :
 " يا قوم إني أخاف عليكم يوم اتباد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
 من عاصم ٣ " . يعنى من مانع . فلما سمع فرعون كلامه غضب عليه وقال :
 ١٠ كأنك يا حمويل ممن يؤمن بموسى فارجع عن ذلك وإلا عاقبتك بأنواع
 العذاب . قال حمويل : " مالى أدعوكم إلى النجوة وتدعوتنى إلى النار ،
 تدعوتنى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى
 [١٩٨ : الف] العزيز الغفار لا جرم إنما تدعوتنى إليه ليس له دعوة فى
 الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار

(١) قرآن كريم : ٤٠ :

(٢) قرآن كريم ٤٠ : ٨

(٣) نفس الآية فى الحاشية ١ : قة . وزيد بعدها فى بن : يعنى الحق .

(٤) نفس الآية السابقة .

(٥) فى بر : حتى ، وصحتها من السياق فى بن كما أوردناه فى النص .

(٦) عن بن : وهى فى بن : رسالهم .

(٧) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٩ - ٣٠ ، ووردت فى بن بعد « التاد » جملة اعتراضية
 يوم القيامة .

فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد^١ “
يعنى عند معاينة العذاب تذكرون نصحي ثم قام من عند فرعون فلاحق
موسى و هارون و تبعهما على دينهما - انتهى .

[قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨]

قيل لما أراد قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف النورى المالكي ه
قتل الفقيه زين الدين بن البقي لما ثبت عنده كفره ، جلس خارج باب
المدرسة الصالحية بين القصرين بالقاهرة المعزية معه نوابه و أمير حاضر
معهم^٢ بسببه أيضا^٣ . قال قاضى القضاة المذكور للسياف : اضرب عنقه .
فقال ابن البقي : ” أقتلون رجلا أن يقول ربي الله “ قال قاضى القضاة :
لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، اضرب عنقه . فضرب السياف عنقه . ١٠
و البقي منسوب إلى قرية من عمل ماردین يقال لها بقعة * وكان قتل
ابن البقي المذكور فى سنة ثمانى عشر^٤ و سبعمائة ، و فيها توفى قاضى
القضاة المذكور و دفن بقرافة مصر - رحمه الله تعالى^٥ .

[من أخبار مصر]

نعود إلى ذكر أخبار مصر . يروى أن أباذر الغفارى^٦ قال : مصر ١٥

(١) قرآن كريم : ٤٠ : ٤١ - ٤٤ .

(٢-٢) فى بن [١٤٣ : ب] : بالقاهرة .

(٣-٣) فى بن : بسبب قتله .

(٤) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٨ .

(٥) فى بن : بقتله . (٦) فى الأصولين : عشرة .

(٧) زيد فى بن : انتهى . (٨) فى بن : الغفارى .

أطيب الأرضين تراباً . روى ابن لهيعة عن ابن عباس أن كعب الأحبار سأل رجلاً يريد السفر إلى مصر ، فقال له : اهدأ لى تراباً من سفح جبلها المقطم . فأتاه^٢ بحراب ، فلما حضر كعب^٣ الوفاة^٤ أمر به فقرش في لحده تحت جنبه . و المقطم تحت مقطع الحجارة . و أن موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى . و روى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة ، فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل المقطم فقال : إن عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد سد وسطه و أمه إلى جانبه ، فالتفت إليها و قال : يا أمه هذه مقبرة أمة محمد* . و بنا عمرو بن العاص يسير في ١٠ سفح^٦ المقطم معه^٥ الملك المقوقس القبطى^٨ صاحب مصر^٧ بعد مصالحة المقوقس لعمرو على مصر ، فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ، و لو شققنا في سفحه نهرًا من النيل

(١) فى بن : اهدى . و كلمة « لى » بعدها ساقطة .

(٢) زيد فى بن : منه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : لوفاة .

(٥) زيد فى بن : عليه السلام .

(٦) زيد فى بن : الجبل .

(٧) فى بن : و معه . و كلمة « المقوقس » وردت قبل « الملك » .

(٨-٨) ساقطة من بن .

و غرسناه أتلا؟ فقال له المقوقس : [١٩٨ : ب] وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال اشجارا ونباتا و فاكهة ، وكان هو منزل المقطم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى^١ ، أوحى إلى الجبال إني مكلم نيا من أنبيائي^٢ على جبل منكن ، فسامت^٣ الجبال كلها و تشاхت^٤ إلا جيل بيت المقدس فانه هبط و تضاءل^٥ فأوحى الله^٦ إليه . لم فعلت ذلك ؟ و هو به أعلم . فقال^٧ : إعظاما و إجلالا لك يا رب . فأمر الله^٨ الجبال^٩ أن يحجوه كل جبل بما عليه من النبات ، و جاد^{١٠} له المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقى كما ترى ، فأوحى^{١١} الله تعالى^{١٢} إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^{١٣} . رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر : إني لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين ،

(١) في بن : وبقا .

(٢-٣) في بن : موسى فيها .

(٣) في بن : الأنبياء .

(٤) في بن : فسمت .

(٥) في بن : و تقاхت .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) في بن : قال .

(٨) زيد في بن : عز وجل .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : بخاد .

(١١-١٢) واردة في بن ، وساقطة من بن .

فاجعله لهم مقبرة . ففعل ففضب المقوقس و قال لعمر و ابن العاص :
ما على هذا صالحتي . فقطع له عمرو قطيعة يدفن فيه النصارى ٢ -
انتهى .

[من دخل مصر من الأنبياء]

٥ و دخل مصر من الأنبياء ٣ عليهم السلام يعقوب و أولاده الاثنا عشر و هم يوسف و يهودا و رويل و لاوى و زبالون ٥ و شمعون و سحرة و دنيا و دانا و فتائيل ٦ و جاد ٧ و بنيامين . و دخلها موسى و هارون و عيسى بن مريم عليهم السلام .

[من دخل مصر من الصحابة]

١٠ ٨ و دخل مصر ٨ من الصحابة رضوان الله عليهم الزبير بن العوام ١ و المقداد ٢ بن الأسود و عبادة بن الصامت و أبو الدرداء و فضالة بن عبيد و عتبة بن عامر و أبو ذر الغفاري و رافع بن مالك

(١ - ١) ساقطه من بن .

(٢) في بن : القبط .

(٣) في هامش بن : الأنبياء الذين دخلوا مصر .

(٤) في الأصول : الاثنى .

(٥) في الأصل بن : زبالون ، و في بن [١٤٤ : الف] : زياتون .

(٦) في « بر » : دعنايل ، و في « بن » : رعنايل .

(٧) في الأصول : حار .

(٨ - ٨) في بن : و دخلها . و في هامش بر : من دخلها من الصحابة .

(٩ - ٩) في بن : رضى الله عنهم .

(١٠) في بن : المقداد . بدون و او العطف .

وعمر بن علقمة وشرحيل بن حسنة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة بن محمد بن مسلمة وأبو رافع ومحمد بن مخلد وأبو أيوب ورويفع بن مالك ومعاوية بن خديج وعمار ابن ياسر وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم ممن صحب النبي عليه السلام ١ .

ووقف على إقامة^٢ قبة المسجد الجامع بمصر ثمانون رجلا من أصحاب النبي عليه السلام ٢ .

[من دخل مصر من العلماء]

١ 'ودخل مصر' من العلماء الإمام الشافعي . سئل الأوزاعي : أيما أفضل * أنت أم الشافعي ؟ فقال : الشافعي أفضل . قيل له : أيما أفضل * ١٠ الشافعي أم مالك بن أنس ؟ فقال :

و ابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
يعني أن مالكا أفضل من الشافعي^٦ . وجد^٧ على حائط مسجد مكتوب

(١-١) في بن : صلى الله عليه وسلم .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصلاة والسلام .

(٤-٤) في بن : ودخلها .

(٥-٥) زبدت الجملة في بن ، وهي ساقطة من الأصل بر .

(٦) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : في استناد هذه الحكاية للأوزاعي نظر يعلم من تاريخ زيارة الشافعي وموت الأوزاعي ولعل السؤال لغيره .

(٧) في بن : و وجد .

[١٩٩ : الف] مناقب الشافعى وفضله ، فكتب تحته أحد المغاربة ،
و كيف لا يكون كذلك و هو تليذ ' لمالك ؟

و دخل مصر من العلماء الشعبى و ابن علىة و يزيد بن حبيب و الليث
ابن سعد ، وله مذهب منفرد ، و هو الذى أخرج ' هارون الرشيد من
ه يمينه التى عجز عنها ' فقهاء الدنيا ' . و ذلك أن الرشيد حلف أنه من
أهل الجنة ، فاستقى الفقهاء فى ذلك ، فكل توقف ولم يجبه ' بشىء
' تبرأ به يمينه ' . فأتاه الليث بن سعد و قال له : هل قدمت قط ٣ على
معصية و امتعت من فعلها ؟ قال الرشيد ٣ : نعم قدمت فى بعض الأيام
على معصية و نهيت نفسى عنها فلم أفعلها . ' قال : لم يقع ' عليك
١٠ حث . قال : بماذا ؟ قال : قال الله تعالى : " و أما من خاف من مقام
ربه و نهى النفس عن الهوى " فان الجنة هى الماوى ' . " . ففرح الرشيد
بذلك و شكره و وصله بصلته ' .

(١) فى بر : تليذا . و صحته فى بن كما أو ردناه بالنص .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) سافطة من بن .

(٤) زيد فى بن : فيه .

(٥) فى بن : يجب .

(٦-٦) سافطة من بن .

(٧-٧) عن بن ، و فى بر : فقال ليس وقع .

(٨) قرآن كريم : ٧٩ : ٤٠ - ٤١ .

(٩) فى بن : بصلة .

ودخل مصر من العلماء عبد الرحمن بن وهب إمام في الفقه
والحديث والأخبار . ودخلها ابن القاسم^١ وأشهب وابن عبد الحكم
وربيع المؤذن وأحمد بن محمد الطحاوي والمزني ، كل واحد منهم^٢
٣ قد برع في مذهبه ، ونجم على أهل عصره ، ولكل واحد^٣ من الكتب
المصنفة ما يعجز عن نظيره سائر أهل الدنيا .
٥

[من دخل مصر من الأولياء]

وكان بمصر من الأولياء والزهاد حياة^٤ بن شرح وسليمان بن
عمير وأبو الريع الزهراوي وأبو إدريس الخولاني وسعيد الأدي
وإبراهيم بن آدم ومنصور بن عمار والقاضي بكار^٥ بن قتيبة بن أسد
ابن أبي بردة بن عبيد الله بن بسر بن أبي بكرة نقيب بن الحارث مولى ١٠
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . وكان القاضي بكار من
البكائين التالين لكتاب الله سبحانه وتعالى ، وكان قاضيا بمصر ، فإذا
فرغ من الحكم خلا بنفسه ، وعرض على نفسه قصص جميع من تقدم
إليه وما حكم به وبكى . وكان كثير الوعظ للخصوم إذا أرادوا اليمين

(١) في بن : القسم .

(٢) زيد في بن : له .

(٣-٢) ساقطة من بن .

(٤) في بن : حيوة .

(٥) في هامش بر : القاضي بكار . وزيد في بن : وكنيته القاضي بكار
أبو بكرة وعو بكار .

يتلو عليهم قوله تعالى : ” إن الذين يشترون بعهد الله و إيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم “ . و كان يحاسب أمناه في كل وقت ويسأل عن الشهود في كل وقت . ولما كتب أمير المؤمنين جعفر ٥ المتوكل على الله ٦ إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد من ٣ الجزيرة المعروفة بالروضة ٣ [١٩٩ : ب] سنة سبع وأربعين و مائتين ، و كان الذي يتولى أمر المقياس النصارى ، ورد كتاب أبي جعفر إلى القاضي بكار بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار لذلك رجلا ٧ يقال له أبو الرداد ٨ ، و كان مؤذنا محدثا ، وأجرى عليه الرزق ، فاستمر ذلك ١٠ في ولده ، فصار العوام يقولون لمن يلى أمر المقياس من ذريته ابن أبي الرداد ٩ ، والله أعلم .

(١) قرآن كريم : ٣ : ٧٧ . وبآية في بن أخطاء لفظية مثل « يكلم » بدلا من « يكلمهم » و أيهم » بدلا من « أليم » .

(٢) الخليفة العباسى وحكه ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٣-٢) في بن : جزيرة الروضة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : رجل . وصحته في بن كما في النص .

(٦) في بن : ابوالرداء .

(٧) في الأصل : أبو . والكلمة مصححة إلى « أبي » بقلم أحدث ، والصواب

في بن وزيد فيها : أبي الرداد كذا قيل - والله تعالى أعلم .

[أحمد بن طولون والقاضي بكار]

وكان أحمد بن طولون^١ واليا على مصر من قبل خلفاء بني العباس، وكان كثير الصدقة والعفو عن المملوك والحلم على الجاهل^٢، وكان يعظم القاضي بكارا ويكرمه ويحيزه في كل سنة بألف دينار سوى الرزق الذي كان يتأوله على القضاء في كل شهر. فلما فسد ما بينهما قال له أحمد^٣ ابن طولون: أين جوائزك؟ قال: بحالها. فأرسل أحمد بن طولون إلى منزل^٤ بكار، فوجد فيه ستة عشر كيسا فيها ستة عشر ألف دينار بخواتم ابن طولون ما مسها^٥. و انتهى أمر ابن طولون إلى أن سجن القاضي بكار بسبب أن ابن طولون^٦ جمع الفقهاء على خلع الموفق طلحة^٦ لما ولي الخلافة إلا القاضي بكار، فانه لم يوافق على خلعهم. فلذلك سجنه ابن طولون، ١٠ وأخذ منه تلك الجوائز. ولما اعتل ابن طولون راسل بكارا^٧ وقال له:

(١) وحكمه ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م.

(٢-٢) ساقطة من بر، واردة في بن [١٤٤: ب].

(٣) زيد في بن: القاضي.

(٤) في بن: مساهما.

(٥-٥) نقلا عن بن، والعبارة في بر بها تكرار وخيل.

(٦) أبو أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله وكان في سنة ٢٥٨ هـ /

٨٧١ - ٨٧٢ م بدمشق.

(٧) في بن: القاضي بكار.

أنا أردك إلى منزلك^١ وأدفع عنك ما أردت منك . فقال القاضي بكار رسول ابن طولون : قل له شيخ فان^٢ ، وعليل مدنف ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عزّ وجأ . ٣ فلما عاد الرسول إليه قال له : ما قال لك القاضي بكار ؟ فذكر له ما قال ، فصار ابن طولون يقول : شيخ فان^٢ ، ه وعليل مدنف ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عزّ وجل . و يكرر^٣ هذا الكلام كالمتعظ بهذا القول لما انزعج وخاف منه ، فأمر بنقله إلى دار الكريت له . فلما توفي أحمد بن طولون لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين^٤ ، قيل للقاضي بكار : قد مات ابن طولون . ثم قيل له : انصرف إلى منزلك ، فأتى إلى منزله ، وأقام بكار بعد ابن طولون أربعين^٥ يوما ومات رحمه الله تعالى . وقبره بقراة مصر يعرف عنده بإجابة الدعاء . و كانت ولايته لقضاء مصر أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر وستة عشر يوما . وأقامت مصر بعده بغير قاض^٦ ثلاث سنين . ويقال إنه أحصى من قتله ابن طولون ومات بحبه فكان

(١) في بن : منزلتك .

(٢) في بر : فاني . وصحتها كما في بن والنص .

(٣-٣) في بن : فلما بلغ قوله ذلك ابن طولون كان يبكي ويكرر - الخ .

(٤) الموافق ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م .

(٥) في بر : أربعون . وصحته في بن كما في النص .

(٦) في الأصل بر : قاضي . وصحة الكلمة في بن كما أوردناها بالنص .

مبلغهم ثمانية عشر ألفاً .

وقيل : إن المزني ٢ أدى شهادة عند القاضي بكار ، فقال له القاضي بكار : من أنت ؟ قال : أنا المزني [٢٠٠ : الف] قال : أنت صاحب الشافعي ؟ قال : نعم . قال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال : هؤلاء الحاضرون ٣ . فشهدوا له فقبل القاضي شهادته من غير أن يكلفه لتزكية ه لأن طلب القاضي منه التزكية سقوط منزلته ٤ . فلما خرج من عنده قال : سترني القاضي ستره الله .

(١) زيد هنا في بن : قال بعضهم رأيت أحمد بن طولون في النوم بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : لما قبضت ساقني سائق عفيف فمرت على جهنم وقد فصعت أبوابها وارتفع دخانها فحُفَّتْ خوفاً شديداً وأيقنت بالهلاك وإذا بجارية طيبة الرائحة جميلة المنظر قد أتت إلىّ وهي تقول : لا تخف يا أحمد ! فإن الله سبحانه وتعالى وهبك ثم وقت بيني وبين النار ، ثم أبلت جارية أخرى فقالت : أبشر يا أحمد ثم زجرت النار عني فكف لهيبها ، فقلت للآولى : من أنت ؟ قالت : أنا عفوك عن المملوك وبجملتك على الجاهل ، وقلت للثانية : من أنت ؟ قالت : أنا صدقتك التي كنت تخفيها يميناً وشمالاً وصباحاً ومساءً ، ثم نادى مناد من تحت العرش : أدخلوه من باب المغفرة فأدخلت الجنة . فقلت له : فما هذه الكتابة التي ظهرت عليك ؟ فقلت : حيا عما كان (كذا في الأصل) .

(٢) و أيضاً في هامش بر : المزني .

(٣) في بر : الحاضرين . مصححة بقلم آخر وهي صحيحة في بن .

(٤) في بن : لمنزلته .

(هـ-هـ) العبارة ساقطة من بن .

و المزي هذا هو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن إسحاق، صاحب ١ الإمام الشافعي من أهل مصر، وكان ٢ عالماً زاهداً مجتهداً محباً غنياً ٣، وهو ٤ رئيس الشافعيين ٥ وأعلمهم بطرقه وفتاواه ٦ وما ينقله عنه، صنف كتباً كثيرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير ٧ و مختصر المختصر وغير ذلك ٨. وقال الشافعي في حقه: المزي ناصر مذهبي ٩. وكان المزي إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب فلي ركعتين شكراً لله ١٠.

[من دخل مصر من الأدباء]

ودخل مصر من الأدباء والشعراء نصيب وجليل بثينة وابن قيس ١٠ الرقيات ٦ والأحوص وأبو ذؤيب معلًا ٢ الطائي ٨ ودعبل الخزاعي ٩ وأبو صعصعة وأبو نجاد وكثير عزة وأبو نواس ٩.

(١) في بن: صاحب.

(٢-٣) في بن: زاهداً عالماً - وبقية الجملة مطموسة.

(٣-٤) في بن: إمام الشافعية.

(٤) عن بن، وفي بر: فتاويه.

(٥) زيد في بن: تعالى.

(٦) في بن: الرقيات.

(٧) في بن: ومعلًا.

(٨-٩) ورد الاسم في بن بعد أبي نجاد.

(٩) وردت هنا زيادة طويلة في بن [١٤٥: الف - ١٤٦: ب] وهي ساقطة =

قال أبو العباس: كان أبو محمد عبد السلام الملقب لديك الجن ماجنا خليعا عاكفا على اللهو والقصف مُتلفا لماله ، فلما قصد أبو نواس السفر من بغداد إلى مصر اجتاز بجمص ، فأتى إلى دار لديك الجن المذكور ٣ فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت الجارية: ليس هو هنا . فقال لها أبو نواس: قولي له اخرج فقد فتنت أهل العراق ٥

= من بر . وتشمل هذه الزيادة بعض قصص التيمين مثل قصة جميل وبتينة ثم قصة كثير وعزة ثم قصة قيس بن ذريح ولبنى كما وردت بها أيضا قصيدة في هجو الخليفة المأمون من دعل الخزاعي حيث يقول :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول نحوله واستنقذك من الحضيض الأوه

غير أن أكثر الأشعار الواردة في بقية القصص بها نقص وسقط وخيل في المعنى والميزان فأثرنا التجاوز عنها والبقاء على ما اكتفى به ناسخ بر .
(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) في بن [١٤٦ : ب] : وأما أبو نواس فانه لما قصد - النخ .

(٣) في بن : المشهور .

(٤) وردت هذه الحكاية بوفيات الأعيان (ج ١ ص ٤١٥) في ترجمة لديك الجن والأبيات كالآتي :

بها غير معدول فدأو تحارها وصل بمجالات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الوزر كل عظيمة اذا ذكرت خاف الحفيظان ناراها

وبقية الأبيات كما وردت في النص مع اختلاف لفظي طفيف مثل (قام تكاد الكأس) وكذلك (وظللتنا بأيدينا نتعنع روحنا) . لديك الجن
وند سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٥ هـ أو ٢٣٦ هـ أي ٧٧٧ - ٧٧٨ / ٨٤٩ - ٨٥١ م .

بقولك :

- موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده^١ فأدارها
 فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به فأضافه^٢ . وهذا البيت من
 جملة أبيات وهي :
- ه بها غير معدول فداو^٣ خمارها وصل بحالات الغبوق^٤ ابتكارها
 وقم أنت فاحث^٥ كأسها غير صاغر ولا تسقى إلا خمرها وعقارها
 فقام يكاد الكأس يحرق كفه من الشمس أو من رجتيه استعارها
 ظلنا بأيدينا نتنع رُوحنا^٦ فتأخذ من أقدامنا الروح فارها
 موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
 ١٠ [٢٠٠ : ب] قشيه^٧ الساق بالظي لحسن لفته و تكحيل مقلته .

[الاصمعي والاعرابي و خبر ظيبتين]

٨ وسأذكر هنا^٨ خبر ظيبتين أصيدتا^٩ بالسعي على القدمين لا يبازين
 ولا بكبين . وهو ما ذكره الاصمعي قال : حدثنا بعض مشايخنا قال :

- (١) عن بن ، وفي بر : خدها .
 (٢) في بن : وأضاه .
 (٣) في بن : فداوى والكلمة في ابن خلكان : فداو .
 (٤) في بن : البروق .
 (٥) في الأصل : فاحث (٦) في بن : روحها .
 (٧) في بن : قشيه .
 (٨-٨) في بن : فلنذكر الآن - وبهامش بر : نكتة حسنة .
 (٩) في بن : اصطيدتا .

خرجنا إلى بعض المنازل، فاذا نحن بأعرابي قد أقبل ومعه ظيعة له فقال:
 بكم تتباعونها مني؟ قلنا: بكذا. قال: بل بكذا. فوافقناه من ثمنها
 على ستة دراهم، ثم نظرنا فاذا ليس بها أثر صيد، وكأنا اتهمناه أنه
 سرقها من بعض البيوت، فقلنا: يا أعرابي والله ما نرى بها أثرا،
 ولا نرى معك كلابا ولا جوارح، فنقول إنك اصطدتها بها، وكأنك
 أرسخت التهمة في قلوبنا، إنك سرقها من بعض البيوت. قال: لا والله
 يا بني عم ما سرقها. ولكني سعت عليها بأقدامي فصدتها يدي،
 فهل لكم أن تتابعوا مني غيرها؟ قال فنظر بعضنا إلى بعض وقلنا: والله
 ما نظرنا منظرا أحسن من هذا. فضى بنا إلى أكمة، ثم أشرف منها
 على قطيع من ظباء^٦. فاذا فيها ظيعة جاء، فقال: اختاروا أيها^٧ شتم. ١٠
 قلنا: الجاء. قال: والله لقد اخترتموها أوسعها منخرا وأرحبها جوفاً،
 فبكم^٨ تتابعونها مني؟ قلنا: بعشرة دراهم. قال: فاجمعوا العشرة في

(١) في بن: وكأنا.

(٢) في بن: من أثر.

(٣) في بن: اصطتها.

(٤-٤) مطموسة في بن.

(٥) في بن: عمي.

(٦) في بن: الطبي.

(٧) في بن: أيهم، صححت بقلم آخر وهي كذا في بن.

(٨) في بن: أنبكم.

كف رجل منكم . ففعلنا ، فلما نظر إليها أخرج إزارا له ١ فأتزر به ، ثم أرسل نفسه ١ كأنه البرق الخاطف ، ثم لم تر شيئا ١ ثم إذا نحن به قد أقبل بالظية وهي تضغوا ٢ وهو يقول :

كيف ترى الجماء تزوى جدها تروم شدى وأروم شدها
لا تعد من شد غلام ردها

٥

هلم ٣ العشرة دراهم . ثم قال : أتعجبون ؟ والله ما ضمت البيداء ولا حوت
الآخية أيسر ولا أغنى منى لاصطيادى للظباء ٤ ، ويعى لها على رؤس
الملاء . قال ففجئنا من صيده للغزلان على أقدامه ٥ وسعيه خلفها برجليه
٥ وقبضه عليها يديه ٥ . وكذلك كان يصطاد بحريه المهامة ٦ . والمهامة بقرة
١٠ الوحش ، وقد شبت المرأة بالمهامة ، أى كأنها مثلها وحشية لنفارها
بسبب صياتها ١٠ قال الشاعر :

أردنا أن نصيد به ٧ مهامة فقطعت الجبال والجبالا

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : تصغوا . [بن ١٤٧ : الف] .

(٣) فى بن : فلم .

(٤) فى بن : قدميه .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : المهامة .

(٧-٧) عن بن ، وفى بر : نصيب بها .

[أفصح من سبحان وائل وأعيان من باقل]

و سأذكر ما قيل في باقل وظيته، وذلك أن باقل كان رجلا من العرب معروفا بالمعنى. اشترى ظية بأحد عشر درهما وجاء بها [٢٠١: الف] إلى أمه. فسأله عن ثمنها، فثمن يديه، و فرق بين أصابعه وأخرج لسانه، وخلا عن الظية، فهربت بسبب فعله ذلك يريد أحد عشر درهما. فضربت العرب به المثل فقالوا: أفصح من سبحان وائل وأعيان من باقل.

سبحان وائل اسمه زفر الوائلي يقال إنه وفد إلى أمير المؤمنين معاوية ابن أبي يوسف (كذا) فدخل عليه وعندده خطباء القبائل فلما رآه خرجوا عليهم بقصورهم عنه، فقال سبحان: لقد علم الحى اليمانيون أننى إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

- (١) فى بن: فلذكر أيضا.
- (٢) فى بن: بالسعى وفى بن: بالمعنى. وهو خطأ نفسى واضح فى كليهما.
- (٣) فى بن: فنشر.
- (٤) فى بن: وخرج.
- (٥) فى بن: وخلق.
- (٦) فى بن: ففرت.
- (٧) فى بن: عشرى.
- (٨-٨) واردة فى بن، وساقطة من بر.

(٩) ازبدي بن: انتهى. - وقد أسقطنا الكلمة لنقل عن بن [١٤٧: الف - ١٤٨: ألف] نسباً مطولاً بدأ بالكلام عن سبحان ثم انتهى عند استئناف الحديث فى بن عن مسكين الدارمي - وهذا الاسم برمته ساقط من بر وقد آثرنا إيراداً فى النص لاحتوائه مادة لها طابعها التاريخي.

فقال معاوية : أخطب . فقال : انظروا لى عصا أقيم بها من أودى .
 قالوا : ما تصنع بالعصا ، إنا بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع
 بها موسى وهو يخاطب ربه عز وجل ؟ وأخذها وتكلم من الظهر إلى
 أن قارب العصر ما يتحنح ولا ابتداء فى معنى فخرج منه وقد تعثرت
 عليه بقية . فقال معاوية : الصلاة . فقال سبحان : إن الصلاة أمامك ٢٠٠٠ .
 فى تحميد وتمجيد ، وعظة وتذكير ووعيد ووعيد . فقال معاوية : أنت
 أخطب العرب . فقال : العرب وحدها ، بل أخطب الجن والإنس .
 قال معاوية : كذلك أنت . وتوفى سنة أربع ٣ وخمسين من الهجرة -
 رحمه الله تعالى .

١٠ [من أخبار الامويين الأول وبعض الصحابة]

وكان صخر بن حرب الاموى أبو معاوية لم يزل على "شرك يقود
 الجيوش لقتال النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن أسلم يوم فتح مكة ،
 وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه وشهد اليرموك تحت راية
 ابنه يزيد ، وبنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتوفى
 ١٥ عليه السلام وأبو سفيان عامله على نجران . وكان أبو سفيان من أشرف
 قريش وشهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورمى يوم
 ذلك بهم فذهبت عينه الواحدة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
 (١) فى الأصل : معاوية .

(٢) هنا كلمة مطموسة جزئيا وجاءت قراءتها « المنا » أو « السنا » أو « العنا »
 ويصعب استقامة السياق بأياها فأثر ترك مكانها بياضا بالنص .

(٣) فى الأصل « أربع » - نقطة ، والمعروف أن سبحان توفى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م
 فأدخلناها فى النص . (٤) فى الأصل : سفين .

و عينه في يده: أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك؟ فقال: بل عين في الجنة. ورمى بها إلى الأرض، وأصابت عينه الأخرى يوم اليرموك. وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية ذهب وزنها له بلال، وأعطى ابنه معاوية مثل ذلك. فقال أبو سفيان^١: فأنك لكريم فذاك أبي وأمي لقد هـ حاربك ففعم المحارب كنت، ثم سالتك ففعم المالم كنت جزاك الله خيرا. وقال ثابت البناني: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان^٢ فهو آمن" لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أودى بمكة دخل دار أبي سفيان^٣ فأمن. وكان أبو سفيان قاضي الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول: الله! الله! ١٠ عباد الله! انصروا الله ينصركم، اللهم أنزل ضررك على عبادك، يا نصر الله اقرب، يا نصر الله اقرب. وتوفي (و) سنة ٣ بضع وتسعون سنة، [ن ١٤٧: ب] وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان أسلت قديما وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتصّر زوجها هناك و بقيت هي على دين الإسلام، ومات زوجها هنالك، فلما تأيمت^٤ من ١٥ زوجها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة أن يزوجه إياها فزوجه إياها وبعث بها إليه. و قيل: إن النجاشي أنقدها من ماله ثلاثمائة دينار وبعث بها إلى النبي

(١) في الأصل: معاوية. (٢) في الأصل: سفين.

(٣) واو المطف ساقطة من الأصل و لزومها واضح.

(٤) بمعنى أنها مكثت زمانا بدون زوج.

صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة . و يروى أنه لما جاء أبوها
عام الفج إلى المدينة وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد في
هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فدخل
على ابنته أم حبيبة ! فثنت عنه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال لها : والله يا بنية ! ما أدري أرغبت بهذا الفراش أم بي عنه ؟ فقالت :
بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس . فقال :
والله يا بنية ! لقد لقيت بعدى شراً . وكانت هذه أم حبيبة من العابدات
الورعات رضى الله تعالى عنها . قالت عائشة رضى الله عنها : دعنى أم حبيبة^٢
عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله
١٠ لى ولك ما كان من ذلك كله ويتجاوز^٣ عنك ويحالك^٤ من ذلك . فقالت :

سررتين^٥ أسرك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك . وتوفيت
في ثالث عشر المحرم . وأما عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى فإنه أسلم
قديماً على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وهاجر إلى الحبشة وإلى
المدينة وأخيه^٦ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع
١٥ وشهد بدرا وما بعدها ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد
الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى . قال معمر
عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشطر ماله فكان أربعة آلاف درهم . ثم تصدق بأربعين ألف
دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راجلة في سبيل الله

(١) في الأصل : لقيتى . (٢) في الأصل : حبيب (٣) في الأصل : يجاوز .

(٤) في الأصل : وحالك . (٥) في الأصل : سررتين . (٦) في الأصل : وأخاه .

(٧) في الأصل : له .

وكان عامة ماله من التجارة. وقال الإمام ابن حنبل في مسنده قال ينها عائشة رضي الله تعالى عنها في يبتها إذ سمعت رجّة في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالت: قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء. وكانت سبعائة بعير، فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة جواً، فبلغ ذلك ٥ عبد الرحمن فقال: إن استطعت لادخلها قائماً. فجعلها بأقباها وأحمالها في سبيل الله. ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار و كانوا مائة نفر حتى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير. وكانت عائشة تقول: سقاه الله من السليل. وأعتق جميع عياله ثم ترك بعد ذلك ١٠ مالا جزيلا وذلك ذهب قطع بالفؤس حتى كلفت أيدي الرجال. وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة. وكنّ نساؤه أربعاً ففصلحت إحداهن عن ربع الثمن بثمانين ألف دينار، ولما مات صلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبيع عن خمس وسبعين سنة. وكان عبد الرحمن بن عوف أبيض مشرباً ١٥ بحمرة حسن الوجه رقيق البشرة أعين [ب ١٤٨: ألف] أهدب أشفار العينين لا يغير شيبه - رضي الله تعالى عنه.

وكان عقيق بن أبي طالب أحسن ولد أبي طالب بعد طالب. وكان بينه وبين طالب عشر سنين. ثم بينه وبين جعفر بن أبي طالب عشر سنين، ثم بين جعفر وبين علي بن أبي طالب عشر سنين. وكان ٢٠

(١) في الأصل: عثمان. (٢) في الأصل: أربع.

أصفرهم سناً وأقدمهم إسلاماً . خرج عقيل يوم وقعة بدر مع المشركين
مُكرِّهاً فشهدوها وأسر فقدها عمه "عباس" ثم أتى مسلماً قبل وقعة الخديبية
وشهد غزوة موتة . وكان عقيل بن أبي طالب أنسب قريش وأعلمهم
بآبائهم ، ولكنه كان مبغضاً إليهم لأنه كان يعدّ مساوئهم ، وكان له
دار بالمدينة المذكورة ، وكان له طفلة تطرح في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلون عليها ، ويجمع إليه في علم النسب وأيام
العرب ، وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم
في ذلك ، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عندهم في علم نسب أربعة :
عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وأبو جهم بن حذيفة وحويطب بن
عبد العزى وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش فدعوه لذلك وقالوا فيه
الباطل ونسبوه إلى الحق واختلقوا عليه أحاديث مزورة . وكان مما اعلمهم
عليه مغاضبته لأخيه عليّ وخروجه إلى معاوية وإقامته عنده بدمشق ،
وقال معاوية ٣ يوماً بحضرته : هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من
أخيه عليّ لما أقام عندنا وتركه . فقال عقيل : أخى خير لى في دى
١٥ وأنت خير لى في دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله خاتمة خير .
وكان عقيل لما التحق بمعاوية بالغ معاوية في بره وإكرامه إرغاماً لعل
ابن أبي طالب . فلما قتل عليّ وأستقل معاوية بالامر ثقل عليه أمر عقيل
فكان يسمعه ما يذكره لينصرف عنه ، فبينما هو فى مجلس حفص بأعيان
الشام إذا قال معاوية ٢ : أتعرفون أيألهب الذى أنزل الله فى حقه "تبت
٢٠ يداى أنى لهب" من هو ؟ فقال أهل الشام : لا ! فقال : هو عم هذا

(١) فى لأصل : الذى . (٢) فى الأصل : عبد القوى . (٣) فى الأصل : معاوية .

وأشار إلى عقيل . فقال : عقيل : أتعرفون امرأته التي قال الله تعالى في حقها " و امرأته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد " . فقالوا : لا ! قال : هي عمه هذا . وأشار إلى معارية ١ ، وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية - انتهى ٢ .

٥ [خبر مسكين الدارمي]

فلنذكر الآن خبر مسكين الدرمي ٣ مع بعض التجار بأكساد بضاعته ٤ . وذلك أن بعض التجار قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حل من لحمر السود فلم يجد لها طاباً فكسدت عليه وضاق صدره ، فقيل له ما ينفعها لك إلا مسكين الدارمي وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة ، فقصده فوجده قد تزهد^٥ وانقطع في ١٠ المسجد ، فقص عليه القصة فقال : وكيف أعمل^٦ . أنا قد تركت الشعر وانعكفت على هذا الحال ؟ فقال له التاجر : أنا رجل غريب وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول . وعمل هذين البيتين وأشهرهما وهما :

(١) الأصل : معوية .

(٢) هنا ينتهي القسم المستخرج من بن ، ويبدأ بعدئذ استئناف الكلام من بر [٢٠١ : الف] .

(٣-٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٤) في بن : تنزه .

(٥) في بن : أصنع .

قل للليحة في الخمار الأسود ماذا أردت بناسك متعبد
 قد كان شمر للصلاة إزاره حتى وقفت له يباب المسجد
 فشاع بين الناس أن 'مسكينا الدارمي قد رجع' إلى ما كان عليه
 وأحب واحدة ذات خمار أسود، فباع التاجر الحمل الذي كان معه
 ه بأضعاف ثمنه لكثرة رغباتهن فيه : فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده
 و انقطاعه .

١ و مسكين الدارمي إسمه ربيعة و لقب بمسكين لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرقي جد نطق
 لا أبيع الناس عرضي لو أيسع الناس عرضي مانق
 ١٠ و إذا الفاحش لاقى ٣ فاحشا فهناك وافق شر الطبق
 إنما الفحش و من يعنى به كغراب الشر ما شاء نطق
 أو حمار السوء إن أشبعته رمح الناس و إن جاء نهق
 [بن ٤٨ : ب] أو غلام السود إن جوعته سرق الناس و أن يشبع فسق
 أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق ٢

١٥ و من شعر تنوخى في الخمار المذهب :

قل للليحة في الخمار المذهب أفدت نسك أختي المترب
 نور الخمر و نور خدك تحته عجا لوجهك كيف لم يتذهب
 و جمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيهما ٥ من مذهب

(١-١) في بن [١٢٨ : اف] : مسكينا عاد .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد في بن [١٤٨ : الف - ب] .

(٣) في الأصل : لاف . (٤) في الأصل : التقا .

(٥) في بن : مذهبيهما .

و إذا أنت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي
من أحسن ما سمعت^١ في هذا المعنى لبعض الشعراء:

لها في سماء الوجه سبع كواكب من الحسن حراس على كل مرقب
فان رام إنسان ليسرق نظرة كلمحة برق أحرقته بكوكب

[من أخبار القاضي التنوخي] هـ

^١ قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في تاريخه^٢: و كان
القاضي أبو علي التنوخي من أعيان أهل العلم و الأدب و أفراد الكرم
و حسن الشيم و كان كأقرانه في فضل صاحب بن عباد إن [٢٠١: ب]
أردت فبيحة ناسك ، و إن أحببت^٣ قفاحة فأتك ، و إن اقترحت^٤
فدرعة راهب . و كان تقلد قضاء البصرة و الأهواز بضع سنين ،^٥
و كان هـ الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه و يتعصبون له
و يعدونه ريحانة الدماء و تاريخ الظرفاء ، و كان من جملة الفقهاء و القضاة ،
الذين ينادمون الوزير المهلبى و يجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على

(١) في بن: قيل .

(٢-٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن: أردت .

(٤) في بن: افتخرت .

(٥) في بن: فكان .

(٦) ساقطة من برو واردة في بن .

اضراح الحشمة والبسط في القصف والخلاعة، وهم القاضي أبو بكر بن
 قريعة وابن معروف والتوخى المذكور^١ وغيرهم وما منهم إلا أيض
 اللحية طولها، وكان كذلك الوزير المهلبى. فاذا تكامل الأنس،
 وطاب المجلس، ولذ السمع، وأخذ الطرب منهم مأخذه، وخلعوا
 ه ثوب^٢ الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش^٣،
 وضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب زنته ألف مثقال مملوءا شرابا
 عتيقا قطربيا أو عكبريا^٤ ممزوجا بالسكر الطبرزد، فيغمس كل واحد
 منهم لحيته فيه وينقعها حتى تشرب ويرش بها بعضهم بعضا، ويرقصون
 بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخائق المثور، فاذا أصبحوا^٥ عادوا
 ١٠ كهبتهم^٦ في التوقر والتحفظ بأبهة^٧ القضاء وحشمة المشايخ الكبراء.
 قال السرى الموصلى فيهم:

بجالس ترقص القضاء بها إذا انتشوا في مخارق البرم^٨

(١) - ساقطة من بن .

(٢) في بن : اثواب - أو : أبواب .

(٣) في بن : والطين، والصواب بهامشه .

(٤) في بن : عكريا .

(٥) في الأصلين : ممزوج .

(٦) - ساقطة من بن، واردة في بن .

(٧) في بن : كهبتاتهم .

(٨) عن بن ، وفي بن : بأبهة .

(٩ - ٩) - ساقطة من بن، واردة في بن .

١ من صاحب يخطط المجنون لنا نصيه خلوة من الغنم
يختب الراح شيه عشا حتى يرى مثل حمرة الغنم
وقد ذكر ابن الريب في تاريخه أن هؤلاء المشايخ يعرفون بشيوخ
الهرهرة ، فانهم كانوا إذا طربوا يقولون هرهر . وكان منهم أبو الفرج
الاصبهاني صاحب كتاب الأغاني و ابن حجاج الشاعر المختب ببغداد ٥
و من شعر التوخي أيضا قوله :

و راح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نهار
كأن المدير لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين له ٣ فردكم ٣ من الجنار
و مما قاله يزيد بن معاوية في الخمر :

١٠ مدام كثر في إناء كفضة وساق كبدر والندامى كأجم
لها حب من فوق شباك ثؤلؤ كنقشة دينار على دور درهم
نشير إليها بالبنان كأنما نشير إلى تيت العتيق المحرم
فان حرمت يوما على دين أحمد نخذها على دين المسيح بن مريم
و بعضهم فيها* :

١٥

- (١-١) ساقطة من بر . و واردة في بن .
(٢) في بن : تذرح .
(٣-٣) في الأصل بر : فن دكم . و هو في بن مع مطابقتها على ما ورد بوفيات
الأعيان كما في النص .
(٤) في الأصلين : و النداما . (٥) في بن : في الخمر .

أسقياني حتى أموت مكانى وادفني في طين روس الدنانى^١
واكتبوا من دمي على لوح قبرى رحم الله ميتا سكران
[٢٠٢: الف] فأنظر إلى هذا التغالى في الخمر المحرمة . فلو كانت حلالا
ما تغالوا فيها هذا التغالى ، ولكن لما منعوا منها تولعوا بها كما
٥ قال بعضهم :

منعت شيئا فأكثرت الولوع به أحب شيء على الإنسان ما منعنا
وسأنى ما قاله الشعراء فيها من الشعر و امتحان بعضهم بها و تهاقهم
عليها و ما قاله صاحب كتاب زهر القريش فى الحشيش . انتهى ٢ .

[من دخل مصر من الحكماء]

١٠ و دخل مصر من الحكماء اءثيمون و فيثاغورس^٣ تلامذة
هرمس الحكيم ، لهم من العلوم صناعة الكيمياء . قال بعضهم فى محبوه
المتولع بصنعة الكيمياء :

تعلمت علم الكيمياء^٤ لجه بحسمى ماء أضخى بعينه من سقم
أخذت قراع الحب لطفت نارها وركبت إنيق الغرام على رسم
١٥ فصعدت أنفاسى و قُصرت أدمعى فصح من التدبير تصفيرة الجسم^٥
انتهى .

(١) فى بن : الدنان .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن [١٤٩ : الف] : فيثاغورت .

(٤-٤) فى بن : نظمت .

(٥) فى بن : لجسم .

ولهم أعنى الثلاثة الحكماء من العلوم أيضا النجوم و السحر و علم
الروحانيات و البراق و الطلسمات و أسرار الطبيعة و أحضار الجن
بالمنازل المنصوبة ١ .

[بعض ما قيل في الجن و الشياطين]

- ٢ و سأذكر هنا ٢ ما قيل في الجن و الشياطين و إبليس و عرشه ٥
و شعره إن شاء الله تعالى . عن عبد الله بن عباس قال : سمعت علي بن
أبي طالب يقول : خلق الله الجان من نار السموم و خلق من جنبه زوجته
الجنية ، فغشيها فباضت إحدى و عشرين بيضة ، فحضت واحدة فخرجت
منها قطربة فهي أم القطارب . و قالت : يا قطربة . قالت : إيه . قالت :
احضني هذا البيض . قالت : لذلك خلقت . فحملت خمسا فحضت عليها ١٠
بجناحها بين مسقط عين الشمس و مطلع سهيل ، فخرجت منها أمة من
الجن يقال لها الرهارس ٣ ، ثم حملت خمسا فحضت عليها بين مسقط
سهيل و مطلع عين الشمس يقال لها النهارس . و حضت خمسة ٤ في
البر فخرجت منها أمة يقال لها التكابر ، و حضت خمسة في البحر يقال لها ٥

(١) في هامش بن : الجن و الشياطين .

(٢-٢) في بن : فلنذكر الآن .

(٣) في بن : النهارس .

(٤) في بن : خمسا .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

التكاثر . فسل عن الجن فقال : كانوا قبل الجن أظهروا غرورا فسلط الله عليهم الملائكة فأبادتهم إلا الأقل . وسألت ' غفعفان نسابة الجن : هل تحفظ لأبليس شعرا ؟ فأنشدت :

لماذا ' سلامة من أضحت مُطَيِّبة ٣ موقوفة بين أهل ' الحرص والحد

ه فأوحشت جنة الفردوس من شبهى وأوحش الخلد منى آخر الأبد

٢٠٢/ ب / ياليتنى قبل إدبارى بمصيتى كنت النسي خلال الروح والجسد

* و كان عبد الله بن عباس راوى هذا الخبر قد شاب مقدم رأسه

وشابت لفته ، و كان جسيما إذا قعد أخذ مكان رجلين ، و كان جميل

الوجه له وفرة تخضب بالحناء ، و قيل لسواد حسن الوجه يلبس ملبوسا

١٠ حنا و يكثر من الطيب بحيث أنه كان إذا مرّ في الطريق تقول النساء

هذا ابن عباس جاز . ولما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . و يروى أنه

رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم (قال) : أرايته ؟ قال : نعم !

قال : ذاك جبريل أما أنت ستفقد بصرك . وفي ذلك تقول :

إن يأخذ الله من عيني نورهما فنى لسانى وقلبي منهما نوره

١٥ قال قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل وفى فى صارم كالسيف مأثوره ٦

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : لا .

(٣) فى بن : مطيته .

(٤) فى بن : هذا .

(٥) هذا القسم قلاع بن ، وهو ساقط من بر الى « قال صاحب كتاب العجائب » .

(٦) فى الأصل : مأثور - و تقتضى القافية اضافة الهاء .

ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل . قال عكرمة: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش غفرت به لكان لما غفرا . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستائة وستين^١ حديثاً . عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيته قلت أحلم الناس ، وإذا تكلم قلت أفصح الناس ، وإذا حدث ه قلت أعلم الناس . ولما وضع في نعشه ليصلى عليه رأى ابن مهران ظئراً أبيض وقع على اكفانه ، ثم أدخل القبر فالتمس فلم يوجد ، فلما سوي عليه التراب سمعنا من سمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ: ” أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في [بن ١٤٩ : ب] عبادى وادخلي جنتى ٣ “ - انتهى .

١٠

فلنذكر الآن ما قاله^٢ صاحب كتاب العجائب: زعموا أن في البحر الأخضر عرش إبليس يحمله نفر من الأباليس^٣ والعفاريت العظام . ويحيط به سائر أصناف الجن ، فمنهم من لا يفارقه من حجابيه ونوابه^٤ ،

(١) في الأصل: جميعاً .

(٢) في الأصل: وستون .

(٣) قرآن كريم ٨٩: ٢٧ - ٣٠ .

(٤) هنا ينتهي القسم المأخوذ عن بن والساقط من بر وفيه يبدأ الكلام بلفظة « قال » استبدلناها بلفظة « قاله » من بن لربط الجملة بما سبقها .

(٥) في بن [١٤٩ : ب] : الأبالس . وبهامش بر: مكان عرش إبليس .

(٦) في بن: وخدمه .

ومنهم من يتصرف بأمره في فتنة الناس و كيدهم و تضليلهم ،
 وله جزيرة اتخذها سجنا لمن يخالف من الجن أمره . ولما حشرت الجن
 والشياطين لسلطان عليه السلام أقبلوا يقولون : ليك ! ليك ! فجعل
 ينظر إلى اختلاف صورهم ، ففهم صفر و شقر و بيض و بلق ،
 هـ و منهم ' ما هو على صورة الخيل و البغال و الحمير و المواشي و الوحوش
 و السباع و الكلاب ، فلما نظرت إليه الجن خرت ساجدة ، فختم سليمان^٢
 على أعناق الجن بخاتمه و فرّقهم إلى مساكنهم ، و صفّد مرّدتهم بالحديد
 و فرّقهم في الأعمال المختلفة من قطع الأشجار و الصخور و بناء القرى
 و المدن و الحصون ، و أمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم و الشعر و القطن
 ١٠ و نسج البُسُط و التصاوير و التماثيل ، و أمرهم باتخاذ القدور الراسيات
 و الجفان التي هي كالجوابي يأكل من كل قدر ألف إنسان . و اشتغل طائفة
 منهم بالغوص في البحر و إخراج الأصداف و الجواهر ، و أمر بعضهم
 بحفر الأنهار و الآبار و بعضهم بإخراج الكنوز من تحت الأرض .
 و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر مطابخ سليمان و موائده^٣ وصفة
 ١٥ كرسيه^٢ - ان شاء الله تعالى .

[خبر أمية بن أبي الصلت و الساحرة]

فلنذكر الآن خبر أمية بن أبي الصلت الثقي مع العجوز الساحرة^٥ ،

- (١) في بن : و منها (٢) في بن : سليمان .
- (٣-٣) ساقطة من بر ، و واردة في بن .
- (٤) ساقطة من الأصليين ، و أمية بن أبي الصلت شاعر مرهوق من بني قيف .
- (٥) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر . وفي هامش بر : قصة العجوز الجنية .

وهو أنه خرج الى الشام في قمر من ثقيف وقرش وغيرهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ، فخصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت . وشدوا سفرتهم ثم قاموا فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرقت عليهم عجوز من كيب رمل متوكة على عصا لها فقالت : ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : وما أنت ؟ قالت : أم العوام أريمت ٣ منه منذ أعوام أوما ورب العباد لتفرقن في البلاد . ثم ضربت بعصاها الأرض فأثارت بها الرمل وقالت : أطيلي إياهم ، و نفرى ركا بهم [٣٠٣ : الف] فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير شيطانا ما نملك منها شيئا حتى تفرقت في الوادي . فجمعناها من آخر النهار إلى ما غد ولم نكد بجمعها ، فلما أنخناها لترحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعلها أولا وعادت لمقاتلتها الأولى ، فخرجت الإبل ما نملك منها شيئا فجمعناها من غد . فلما أنخناها لترحلها فعلت مثل فعلتها في الأولى وثانية ففترت الإبل وأمسينا في ليلة مقمرة

(١) في بن : اشرقت .

(٢) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٣) و بن : أونمت .

(٤) في بن : شيطان .

(٥) في بن : من .

(٦-٦) ساقطة من بن .

وَيَقْسِنَا مِنْ ظَهْرِنَا^١ . فَقَلْبًا لَامِيَةً بِنِ أَيْ^٢ الصَّلَتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تَخْبِرُنَا بِهِ عَنْ
نَفْسِكَ ؟ فَتَوَجَّهَ إِلَى ذَلِكَ الْكَتِيبِ لِذِي تَأْتَى فِيهِ مِنْهُ . الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ
مِنْ فَاحِجَةٍ أُخْرَى . ثُمَّ صَعِدَ كَثِيثًا آخَرَ حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ ، ثُمَّ رَفَعَتْ لَهُ
كَنِيسَةً فِيهَا قَنَادِيلُ . وَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَجِعٌ مُعْبِرُضٌ عَلَى بَابِهَا ، وَإِذَا رَجُلٌ
جَالِسٌ أَيْضًا^٣ الرُّأْسِ وَاللِّحْيَةِ^٤ . قَالَ أُمِيَّةٌ : فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ رَفَعَ
رَأْسَهُ فَقَالَ : إِنَّكَ لِمَتَبُوعٌ^٥ . قُلْتُ : أَجَلُ . قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ صَاحِبُكَ ؟
قُلْتُ : مِنْ أَذْنَى الْيَسْرِى . قَالَ : فَأَيُّ الثِّيَابِ يَأْمُرُكَ ؟ قُلْتُ : بِالسَّوَادِ^٦ .
قَالَ : هَذَا خُطْبُ الْجَنِّ كَدْتُ وَلَمْ تَفْعَلْ وَلَكِنْ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ تَكَلَّمَهُ
فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَحَبُّ ثِيَابٍ إِلَيْهِ الْبَيَاضُ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ فَخَدَّثْتُهُ حَدِيثَ
الْعَجُوزِ فَقَالَ : صَدَقْتَ وَلَيْسَتْ بِصَادِقَةٍ ، هِيَ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ زَوْجُهَا
مِنذُ أَعْوَامَ ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكُمْ حَتَّى تَهْلِكَكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَتْ .
قَالَ أُمِيَّةٌ : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فَقَالَ^٧ : اجْمَعُوا ظَهْرَكُمْ فَإِذَا جَاءَتْكُمْ فَفَعَلْتُ كَمَا كَانَتْ
تَفْعَلُ فَقُولُوا لَهَا سَبْعًا مِنْ أَسْفَرٍ^٨ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، . فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَلَمْ تَضُرَّعُمْ . فَلَمَّا
رَأَتْ الْعَجُوزُ الْإِبِلَ لَا تَتَحَرَّكُ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ صَاحِبَكُمْ لَيْسَ بَيَّضُ أَعْلَاهُ
وَلَيْسَ سَوْدٌ أَسْفَلُهُ . وَسَارُوا ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُمُ الصُّبْحُ نَظَرُوا إِلَى أُمِيَّةٍ وَقَدْ تَبَرَّصَ

(١) فِي بَرٍّ : ظَهَرْنَا ، وَالْأَصَحُّ فِي بَنٍ كَمَا أوردناه في النص .

(٢) سَائِقَةٌ مِنَ الْأَصْلِينَ . رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ ٤ ص ٣٠٨ .

(٣-٤) فِي بَنٍ : اللِّحْيَةُ وَالرُّأْسُ .

(٥) فِي بَنٍ : مَتَبُوعٌ .

(٦) فِي بَنٍ : السَّوَادُ .

(٧) عَنْ بَنٍ [١٥٠ : ٩] ، وَفِي بَرٍّ : قَالَ .

في عذاريه ورقبه و صدره و ايود أسفله ١ - انتهى .

[سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر]

نعود إلى ذكر ٢ الحكماء . و من حكماء مصر ٢ سقراط صاحب الحكمة ،

و منهم أفلاطون صاحب السياسة و النواميس ، و كان أرسطاطاليس

معلم لإسكندرية أحد تلامذته . ٣ و منهم أرسطاطاليس صاحب المنطق ٥

و الآثار العلوية و الحس و المحسوس و الكون و الفساد . ٣ و منهم

بطليموس الصعدي صاحب الرصد و المساحة و الحساب و تركيب

الأفلاك و حركة الشمس و القمر [٢٠٣ : ب] و الكواكب المتحركة

و الثابتة و صور تلك البروج و كتاب جغرافيا في مساحة الأرض و أقاليمها

و البحار و ألوانها و الأنهار و العيون ٥ و بتدائها و انتهاؤها ٥ و صفة الأمم ١٠

(١) زيد في بن عبارة بعضها غير واضح لا يؤدي معنى وهي : ابكرحو من

الأولاد ، و أقدم العالم في البلاد ، عمرك ممدود إلى التناد ، فخرتنا بمحدث عاد ،

و مبتدأ و رعون ذو الأوتاد ، يحوز عظمة الأكباد . قد سحرت أمية في الواد ،

و برصه و أثر السواد . لعنت لعنا يشبه الحداد ، و صيرت في خزي و أنكاد ،

ملعونة بالسنة العباد .

(٢-٢) في بن : من كان بمصر من الحكماء منهم .

(٣-٣) كذا في بروهي ساقطة من بن . و الجملة في مجموعها بحاجة إلى تعديل

و لكن تركناها كما هي في النص ، و ربما كان الأصح فيها نقل « أحد تلامذته »

إلى ما قبل بطليموس و حذف « و منهم أرسطاطاليس » زائدة .

(٤) مكررة في بن .

(٥-٥) في الأصلين : و ابتدائها و انتيائها .

الذين يعمرن وجه الأرض وأن المعمور في الأرض أقل من الثلث وأكثر من الربع، فأما الذي لا يعمر من الأرض ولا يكون فيه حيوان ولا نبات فهو ما كان من الجنوب عرضه عن خط الاستواء تسع عشرة درجة ٢، لأن الشمس إذا صارت في السبلة في خمس درجات ٣ إلى أن تبلغ خمس درجات ٣ من الحوت قربت منه وثبتت عليه فأحرقت كل شيء. وكذلك كل ما كان في الشمال بعده عن مدار رأس السرطان تسعون درجة لأن الشمس إذا صارت إلى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستة أشهر، فتعقد البخارات هناك ولا ترتفع، فلا يكون هناك حيوان ولا نبات، وفي نهاية العمران من خلف معدل النهار في الجنوب المسمى بمين معدل النهار عن المواضع المتساوية ١٠ الأبعاد تكون الحيوانات الشاذة الخلق العجيبة التركيب كالقيلة والطير.

قال رجب من قریش: كنت على ضفة البحر المحيط بأرض المغرب فأصبح على أحد بيوت ذلك الموضع طائر قد وقع على البيت فانهدم البيت بوقوعه عليه. ودخلت في حوصلة خشبة من خشب البيت فمات. وكان من طرف جناحه إلى طرفه الآخر ثمانون شهرا - انتهى.

(١) في بن: وأما.

(٢) في بن: درج.

(٣-٢) ساقطة من بن

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) في بن: به.

(٦-٦) في بن: الشارة.

(٧) في بن: الثاني.

(٨) في بن: ثمانين. وصحتها من بن.

(٩) ساقطة من بن، وبعدها زيد فيها: وكان سرموق ملك مصر كاهنا وكان =

[ما أحدثه 'حكاء الهند]

فلنذكر الآن هنا ما أحدثه ١ حكاء ٢ الهند، وذلك أنهم أحدثوا في أيام البرهمس وهو الملك الأكبر كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرغت الكتب ٣ ككتب الازجهر والمجسطى ٤، **قصر** من الازجهر الاركنند ومن المجسطى ٥ كتاب بطليموس ٥. ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات وأحدثوا التسعة أحرف ٦ المحيطة بالحساب الهندى. وكان بطليموس أول من تكلم في أوج الشمس وذكر أنها سبعون ألف هازروان، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون. وأظهر ٧ النسل وسرحت البهائم وتغلغل الماء وكذب الحيوان

= قاضيا على الكهنة وعمل الصور فيها صورة منها البراغيث من مدينة مصر وعمل صورة الطير المدعوب بشروط وكان يؤذى أهل مصر في زروعهم، وكان إذا غزاه أحد من الملوك أخذه الرعاف هو ومن معه حتى يموت فان ذهب قبل أن يحمل به الرعاف فامتنت المملوك من غزوه وهابته ملوك الصين والنبط على بعضها منه وكان عليه طلسم الرعاف ودفنه بمصر فم له ذلك له المهابة والمحبة في قلوب الرعية فأطاعته الروحانية تلك النواحي ومن أراد الوقوف على صنيعه التى عملها حكاء مصر في اليرابى وغيرها فليطالع كتاب المدخل رسالة الطلاسم لباليئاس الحكيم. (١) في الأصلين: أحدثته.

(٢) زيد في بن [١٥٠: الف]: قال السعوى في كتاب مروج الذهب.

(٣) ساقطة من بر، واردة في بن.

(٤) في الأصل: المجسطى. والجملة بين «المجسطى» و«من المجسطى» ساقطة من بن.

(٥) في بن الأحراف.

(٦) في بن: ظهر.

و تويل العشب و خرق النسيم الهواء . فأما أكثر الهند فانهم قالوا بكون منصوبة على دوائر تبتدى القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك ' أصلا ضربوه ' و وقتا [٣٠٤ : الف] نصبوه ، و جعلوا الدائرة العظمى و الحادثة الكبرى و سموا ذلك ٣ بعمر العالم ، و جعلوا المسافة ه بعد البدء و الانتهاء ستا^٥ و ثلاثين ألف سنة مضروبة في اثني عشر ألف عام ، و هذا عندهم الهازروان و أنه الضابط بقوى الأشياء و المدر لها ، وأن الدوائر تقبض و تبسط جميع المعاني التي تستوعبها^٦ ، وأن الأعمار تطول في أول الكرة^٧ لانفساح الدائرة و تتمكن القوى من المجال ، و تقصر الأعمار في أواخر الكرة^٨ لضيق الدائرة و كثرة ما يعرض فيها من ١٠ الاكدار البارة للأعمار . و ذلك أن قوى الأجسام و صفوتها في أول الكرة^٩ تظهر^{١٠} و تسرح^{١١} لأن الصفو يسابق الكدر و الصافي يبادر الثقل ،

(١) في بن [١٥٠ : ب] : تبتدى .

(٢ - ٣) مطموسة بترميم هامش بن .

(٣) عن بن : و في بر : بذلك .

(٤) في بن : البدء و الانتهاء ، و في بر : و الانتهاء ، سافطة .

(٥) في بن : ستة .

(٦) في بن : وان .

(١) في بن : تستوعبها .

(٨) في بر : الكر - و صوابها في بن كما أوردناه في النص .

(٩) في بر بقاء المضارعة ، و في بن بالناء و هو الأصح .

و الأعمار تطول بحسب صفاء المزاج و تكامل القوى المؤدية إلى الأخلاط
الكائنات الفاسدات المستحيلات الباديات ، و أن آخر الكرة^١ الأعظم
و غاية البدء الأكبر تظهر الصور متشوهة و النفوس ضعيفة و الأمزجة
مختلطة ، و تتناقص القوى و ترد المواد في الدائرة منعكسة مزدحمة
فلا يحض^٢ ذووا الأعصار بتمام الأعمار . و ذكر بطليموس أيضا أن هـ
مدن الأرض في عهده^٣ أربعة آلاف مدينة و مائتين و ثمانين مدينة -
انتهى^٤ .

نعود إلى ذكر ولد البرهمن الملك الهندي ؛ و ذلك أن ولده
يعرفون^٥ بالبراهمة و الهند تعظمهم و هم أعلا أجناسهم و أشرافهم .
ولا تغذى بشيء من الحيوان ، و في رقاب الرجال و النساء منهم خيوط ١٠
صفر متقلدين بها كمائل "سيوف فرزاً^٦ بينهم و بين غيرهم^٧ من أنواعهم
و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع^٨ من أخبارهم ان شاء الله تعالى^٩ .
(١) في الأصول : الكر .

(٢) في بن : يحض - و اعلمه « يحظى » .

(٣) في بر : عدة . و هي كذلك في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : يعرفوا . - و الصواب في بن .

(٦) في بن : تميزا .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في الأصلين : لمعا .

فلنرجع إلى ذكر حكماء مصر . فمنهم أيرن^١ وله الهندسة و الحيل
الروحانية و عمل التكايات^٢ و الآلات لقياس الساعات . و منهم فيلون^٣
وله عمل الدواليب و الأراجية و الحركات بالحيل اللطيفة . و منهم
ارشيميدس^٤ صاحب عمل المجانيق و رمى الحصون و الحيل على الجيوش
ه و العساكر برّا و بحراً، و كل هؤلاء الحكماء كانوا يسكنون مصر في الدهور
الماضية و الأمم^٥ السالفة ، فاعثرت ذهن واحد منهم و لا أضرت بعقله .

[قارون و هامان و بخت نصر]

و من أهل مصر قارون و كان ابن عم موسى عليه السلام . فقال الله
تعالى : ” و اتيتنه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة “ .
١٠ و كان قارون [٢٠٤ : ب] أيسر أهل الدنيا . و منهم هامان^٦ قال
فرعون : ” ياها الملا ما علئت لكم من إله غيرى فاقدر لى يلهامن^٧ على
الطين فاجعل لى صرحاً “ . و منهم يديس^٨ والد بخت نصر من أهل

(١) في بن : ايزن . . و جائز أن الصواب « ابرون » .

(٢) في بن : التنكانات . و معناها غير واضح على كل حال .

(٣) في بن : فيلون . - و هو Philon .

(٤) في الأصلين : ارسميدس . و المقصود واضح في Archimedes .

(٥) في بن : والأمور . و صوابه في بن .

(٦) قرآن كريم ٢٨ : ٧٦ .

(٧) قرآن كريم ٢٨ : ٣٨ . و زيد على بن : و سياتى ذكر الصرح و هدمه إن

شاء الله تعالى .

قرية يقال لها سيمروا من كورة أرمنت ، وكان رجلا من أهل العلم
 فنظر في علمه فاذا هو يخرج من صلبه رجل يخرب مصر و أرضها ،
 فأعطى الله عز وجل موثقا أن لا ينكح امرأة أبدا ، و خرج إلى الشام
 ثم إلى العراق فأقام بقرية يقال لها نقر ، و كان لملك تلك القرية ابنة
 بها جنون ، فوصف ٢ المصرى لدوائها فدخل عليها فجرى بينهما أسباب ٥
 إلى أن حملت منه فوضعت بخت نصر . فجرى خراب مصر على يديه ،
 و أقامت مصر مدة أربعين سنة يجرى نيلها و يذهب ولا يتفجع به لعدم
 من يزرع أرضها . و في عصره ٣ كان دانيال ، فدار البخت نصر و هو
 مرزبان العراق من قبل ملك فارس إلى بيت المقدس . و كان يومئذ يبلخ ،
 و كانت بلخ قصبة الملك ، فأمعن البخت نصر في القتل لبنى إسرائيل إلى ١٠
 العراق ، و أخذ التوراة و ما كان في هيكل بيت المقدس من كتب و الأسر
 و حملهم الأنبياء و سير الملوك فطرحه في بئر . و عمد إلى تابوت السكينة
 فأودعه بعض المواضع من الأرض . فيقال : إن الذي كان عدة من سبا

(١) في بن : يه .

(٢) زيد في بن [١٥١ : الف] : له .

(٣) في بن : عصر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : هذه .

(٦) في بنى : سى .

من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً، وقيل: كان البخت نصر مرزباناً ليتأسف؛
 للملك الفارسي، والمرزبان عند الفرس ملك على ربع من أوباع الملك،
 وكان قد دّوخ الأرض وذلّل الملوك من كل أرض^٢ أمة للملوك فارس.
 وسار البخت نصر إلى مصر فقتل فرعون الأعرج، وسار نحو المغرب فقتل بها
 ٥ ملوكاً وافتتح بها مدائن، وقد كان ملك فارس تزوج^٣ جارية من^٤ بني إسرائيل^٥
 فأولدها ولداً، فلما كبر الولد قالت له أمه: قل لأبيك الملك يرد أسارى
 بني إسرائيل^٦ إلى أرضهم - فردهم إليها. ولما رجع^٧ بنو إسرائيل إلى بيت
 المقدس ملكوا^٨ عليها زربابل بن سلساب، فابتنى^٩ مدينة بيت المقدس

- (١) نبوخذ نصر (Nebuchadnezzar Nebuchadrezzer) الثاني الذي ورد
 بالعهد القديم وقد عاش في القرن السادس في الميلادى ملكاً على بابل.
- (٢) يغلب أنه هستابس Hystapes وهو بن Arsames ووالده دارا الأول Darius I
 ملك فارس وجاء ذكره في هيرودوت ح كما على Parthia وملحقاً بها في
 أيام قيصري في القرن السادس قبل الميلادى.
- (٣) ساقطة من .
- (٤) في بر: زوج . والأصح في بن .
- (٥) زيد في بن: سبانيا .
- (٦-٧) العبارة ساقطة من بن .
- (٧) في الأصلين: رجعت .
- (٨) في الأصلين: مكنت .
- (٩) في: بن قابتنا - وهي كذلك في بن .

و عمر ملك كان حرباً وأخرج^١ بنو إسرائيل التوراة التي أوردتها موسى عليه السلام ، و تلك سُجِّفَتْ وَ غَيِّرَتْ وَ بُدِّلَتْ ، و أن المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور لأنه كان^٢ جمعها بين كان يحفظها^٣ من بني إسرائيل ، و أن التوراة الصحيحة هي ما في أيدي^٤ السامرية دون غيرهم .

[٢٠٥ : ألف] و كان سبب مسير بخت نصر إلى بيت المقدس^٥ و سببه ه لنى إسرائيل أنه كان يبابل ملك يقال له حزقيا^٦ ، فأظهر عبادة الرحمن و أمر بكسر الصلبان^٧ ، و فى ملكه سار ستحاريب^٨ من بابل^٩ إلى بيت المقدس ، فكانت له حروب كثيرة مع بني أسرائيل ، فسبى^{١٠} من الأسباط عددا كثيرا ، ثم ملك بعد حزقيا^{١١} ولد له يقال له منشا^{١٢} ، فعم شره سائر

(١) فى بن : خرجت .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن ، يحفظه .

(٤) ساقطة من بر : و واردة فى بن .

(٥) زيد فى بن : و اخرابه لها .

(٦) فى الأصين : حزقيل - من ملوك اليهود المذكور بأسفار العهد القديم

. Hezekiah

(٧) ملك آشور Sennecharih و حكمه من ٧٠٥ إلى ٦٨١ ق . م .

(٨) فى بن : باب .

(٩) فى الأصين : سبا .

(١٠) فى الأصين : ميشا ، و الغالب أن محمته منشا Manasseh كما أوردنا بالنص

و هو من ملوك اليهود الطغاة حوالى القرن الثامن و أوائل السابع قبل الميلاد =

أهل مملكته وهو الذى قتل شعبا النبي عليه السلام ، فبعث اليه قسطنطين ١
 ٢ ملك الروم يتوعدده ، فسار إليه فى الجيوش فهزم قسطنطين ٢ جيوشه
 وأسره . فأقام أسيرا فى أرض الروم عشرين سنة ، وأقلىع عما كان
 عليه و عاد إلى ملكه فأقام إلى أن مات . ثم ملك بعده ولد له يقال
 ٥ له امون بن منسأ ٣ ، فأظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والأصنام ،
 فلما اشتد بغيه سار إليه فرعون ٤ الأعرج ٢ من مصر ٢ فى الجيوش ، فأمن
 فى القتل وأسره فرعون . مضى به إلى مصر فهلك هنالك . و ملك بعده
 أخ له ٢ يقال له ٢ فوقير ٥ ، و فى عصر هذا الملك سار البخت نصر إلى
 بيت المقدس فعل بها ما تقدم ذكره . و قيل أن بخت نصر عاش سبعمائة
 ١٠ سنة ، والله أعلم . انتهى .

= ومعروف أن حكمه كان أطول حكم فى تاريخ مملكة اليهود حيث بلغ طوله
 ٥٣ عاما .

(١) ربما كان هنا خطأ فى الأسماء والعصور فى تاريخ الرومان . كما حدث بعدئذ
 فى عرضه لتاريخ الاسكندر و وضعه بعد المسيح .

(٢-٢) اعبارة - انطمة من بن .

(٣) فى الأصلين : امورابن ميسا - وهو من ملوك اليهود بالعهد القديم وحكمه
 تقريبا ٦٤٠ - ٦٢٨ ق . م .

(٤) ليس من السهل تحقيق اسم هذا الفرعون ولكن المفهوم أنه أحد ملوك
 الأسره الصادية الثمانية والعشرين وتاريخها ٦٦٤ إلى ٥٢٠ ق . م على وجه
 التقريب .

(٥) لم تستطع تحقيق هذا الاسم وهو كذلك فى الأصلين .

(٦) زيد فى بن : تعالى .

[الإسكندر وتأسيس الإسكندرية]

ومن^١ أهل مصر الإسكندر ، وكان بعد المسيح في الفترة . وهو
الذى بنى مدينة سمرقند وبنى الأبراج والمناظر على بحيرة طابس في آخر
العمارة التى بالشمال وفعل بالعراق الأفاعيل غضبا لما فعل^٢ بخت نصر
بمصر وأرضها . وهو الذى بنى الإسكندرية . وذلك أن الإسكندر ه
لما استقام ملكه فى بلاده صار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء ،
فسار^٣ إلى موضع الإسكندرية فأصاب فى موضعها أثر بنيان وعمد كثيرة^٤
من الرخام ، وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند ، وهو
القلم الأول من أقلام حمير ، ملوك عاد : أنا ه شداد بن عاد بن شداد
ابن عاد ه شددت^٥ بساعدى البلاد . وقطعت عظيم العماد ، من الجبال ه
و لأطواد ، وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التى لم يبن مثلها فى البلاد ،
أردت أن أبني مدينة ههنا^٦ كإرم ، وأنقل إليها كل ذى قدم وكرم ،
من جميع العشائر والأمم ، وذلك أن لا^٧ خوف ولاهرم ، ولا اهتمام

(١) زيد قبلها فى بن : نعود ، وبهاش بر : الإسكندر .

(٢) فى بن : فعله .

(٣) عن بن . وفى بر : نصار .

(٤) فى الأصلين : كثير .

(٥) فى بن [١٥١ : ب] : ابن .

(٦) فى بن : شدد .

(٧) عن بن ، وفى بر : هاهنا .

(٨) ساقطة من بن ، ولا يمكن قراءتها ه بلا ه .

ولاسقم ، فأصابني ما أعجلى^١ عما أردت . وهي حال مع وقوعها طال
 همي وشغتي ، وقلّ نومي وسكني ، فارتحلت بالأمن عن داري لائقهر
 ملك جبار ، ولاخوف جيش جرار ، ولا على رغبة ولا على^٢ صغار ،
 [٢٠٥ : ب] ولكن لتمام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز
 ٥ الجبار ، فن رأيت أثرى ، وعلم خبرى ، وطول عمرى ،^٣ ونفاذ بصرى ،
 وأشد حذرى ، فلا يغتر بالدنيا بعدى - وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع
 من الاعتزاز بها ، والسكون إليها . فقول الإسكندر مفكرا يتدبر هذا
 الكلام ويعتبره ، ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الأساس وجعل
 طولها وعرضها أميالا ، وحشر إليها العمود والرخام وأنت المراكب
 ١٠ فيها الرخام وأنواع المرمر والأحجار من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية
 وإقريطش وأقصى بحر الروم . وأمر الإسكندر الفعلة والصناع أن
 يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من
 الأرض خشبة ، ثم جع من الخشبة إلى الخشبة جبالا مربوطة^٤ بعضها
 إلى بعض ، وأرسل جميع ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضروبة^٥ ،
 ١٥ وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا ، وأمر الناس والقوام على الصناع
 والبنائين والفعلة أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال

(١) في بن : اعجبنى . (٢) في بن : عن .

(٣-٣) كذا في الأصلين ، ولعل الجملة : ونفاذ بصرى .

(٤) عن بن ، وفي بر : منوطة .

(٥) كذا في بر . وفي بن : مضربه عمودا .

وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً^١ حرصوا على أن يضعوا
أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها . وأحب الإسكندر أن
يجعل ذلك في وقت يختاره . وطالع سعد يأخذه ، نفقح^٢ نوماً برأسه ،
وأخذته نعة في حال ارتقابه الوقت المحمود ليأخذ فيه الطالع ، فجاء
غراب فجلس على جبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فخرکه وخرج ه
صوت الجرس ، وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الأجراس الصغار ،
وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية^٣ وحيل حكيمية^٤ ، فلما رأى الصانع
تحرك^٥ الجبال وسمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة
وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الإسكندر عن رقدته
وسأل^٦ الخبر . فأخبر بذلك وعجب وقال : أردت أمراً وأراد الله ١٠
غيره وبأبي الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة
فنائها وخرابها وتداول الملوك إياها . وإن الإسكندر لما أحكم بناءها
وثبت أساسها ، وجنّ الليل عليهم ، خرجت دواب^٧ البحر فأنت على
جميع ذلك البيان فأخبرته^٨ ، فقال^٩ الإسكندر حين أصبح : هذا

(١-١) في الأصلين : جرس صغير .

(٢) زيد في بن : الإسكندر .

(٣-٣) في بن : وحكم جلية .

(٤) زيد في بن : تلك .

(٥) زيد في بن : عن . (ب) زيد في بن : من .

(٧) ساقطة من برو واردة في بن .

(٨) في بن : قال .

بده^١ الحراب في عمارتها، وتحقق مراد الباري في زوالها، وتطير
 من فعل الدواب فلم يزل البقاء يبنى في كل يوم ويحكم [٢٠٦: الف]
 ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فيصيحون وقد أخرج
 البیان . فطلق الإسكندر لذلك وراعه ما رأى، فأقبل يفكر ما الذي
 ٥ يصنع وأية حيلة يوقع في دفع الأذى عن المدينة، فسنجعه له الحيلة
 في ليلة عند خلوه بنفسه وإبراده الأمور وإصدارها . فلما أن أصبح
 دعى^٢ بالصناع ، فاتخذ^٣ له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع في
 خمسة^٤ . وجعل فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها^٥ خشب التابوت ،
 وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية الدافعة للماء حذرا
 ١٠ من دخوله إلى التابوت ، وقد جعل فيها^٦ مواضع للرجال ، ودخس^٧
 الإسكندر التابوت ورجلان من كتّابه ممن له علم باتقان التصوير ومبالغة
 فيها (كذا) . وأمر أن يُسد عليه الأبواب^٨ ، وأن تغطي بما ذكرنا

(١) في الأصول : بدو .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : دءا .

(٤) في بن : فأخذ .

(٥) في بر : خمس ، وفي بن : عرض خمسة .

(٦) في بن : به .

(٧) في بن : [١٥٢ : الف] : فيه .

(٨) في بر : وذكر . وصحته في بن كما أوردناه بالنص .

(٩) في بن : التابوت .

من الأطلية ، و أمر فأتى بمركين عظيمين فأخرجهما إلى لجة البحر ، و علق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص و الحديد و الأحجار لتتهوى بالتابوت سفلا ، إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء و لا يرسب^١ سفله ، و جعل التابوت بين المركبين ، و ألصقهما بحسب ما^٢ بينهما ثلثا يفترقان^٣ ، و شد حبال التابوت إلى المركبين و طولها ، ه ففاص التابوت حتى انتهى إلى قرار البحر ، فنظر إلى دواب البحر و حيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر ، فاذا بصور شياطين على مثال الناس رؤوسهم^٤ على مثال رؤوس^٥ السباع ، و في أيدي بعضهم الفؤوس^٦ ، و في أيدي بعضهم المناشير و المقامع ، يحكون بذلك صُناع المدينة و الفعلة و ما في أيديهم من آلات البناء . فأثبت ١٠ الإسكندر و من معه تلك النصور و حكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف أنواعها و نشأة خلقها و قديدها و أشكالها . ثم حرك الحبال . فلما أحس بذلك من في المركبين اشتقوا^٧ التابوت . فلما خرج الإسكندر عن التابوت و سار إلى مدينة الإسكندرية ، أمر صناع الحديد و النحاس

(١) كذا عن بن ، و الكلمة في بر : يرب . و زيد بعدها في بن : في .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا عن بن ، و الكلمة في بر : يفترقا .

(٤) في الأصلين : رؤوسهم .

(٥) في الأصلين : رؤوس .

(٦) في الأصل : الفؤوس .

(٧) في بن : استقوا .

والحجارة، فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورّه الإسكندر
 وصاحاه . فلما فرغوا منه وضعت تلك التماثيل^١ على العمدة بشاطئ^٢
 البحر، ثم أمرهم فبنوا . فلما جنّ الليل وظهرت تلك الدواب والآفات
 من البحر،^٣ فظنّرت إلى صورها على العمدة^٤ مقابلة للبحر، رجعت إلى
 البحر ولم تعد . [٢٠٦: ب] فعند ذلك تم بناء^٥ الإسكندرية وشيدت^٦،
 وأمر الإسكندر^٧ أن يكتب على أبوابها: « هذه الإسكندرية أردت
 أن أبنها على الفلاح والنجاح واليمن^٨ والسرور، والثبات على الدهور .
 فلم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والأرض أن أبنها لذلك فبنيتها
 وأحكمت بناءها وشيدت سورها، وأتاني الله من كل شيء علما وحكما
 ١٠ وسهّل لي وجوه^٩ الأسباب فلم يتعذّر عليّ في العالم شيء مما أردته^{١٠}،
 ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفًا من الله عز وجل وصنعا لي وصلاحا

(١) في بن: الصور والتماثيل .

(٢) عن بن، والكلمة في بر: لشاطئ .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن: فسر ذلك ثم بنى .

(٥) في بن: وشيد .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن: واليه .

(٨) عن بن، وفي بر: وجود .

(٩) في بن: أردتها .

لعباده' من أهل عصرى، و الحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شىء ٢٠٠ .

[أخبار أهل الفترة ٢]

فلنذكر الآن من كان فى الفترة ١ إن شاء الله تعالى ٤ . قال المؤرخون : كان فى الفترة أصحاب الكهف، و قد تقدم ذكرهم ٥ فأغنى عن اعاتهم، و سيأتى أيضا ذكرهم ٦ فى أخبار الروم ٧ بخلاف ما تقدم . و قد كان فى الفترة جرجيس عليه السلام ٨، و قد أدرك بعض الحواريين فأرسل إلى ملك الموصل بدعوه إلى الله فقتله، فأحياه الله فأمر بنشره ٩ فى الثالثة ١٠ و إحراقه و أدراة ١١ فى الدجلة، فأهلك الله ذلك الملك ١٢ و جميع أهل مملكته . و قد ذكرت خبره ههنا ١٣ بجملاً، و سأذكر ١٤ خبره مفصلاً فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و من كان فى الفترة حبيب التجار، و كان يسكن مدينة أنطاكية من أرض الشام، و كان بهاملك مُتَجَبِّر يعبد التماثيل و الصور، فسار إليه إثنان من تلاميذ

(١) فى بن : أخباره .

(٢) زبد فى بن : انتهى ما قبل فى الإسكندرية . و بهامش بر هنا : من كان فى زمن الفترة .

(٣) و ضح أن المقصود بالفترة « الجاهلية » أو بالتدقيق الفترة الواقعة بين ظهور المصحية والإسلام .

(٤-٥) هذه الجملة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : و ادرايه . و يلاحظ أن بهذا القسم سقطاً كبيراً فى اللفظ و المعنى من بن . (٦) فى الأصل : هاهنا .

المسيح ، فدعواه إلى الله ، فحبسها وضربها فعززاها الله^١ بثالث اسمه بالرومية بطرس و اسمه بالعربية سمعان وبالسريانية شمعون الصفاء ، و قيل اسمه بولس^٢ و الاثنان المتقدم ذكرهما اللذين أودعا الحبس هما توما و بطرس ، لهما مع ذلك الملك خطب طويل فيما أظهرهما من الإعجاز و البراهين و من إبراء الأكف و الأبرص و إحياء الموتى ، و حيلة بولس عليه لمداخلته إياه و استنقاذ صاحبيه من الحبس ، فجاء حبيب النجر فصدقهم لما رأى من آيات الله . و قد أخبر الله بذلك من أمرهم في كتابه بقوله : ” إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث^٣ “ - إلى قوله : ” جاء من أقصى المدينة رجل يسعى^٤ “ . و قتل بطرس و بولس بمدينة رومية^٥ و صلبا منكوسين ، و كان لهما فيها خير طريق مع الملك . ثم جعلنا بعد ذلك في [٢٠٧ : تف] أخوته الملوك و ذلك بعد ظهور النصرانية . و قد تقدم^٦ خبر الكنيستين اللتين هما بهما مدفونان^٧ بمدينة رومية^٨ . الواحد بالكنيسة الشرقية منها^٩ و الثاني بالكنيسة تغرية فأغنى ذلك عن

(١) زيد بن : تعالى .

(٢-٣) في كل من بروين [١٤٢ : ب] : و لاثنتين المتقدمين .

(٣) قرآن كريم ٣٦ : ١٣ .

(٤) قرآن كريم ٣٦ : ١٩ .

(٥) زيد بن : في هذا الكتاب .

(٦) في الأصلين : مدفونين .

(٧) في بن : رومه .

(٨) في بن : منها .

الاعادة .

وكانوا هؤلاء تلامذة المسيح من الحواريين ، وكانت الحواريون^١
 اثني عشر ، وهم شمعون و بطرس وتوما ومتى ويوحنا ويعقوب وبرس
 و جرجيس و ماسرجيس و جرجس و أيوب و يوحنا أيضا . و سألت
 بنو إسرائيل عيسى عليه السلام يوما أن ينزل عليهم مائدة . فلبس^٥
 عيسى عليه السلام المسوح و فرش^٢ و دعا الله . هو قائم يصلي فقال
 في دعائه : " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا
 و آخرنا^٣ " الآية . فأنزل الله عز وجل مكتلاً فيه ثلاث سمكات و ثلاثة
 أرغفة ، و السمكات مشويات ليس عليها شوك و لا فلوس . فقال له
 بنو إسرائيل : لو دعوت الله فأحيي لنا هذا السمك ! فدعى عيسى ربه^{١٠}
 فاضطربت سمكة و عاد لها فلوس . ثم دعى الله عز وجل فعادت إلى
 حالتها الأولى فقالوا : يا روح الله ! كر أنت أول من يأكل منها . فقال
 عيسى : إنما يأكل منها من سال ذلك . فأكلوا فصدر عن الارغفة
 و السمك ألف إنسان و هي لم تنقص شيئاً . و رفعت المائدة و هم ينظرون
 و استغنى كل فقير أكل^٤ منها ، و استشفى كل مريض . و بقيت المائدة^{١٥}

(١) في هامش بر: عدة الحواريين و أسماءهم .

(٢) زبد في بن : الرماد .

(٣) قرآن كريم : هـ : ١١٤ .

(٤) في بن : فاحيا .

(٥) في بن : دعا .

(٦) في بن : أكل .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

تنزل عليهم أربعين يوما صباحا فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا كان الماء ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون . وشك فيها جماعة من الناس ووقعت الفتنة وارتابوا و مسح الله منهم خمسة آلاف وخمس مائة على فرشهم و نسايتهم فأصبحوا قردة و خنازير .

هـ و من كان في الفترة أصحاب الأخدود^١ ، فكانوا في مدينة بنجران اليمن في ملك ذي نواس^٢ الحميري ، وكان على دين اليهودية ، فبلغه أن قوما بنجران على دين المسيح . فسار إليهم بنفسه . فحفر لهم أخاديد في الأرض و ملأها جبرا و أضرها نارا ، ثم عرضهم على اليهودية ، فن تبعه تركه ، و من أبى قذفه في النار ، فأبى بامرأة معها طفل ابن ١٠ سبعة أشهر ، فأبى أن تتخلي عن دينها ، فأدبنت من النار فجذعت ، فأنطق الله الطفل فقال : يا أماه^٣ أمضى على دينك فلا نار بعد هذه .
^١ فألقاهما في النار^٤ ، و كانوا مؤمنين موحدين [٢٠٧ : ب] لا على رأى النصرانية في هذا الوقت . فمضى رجل منهم يقال له ذو ثعلبان إلى قيصر ملك الروم يستنجده ، فكتب له إلى^٥ النجاشي ملك الحبشة لأنه كان

(١) زيد بن : عند .

(٢) في هامش بن : مطلب يذكر فيه أصحاب الأخدود .

(٣) في بن : ذو نواس .

(٤) في بن : فاحترق .

(٥) في بن : يا أمة .

(٦-٦) في بن : فألقاه في النار و ابنها .

(٧) الكلمة سالطة من .. و بها يتغير المعنى .

أقربهم داراً ، فكان من^١ أمر الحبشة و عبورهم إلى أرض اليمن و تطعيم عليها إلى أن كان من أمر سيف بن ذي يزن الحميري و استنجاده الملوك إلى أن أنجده أنوشروان^٢ ، فكان من أمره ما تقدم ذكره في هذا الكتاب .

- و من كان في الفترة قس بن ساعدة^٣ بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان ، و كان حكيم العرب ، و كان مقراً بالبعث و النشور ، و هو الذي يقول : من عاش مات ، و من مات ، فات ، و من فات كانت له الأرض كفات ، و كل ما هو آت آت . و قد ضربت العرب بحكمته و عقله الأمثال . و قدم على النبي صلى الله عليه و سلم وفد من إباد فسألهم عنه فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل^٤ .
- أحر و هو يقول : أيها الناس اجتمعوا و استمعوا^٥ و عوا ، من عاش مات ، و من مات فات ، و كل ما هو آت آت ، أما بعد فإن في السماء لخبيراً . و أن في الأرض لعبيراً ،^٦ أبحر تموج ، و نجوم تغور ، و سقف مرفوع ، مهاد موضوع . أقسم بالله قس^٧ قسما أن الله ديننا هو ارضى

(١) في بن : ممن .

(٢) زيد في بن : ملك الفرس .

(٣) في بن : و كان .

(٤) في هامش بر : مطلب يذكر فيه خبر قس بن ساعدة .

(٥) الكلمة ساقطة من بن [١٥٣ : الف] .

(٦-٧) في بن : بحر يمور ، و نجوم تغور .

(٧) - نقطة من برو واردة في بن .

من دين أنتم عليه ، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أو تركوا فناموا ؟ سئل مؤلف . وعمل مختلف . وقال أياتنا لا أحفظها ، فقال أبو بكر الصديق : أنا أحفظها يا رسول الله ! فقال : هاتها . فقال :

هـ في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا للوثة ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأوائ والآخر

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر

أيفت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن يبعث الله أمة وحده .

[ذكر ملوك مصر الكفار]

فلنذكر الآن بعض ملوك مصر الكفار . فمنهم فرعون موسى

عليه السلام ، اسمه الوليد بن مصعب . وهو الرابع من فراعنة مصر السبعة .

ذكرهم أبو عبيد القرطبي في كتاب الممالك والممالك ، وذكر كل

(١) في بن : ما .

(٢) في بن : فقام

(٣) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه فقال .

(٤) عن بن ، وفي بر : واحدة ، وزيد هنا في بن : انتهى .

(٥) في هامش بر : مطلب ذكر ملوك مصر الكفار .

[٢٠٨ : الف] فرعون وسيرته ١ في جملة ملوك مصر قبل الطوفان وبعده . ومن ملوك مصر الكفار نقراوش الجبار ، وهو أول من اتخذ المصانع وعمل الطلسمات والأقرونيات ٢ ، وأقام الأساطين ورمز التواريخ عليها ، وبنى المدن ، وهو الذي حفر النيل و كان من قبل ينقطع ويستتقع . ومنهم قرناش . حارب أمة من الجن حتى دخلوا في ٥ طاعته بالعزائم الشداد . ومنهم مصرم الجبار ٣ الذي ذلل الأسد فركبها وركب الوحوش الصعبة ، وهو أول من عمل الحمام . وبمصرم هذا سميت مصر ، وبلغ بسحر كهاته ما لم يبلغ أحد من ٤ قبله ولا بعده . ومنهم غرناق ٥ . وفي وقته نزل هاروت وماروت ٦ ، وكان من حديثهما مارواه ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشرفت ١٠ الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون ، ما أقبل معرقة هؤلاء بعظمتك ! فقال الله عز وجل : لو كنتم في سلاحهم لعصيتموني . قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : فاختاروا منكم ملكين ! فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أهبطا إلى الأرض ، وركبت فيهما شهوة بنى آدم

(١) وردت الجملة من « وذكر » في بن بعد « الطوفان وبعده » .

(٢) في بن : الأقرونيات .

(٣) في هامش بر : مصرم الجبار أول من عمل الحمام .

(٤) - انقطة من بن .

(٥) في بن : غرناق .

(٦) في هامش بر : مطلب وذكر هاروت وماروت .

فأُخِصَّ حَتَّى وَاقَعَا الْمَعْصِيَةَ ، فَخَيَّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ ،
 فَاخْتَارُوا عَذَابَ الدُّنْيَا وَهُمَا مُسْلَسَانِ مِنْكَسَانِ فِي بَرْ بِأَرْضِ بَابِلَ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ ، . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : وَرَكِبَتْ فِيهِمَا شَهْوَاتُ بَنِي آدَمَ ، وَ مِثْلَتْ
 لَهَا فَاغْصَا حَتَّى وَاقَعَا الْمَعْصِيَةَ ، فَخَيَّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ ،
 ه فَظَنَرَا أَحَدَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ : مَا تَقُولُ ؟ فَقَالَ : أَقُولُ : عَذَابُ الدُّنْيَا
 يَنْقُضُ عَذَابَ الْآخِرَةِ لَا يَنْقُطِعُ . فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا . فَهُمَا اللَّذَانِ
 ذَكَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ٢ فِي كِتَابِهِ ٢ : ” وَ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ يُبَاطِلُ هَارُوتَ
 وَ مَارُوتَ ٣ “ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ اللَّهُ لَهَا : إِنِّي أَرْسَلْتُ رَسُولًا إِلَى
 النَّاسِ وَلَيْسَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمَا رَسُولٌ ، نَزَلَا وَ لَا تَشْرَكَانِي شَيْئًا وَ لَا تَقْتُلَا
 ١٠ وَ لَا تَزْنِيَا وَ لَا تَرْفُقَا . قَالَ كَعْبٌ : فَاسْتَكْمَلَا يَوْمَهُمَا الَّذِي نَزَلَا فِيهِ حَتَّى
 أَتَيَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا - انْتَهَى ٤ .

ه : كَانَ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ الْكُفَّارِ الْمَلِكُ غُرْنَاقُ . عَمِلَ بِمِصْرَ عِجَابٍ
 كَثِيرَةٍ . وَ كَانَ مِنْهُمْ كَأَنَّ فِي الشَّرَابِ وَ التَّقْصُوقِ ، وَ يَشْرَبُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 مِائَةَ رَطْلٍ ، وَ يَغْتَصِبُ نِسَاءً عَلَى أَنْفُسِهِنَّ . وَ لَا يَسْمَعُ نِسَاءً حَسَنَةً

(١) زيد في بن : له .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) قرآن كريم ٢ : ١٠٢ .

(٤) ساقطة من بر . و واردة في بن [١٥٣ ب] .

(٥) زيد قبل هذه العبارة في بن : نعوذ إلى ذكر ملوك مصر الكفار .

(٦-٦) في بن : بامرة حسنها .

٥. إلا نقلها إليه . ومنهم هرصال^١ وفي أيامه ولد نوح عليه السلام ،
 [٢٠٨ : ب] وبعد سنة من ملكه تجلّت عليه روحانية الكواكب
 فيما يزعمون^٢ ، فحجته^٣ عن أعين الناس فلم يُعلم خبره^٤ . ومنهم شهلوق ،
 وهو الذي قسم ماء النيل أقساما ، وأقام لأسباب^٥ الضرر طلسمات
 يرفعها^٦ ، وكنز من الكنوز خمسة^٧ وأربعين كنزا . و تفسير الطلسمات^٨
 عقد لا تنحل ، ومفردها طلسم وهو عقدة^٩ لا تنحل^{١٠} . ومنهم سويد بن
 صاحب الأهرام^{١١} - والأهرام قبور الملوك . وبناء الأقرونيات المهلكات^{١٢}
 للعالم ، وأزنى من الحكمة والعلم ما لم يُسبق إليه ، وكان أكثر اهتمامه

(١) في بن : هرمال .

(٢) في بن : زعموا ، وفي بر : يزعموا .

(٣) في بن : بجمته .

(٤) في بن : خبر .

(٥) في بر : أسباب . وصحتها في بن كما أوردناه بالنص .

(٦) في بن : يذفعها .

(٧) كذا في بن . وهي في الأصل بر : خمس .

(٨) في هامش بر : مطلب ، الطاسم .

(٩) في الأصل : عقد .

(١٠) في الأصل : ينحل .

(١١) في هامش بر : مطلب ، الأهرام .

(١٢) في بن : المهلك .

بعمل الادوية والعقاقير والنواميس ودفع المضرات بالطلسمات وكل ما فيه صلاح للناس . و سأتى فيما يرد من هذا الكتاب صفة بنائه الأهرام ؛ إن شاء الله تعالى . و منهم مناوش ، فظلم وسفك الدماء واغتصب النساء واستخرج كثيرا من كنوز الملوك . فبنى بها قصورا ورصعها بالجواهر ، وعمل فساقى وصب فيها الجوهر وأرسل عليها المياه ؛ و منهم أقروش ، فعل عجائب منها قبة لضخها بلطوخات . فاذا كان الليل اشتعلت نارا تسمى على البعد واتقدت إلى الصبح . فاذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوقد . و طلب هذا الملك النسل من ثلاثمائة امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت .

[خبر نوح والطوفان]

١٠

وفى زمنه شاع خبر نوح عليه السلام وإنكاره للأصنام . و كان من أمر الطوفان ما كان . و ذلك أن نفسا لما كثرت في الأرض واشتدت

(١) فى بن : المضار .

(٢) فى بن : و الطلسمات .

(٣) زيد فى بن : كان .

(٤) زيد فى بن : و الأقرونيات و النواميس وغير ذلك . أنظر أيضا مخطوط

القاهرة (ق ١٦٨) : ذكر ملوك الكفار الطعام و عبادة التماثيل و الأصنام فى

البراني و لأقرونيات و النواميس و الهياكل و الأهرام و الطلسم . وكذلك

(ق ١٧١) : صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البراني صنعتها الأوائل .

(٥) فى بن : الأرض .

طياغي^١ الكفر، فقام نوح في الأرض داعيا إلى الله، فأبوا إلا طغيانا
 و كفرا. فدعى الله عليهم، فأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك بأعيننا. وحيناً،
 فلما فرغ من السفينة أماته^٢ جبريل بتايوت آدم فيه رّمته. وأقام نوح
 ومن معه في السفينة على ظهر الماء، وقد غرق الله^٣ الأرض خمسة
 أشهر، ثم أمر الله الأرض أن تفيض الماء و السماء أن تطلع، واستوت^٤ ه
 السفينة^٥ على الجودي - و الجودي جبل من بلاد الموصل بينه وبين الدجلة
 ثمانية فراسخ، و موضع السفينة على هذا الجبل إلى هذه الغاية. و نزل
 نوح من السفينة معه أولاده سام و حام و يافث، و أزواج أولاده
 الثلاثة و أربعون رجلا و أربعون امرأة، فصاروا إلى سفح هذا الجبل
 فابتنوا مدينة و سموها: ثمانين. و دثر عقب هؤلاء الثمانين نفسا، و جعل ١٠
 نسل الخليفة من أولاد نوح الثلاثة. و قد [٢٠٩: الف] أخر الله^٦ تعالى
 ذلك^٦ بقوله: "و جعلنا ذريته هم البقين"^٧، و قسم نوح الأرض بين
 ولده أفساما. و خص كل واحد منهم بموضع. و دعا على ولده حام

(١) كذا في الأصلين، ولعل المقصود « طغاة » .

(٢) في بن: فأتاه .

(٣) زيد في بن: جميع .

(٤) في بن: فاستوت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٧) في بن: عز و حل بذلك .

(٧) قرآن كريم ٣٧ : ٧٧ .

لأمر كان منه مع أبيه فقال: ملعون حام عبد عبيد يكون لاختوته .
 وقال: مبارك سام ، و يكثر الله يفت . يحل يافت في مسكن سام .
 وانطلق حام و تبعه ولده . فزلوا في مساكنهم من تير و تاجر ، فأما
 سام فسكن وسط الأرض من بلاد احرم إلى حضر موت إلى عمان
 إلى عالج . ٢٠ من ولده إرم بن سام و أرغشد بن سام . ٢١ من ولد إرم
 بن سام عاص بن عوص بن إرم . و كانوا ينزلون لأحقاف من الرمل .
 فأرسل الله إليهم هود . فكان من أمرهم مع هود ما اتضح أمره . و شتهر
 خبره . و ثمود بن عاد بن إرم . و كانوا ينزلون الحجر بين نساء و الحجاز
 فأرسل إليهم أنعام صالحا . فكان من أمرهم مع صالح ما اتضح أمره .
 ١٠ و اشتهر خبره . و طسم و جدیس أبناء لأولاد إرم . و كانوا ينزلون
 اليمامة البحرين . و سائر خبرهما فيما يرد من هذا الكتاب إن
 شاء الله تعالى .

و كان أخو طسم و جدیس يقال له عمليق بن إرم في قبيلته . و زل
 بعضهم الحرم و بعضهم نسام . و منهم العماليق تفرقوا في البلاد . و كان
 أخو عمليق و طسم و جدیس يقال له أميم بن لاود ، زل أرض فارس .

(١) في بن : الأرم .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

(٤) زيد في بن [١٥٤] : و فتاؤهما على السيف .

(٥) في بن : اخوهم .

و نزل بنو عميل بن عوص 'أخوة ص بن' عوص مدينة الرسول عليه السلام . ومن ولد سام بن نوح ماش بن برم بن سام . نزل بأرض بابل فولد 'مرء بن ماش . وهو الذي بنى' 'تصرح بابل و حصر بابل على شاطئ الفرات . ر منك خمسمائة سنة فهو منك' النبط . و في زمانه فرق الله 'الأنس' ، فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا ، وفي ولد حام ٥ سبعة عشر لسانا . وفي ولد يافث ستا و ثلاثين لسانا . و تشعبت بعد ذلك اللغات و تفرقت الأنس . و قحطان بن غابر أبو اليمن كلها . و هو أول من تكلم بالعربية لإعرابه عن المعاني و إياته عنها . و يقظان بن غابر هو أبو جرحم^١ . و جرحم ابن عم يعرب^٢ . و كانت جرحم من سكن اليمن و تكلموا بالعربية . ثم نزلوا مكة فكانوا بها . و قصورا بنوعم^٣ جرحم . ١٠ ثم اسكن الله تعالى اسماعيل عليه السلام مكة فتزوج [٢٠٩ : ب] في جرحم

(١ - ١) في بن : أخى ابن .

(٢) في بن : ترك .

(٣) في الأصين : بنا .

(٤ - ٤) مكررة في بن .

(٥) في عامش بن : مطلب تفرق الأنس .

(٦) كذا في بر ، و هي في الأصل بن : ثلاثون .

(٧ - ٧) في بن : بنوعم يعرب ، وفي عامش بر : مطلب أول من تكلم بالعربية .

(٨) في بن : بنو « قط و » عم « ساططة » .

فهم أحوال ولده . و ما ذكرنا من العرب فهم العرب العاربة ، و لهم أخبار ٢ يطول ذكرها ، و يتسع شرحها . و أما يافث بن نوح فولده الترك و غيرهم . و قيل لما قسم نوح على أولاده البلاد أعطى ٣ سام الشام و جزائر العرب و اليمن ، فهو أبو العرب و الأنبياء و الروم . هـ و أعطى ٣ حام السند و الهند و الحبشة و النوبة . و أعطى ٣ يافث بلاد المشرق . فهو أبو الترك و الديلم و الصقالبة و ياجوج و ماجوج و فارس . و الله أعلم - انتهى .

[ملوك مصر القبط]

[بن ١٥٤ : الف] 'نعود . و كانت ملوك مصر من القبطيين ١٠ مرادهم العدل و الانصاف من أنفسهم و الطلب لمعانى الأمور و كراهية الجود و البغض (كذا) . و سمانون الملك الأول من ملوك القبط بمصر ، إذا وقف إليه رجلان يتحاكىمان عنده علم الظالم من المظلوم منها أخبرهما بالذى صنعا حتى كأنه شاهد حالهما . و كأن بالظالم يصرون من نفسه

(١) في بن : ذكرها .

(٢-٢) في بن : مطوأة ذكرتها .

(٣) في الأصول : أعطى

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) واردة في بن و ساقطة من بر .

(٦-٦) هذا القسم بأكمله ساقط من بر و وارد في بن ، وقد ادخلناه في النص

كما هو . و أوضح غرابة مادته .

ولا يتحاكم إليه خشية الفضيحة . وكان الملك سرذون القبطى يحكم بين الخاصة والعامة ولا يتكل على أحد من أهل بيته ، ذلك اتهازا منه للعدل و طلبا للحق . وكانت بدورة أخت الملك يزدشير كاهنة ، وهى التى عملت الأصنام الناطقة ، وقد عملت طلسمات منعت الطير والوحش أن يشرب من ماء النيل فمات أكثرها عطشا . وهى صاحبة هـ "بناء العظيم فى قصة هلاكها" ، ويقال : إن الروحانية رجعت إليها فأهلكتها . وإن قضوا أحد ملوك مصر أكب على كتب اقليمون الروحاني أربعين سنة وعرف ما فيه ولم يحتج إلى حكيم يفسر له المعاني . يخبره بالخصيات التى فيه . وكان ذلك بتدبيره وفطته وكثرة موطئه درس كتب الحكماء .

١٠

[فضائل مصر]

[بر ٢٠٩ : ب] ذكر فضل مصر وكثرة خيراتها ومعادن

رزقها و طيب عيشها و رخص سعرها وغير ذلك من عجائبها .

() فى الأصل : هلكها .

(٢) دلقت على الكلمة فى الأصل خب . وأغلب الظن أن صحته أوردناه بالنص .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن فقط : ورزقها .

(٥ - هـ) فى بن : وعجائبها .

مصر خزائن الله في الأرض^١ كلها^٢، وسلطانها سلطان الأرض كلها^٣.
قال الله عز وجل^٤ على لسان^٥ يوسف عليه السلام: "اجعلني
على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"^٦. ولم تكن تلك الخزائن بغير
مصر فذكرها الله بخزائن الأرض. وأغاث الله بمصر وخزائنها كل
ه حاضر وبأد^٧ في جميع الأرض. وكان الغلاء أقام في زمنه سبع
سنين^٨، ولولا تدبير يوسف عليه السلام هلك^٩ أهل مصر. وجعل
الله عز وجل مصر متوسطة الدنيا في الأقاليم الثالث والرابع، فطاب
هواها، وضعف حرها وبردها. وقد اكتفتها معدن رزقها، وقرب
تصرفها، وطيب عيشها، ورخص سعرها. وهي أم البلاد، وغوث
العباد، وذكر أن مصر صورت^{١٠} في كتب الأوائل، وسائر البلاد
مادة أيديها إليها تستطعمها. وروى عقبه بن مسلم يرفعه: إن الله تعالى^{١١}

(١) في بن: أرضه.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) في بن: تعالى.

(٤) زيد في بن: حال.

(٥) قرآن كريم ١٢ : ٥٥.

(٦) في بن: و بادي.

(٧) في هامش بر: مطلب إقليم مصر.

(٨) في الأصل: هلكت.

(٩) في بن [١٥٤ : ب] : مصورة.

(١٠) في بن: تبارك وتعالى.

يقول يوم القيامة^١ لساكن مصر فيما يعدد^٢ عليه من نعمه: ألم
أسكنكم مصر تشبعون من خبزها^٣ و تشربون من مائها؟ وقال كعب
الأجبار: لولا رغبتي في سكني الشام لسكنت مصر . فقيل: ولم ذلك
يا أبا إسحاق؟ قال: لأنني أحب مصر وأهلها لأنها بلد معافاة من
الفتن وأهلها أهل عافية، فهم بذلك معافون . ومن أرادها بسوء^٥
كتبه الله على وجهه، وهو بلد مبارك لا علة^٤ فيه . وقيل: مكتوب في
التوراة^٥: بلد مصر خزائن الله^٦ من أرادها بسوء قصمه الله . وقال
سليمان^٧ السائح: نعم البلد مصر، يحج منه بدينارين، ويغزى^٨ منه
بدرهمين . يريد الحج في بحر القلزم والغزو إلى الإسكندرية وسائر
سواحل مصر . وقال [٢١٠ : ألف] يحيى بن عثمان^٩: أجلت الدنيا^{١٠}
ورأيت^{١١} بناء كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك الأرض، ورأيت

(١) في بن: القيمة .

(٢) في بن: يعدده .

(٣) في بن: خيرها .

(٤) في بر: لأهله . وصحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٥) في بن: التوريه .

(٦) واردة في بن وساقطة من بر .

(٧) في بن: سليمان .

(٨) كذا في بن، وهي في بر: يغزا .

(٩) في بن: عثمان .

(١٠) زيد في بن: آثار الأنبياء والحكام ورأيت .

آثار سليمان عليه السلام وما بقته الشياطين فلم أرَ مثل يربسات أهل مصر ولا عني حكمتها ولا على^١ مثل الآثار التي للموكها ولحكمتها . قال عبد الرزاق بن عبد الله : أخبرني بعض من مرَّ بصعيد مصر أنه مرَّ بقبر عظيم عليه أرسام مخططة بالخميرية فسأل عن ذلك فقيل : هذا قبر الوليد الحميري ، وكان أحد ملوك حمير ، وبته طاف البلاد شرقا وغربا ، ووزن المياه فلم يجد موضعا يصلح له إلا صعيد مصر ! فملكها^٢ وأقام برهة من الزمان ، فلما حضرته الوفاة أمر أن تخط هذه الآيات على قبره . فاذا هي .

أما الملك المعظم في تبراي مسكت تناس من حم وسام
١٠ رجلت الأرض أقضها بيسر إلى أن عاقى ريب الحمام
فلم أرش مصر لساكنيه لشيخ أولكتن أو غلام
و من خواص مصر وعجائبه جبل المقدس ونيلها المبارك ، وبها نظور
حيث كلم الله^٣ موسى حية السلام . وبها كان ملك يوسف عليه السلام ،
^٤ وبها أتى موسى عصاه فاذا هي^٥ حية تسعى . وبها كان صحرة فرعون

(١) الكلمة - نقطة من بن

(٢) في بن : فملكها .

(٣) زيد في بن : تعالى .

(٤ - ٥) وردت الجملة في بن بعد « برة » .

الذين أصبحوا كفرة فما أمسوا إلا وهم بررة . و بها ولد موسى و هارون^١
عليهما السلام . وفيها النخلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى بأشمون .
وكان السبب في سفر مريم بعيسى إلى مصر أنه لما بلغ ملك^٢ بنى إسرائيل^٣
الجبار وضع عيسى عليه السلام همّ بقتله و بقتل مريم^٤ ، وذلك أنه
دعى بنى إسرائيل فقال لهم : من هذه الإمرأة فيكم في بطنها ولد يكلمها ؟^٥
ثم لما وضعت تكلم بكلام^٦ لم يتكلم به مرضع قبله ؟^٧ قال تخافوا على مريم
منه^٨ فقالوا : أيها الملك إنها امرأة مجنونة والذي في بطنها حتى^٩ فلذلك
يتكلم . تخاف زكريا وأرسلها من بيت المقدس إلى مصر مع يوسف
النجار . وكان من ذوى محارمها ، فينما هم في الطريق إذا^{١٠} هم بأسد عظيم
تخافوا منه فقال عيسى : قريوني إلى^{١١} الأسد ولا تقربوا . أنتم . فقرب^{١٢}
إلى الأسد فقال له عيسى : أيها الوحش ما وقوفك على قارعة الطريق ؟
فقال الأسد : لئور يمر لا بد لي منه . فقال عيسى : [٣١٠ : انف] أيها

(١) في بن : و هرون .

(٢-٣) في بن : ساسان ، و بين السطور تصحيح جزئى إلى « بنى » و بقيت
« سان » كما هي .

(٣) في بن : و قتل .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) في بن : فاذا .

(٧) في بن : من .

الأسد إن الثور لقوم مساكين ، ولكن انطلق إلى بركة كذا فسترى
 جملا ميتا فكله . ففسي الأسد نحو الميتة فأكلها . فساروا حتى بلغوا
 بلاد مصر وأقاموا هنالك . ويقال إن عيسى عليه السلام لما اشتد
 نزل مع الصبيان يوما ، فوثب غلام منهم على آخر قتلته ، فجاء أهله
 ٥ . تعلقوا بالصبيان وفيهم عيسى فرفعوا ٢ للقاضي فقال لهم القاضي : من
 قتل هذا الغلام ؟ فقالوا : عيسى . فقال لعيسى : لم قتلته ؟ فقال عيسى : أراك
 حاكيا جهولا ، كان يجب أن تقول : أقتلت أم لا ؟ ثم دنى ٣ إلى الغلام
 وهو رميم ، فاستوى الغلام جالسا وقال له : من قتلك ؟ قال : فلان .
 فنزل عيسى عليه السلام ، ولم يزل هو وأمه مقيمين بمصر حتى هلك ملك
 ١٠ بني إسرائيل . فبعث زكريا إلى مريم يأمرها بالرجوع إلى بيت المقدس
 فرجعت ٦ .

و بمصر مسجد أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أوصت
 أن يبنى بها مسجدا فبنى . و بمصر من الأبنية والآثار الحكيمة والبراني
 والأهرام . وليس على وجه الأرض بناء باليد حجرا ٦ على حجر أطول
 ١٥ منه ٧ . وجاء في الأخبار أنها قبرا هرمس وأغاثيمون ، والصائبة

(١) في بن : فأقاموا .

(٢) في بن [١٥٥ : الف] : فرضوه .

(٣) في بن : دنا .

(٤) في بن : فقال .

(٥) في بر : مقيما . وفي بن : مقيمان .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : منها .

تحتها من حران؛ و بأرض مصر منارة الإسكندرية و العمود الضخم القائم على قاعدته ظاهر الإسكندرية . و بها حائط العجوز من العرش إلى أسوان ، و هذه العجوز ملكت مصر بعد غرق فرعون و جنوده . و هي التي صنعت البراني^٢ و أحكت آلات البحر ، و لها أخبار يطول ذكرها . من أرادها^٣ فليطالع كتاب أخبار الزمان ؛ و بمصر مجمع البحرين^٥ و هو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال : ” مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان “ . و قال عز وجل : ” وجعل بين البحرين حاجزا “ و هما بحر الروم و القلزم إلى الصين ، و الحاجز بينهما ميرة ما بين القلزم و الفرما ، و ليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منها^٦ بهذا الموضع ، و بينهما في السفر مسافة^٧ شهور . و ليس^٨ في الدنيا^٩ بلد يأكل أهلها^٩ صيد البحر طريا غير أنه لاديار مصر . و بها الثياب

(١) في بن : قثم . و المقصود عمود السواري (Pompey's Pillar) .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : من اراد الوقوف عليها .

(٤) قرآن كريم ٥٥ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) قرآن كريم ٢٧ : ٦١ .

(٦) في بن : منها .

(٧) في بن : مسيرة .

(٨-٨) في بن : بالدنيا .

(٩) في بن : أهله .

الصوف و الأكسية المرعز العسلى و ليس هى بالدنيا إلا بأرض مصر .
و ذكر بعض أهل مصر أن معاوية أمير المؤمنين لما كبر كان لا يدقأ .
فأجمعوا على أنه لا يدققه إلا أكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز
[٢١ : تف] على تغير مصبوغ ، فعمل له منه * أكسية فما احتاج
ه منها إلا * إلى واحدة .

و اعلم أن الصوف المرعزى صنف و فراء ٣ الخرفان صنف واحد .
و لا يضم فى التسمية فراء ٣ معمولة إلى فراء ٣ غير معمولة بعد اختلافهما .
١ و من الملابس أيضا فراء ٣ السمور و القنك و السنجاب و فراء ٣ الثعلب
و فراء ٣ الارانب ... و القطن و الكتن صنف . و الحرير و الخز صنف .
١٠ و قد تقدم ذكر صفة الخز و الابرسم و الديباج و السقلاطون و العتافى
و الديقى و أسماء الحرير الشعر فأغنى عن أعادته - انتهى .

[عن الإبل]

نعود . و مراب و البخاى * جنس لصدق اسم الإبل عليها ، وكذلك
الجواميس نوع من النقر ، و النضآن مع المعز داخله تحت اسم الغنم .
(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : منها .

(٣) فى بن : و فرى .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن و بآخرها كلمتان مطموستان
جزئيا و يصعب تحقيقهما فتركنا آخر العبارة بإضا .

(٥) فى بن : و البخت .

(٦) فى بن : داخلا .

والحوار لا يتصل منه بسن^١ ابن المخاض بل بينهما سن الفصل لأن
ولد الناقة يسمى حوارا إلى أن يفصل ، فاذا فصل سمي فصيلا ، وابن المخاض
بعده والدليل على بعديته قول الفرزدق الشاعر :

وجدنا نهشلا فضلت قفيا كفضل ابن المخاض على الفصل
والقلائص جمع قلوص ، والقلائص من الإبل لا تكون إلا أنثى ، هـ
واستشهد على تأنيثها بقول الشاعر :

لا تشرب لبن القلوص وعندنا ماء الزجاجة واكف المعصار
ولا يقال للذكر : قلوص ، وتبين هذا^٢ أن يقال^٣ إن الجمل بمنزلة الرجل ،
والناقة بمنزلة المرأة ، والبعير بمنزلة الإنسان يقع على الذكر والأنثى ،
وفي كلامهم : صرعتي بعيري ، وحلبت بعيرا لي . قال أبو عمرو بن العلاء : ١٠
سمعت أعرابيا يمانية يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت :
تقول جاءته كتابي والكتاب مذكر وليس بمؤنث ! فقال : أليس
بصحيفة ؟ قلت : ما للغوب ؟ قال : الأحق ، واللغوب أيضا النع^٤ ،
قال : أنا ساغبا - لاغبا أي جائعا تعب^٥ ، قال الله تعالى : وما مسنا من
لغوب^٦ - انتهى .

١٥

(١) في بن : لس .

(٢-٣) ساقطة من بر واردة في بن .

(٣) زيد في بن : والمشقة .

(٤-٤) زيدت العبارة في بن فأوردناها بالنص وهي ساقطة من بر .

(٥) قرآن كريم ٥٠ : ٣٨ .

‘والحق قلة التنبه لطريق الحق، والجنون هو عارض يعم العقل، وقد عظم الحق ما لا يعظم الجنون. وقيل الوقاحة وهو أن يرتكب الناطق ويراه صورة الحق ويدب عنه فيورثه قساوة القلب كما قال الله تعالى: ”ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة“.

هـ وقيل: الرقيق الذي يلصق بقلبه كل حال، والارعن الذي يأتي بما يخرج عن الصواب - انتهى’.

نعود، واعلم أن البكر بمنزلة الفتاة، والجمع قلاص وقلص. وقلص النعام فراخها، وقلص الحبارى ولدها. والكوماء الناقة العظيمة السنام، قال ٣ الفرزدق:

١٠. وكوم تنعم الاضياف عينا وتصيح في مداركها ثقالا

الكوم جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والمعنى أنه يصف نوقا سمنا كثيرة اللبن، فكأنه يقول: رب كوماء تنعم عين الاضياف بكثرة لبنها، وأنهم يرثون منها، وتصيح ثقالا باحتفال ضروعها، وعظم

(١-١) هذا الجزء ساقط من بر ووارد في بن [١٥٥: ب]، وفيه ووردت كلمة «والأحق» بدلا من «والحق» فصححناها لأن المصدر لازم لاستقامة العبارة.

(٢) قرآن كريم ٢: ٧٤.

(٣) هذا القسم من الكلام ساقطة من بر. ووارد في بن [١٥٥: ب]، ويبدأ من «قال» ونهايته كلمة «بشيء» وبعدها يتألف الكلام من بر.

خلفها

خلفها . و المبارك معاطن الإبل ، و هي بمنزلة المراح للغنم . قال بعضهم :
 قدما البحرين فطحنا أعرابي على ناقة له صغيرة قد أكل الجرب جنبها
 و معنا إبل لم ير الناس مثلها . قلنا : يا أعرابي أتيعنا نأقتك ببعض
 هذه الإبل ؟ قال : و الله لو أعطيتوني بها جميع إيلكم ما بعتم . قلنا :
 فلك بها مائة دينار . فأبى ، و نحن في كل ذلك نهزأ به . فقال : ه
 لو ملأتم جلدما ذهباً ما بعتهما . قلنا : فأرنا من مسيرها شيئاً ! قال :
 نعم ؟ فسرنا فإذا نحن بحمير وحش ٣ قد عنت ٣ . فقال : أى ٣ الحمير
 منها تريدون آتيكم به ؟ قلنا : يريد حمار كذا ؟ فلم يزل يرشقه حتى
 صرعه و لحقناه و قد ذبحه ، فلما رأينا ذلك ساومناه الناقة بجد ، قال :
 ليس عندي من نسلها إلا ابن لها و ابنة ما أيعها بشيء . ١٠

و المهارى ' ابل من تتاج مهرة و نوق مهارى ' ، و ولد الناقة
 يقال له حوار إلى أن يعظم . فإذا فطم فهو فصيل ، فإذا دخل في
 السنة الثانية فهو ابن مخاض ، و الأنثى بنت مخاض ، وإذا دخل في
 السنة الثالثة فهو ابن لبون . فإذا دخل في السنة الرابعة فهو حق ،

(١) في بن : فأبى .

(٢) في الأصل : نهزو .

(٣-٣) العبارة و كلمة « أى » مكررة في الأصل .

(٤) هنا يتألف الكلام في بر .

(٥) في هامش بر : الحوار .

(٦) في بن : أنطم .

[٢١١ : ب] فاذا دخل في الخامسة فهو جذع ، فاذا دخل في السادسة فهو ثني ، فاذا دخل في السابعة فهو رباع ، فاذا دخل في الثامنة فهو سديس ، فاذا دخل في التاسعة فهو بازل ، فاذا دخل في العاشرة فهو مخلف ١ . و الأدم الإبل الخالصة اللياض ، والعيس التي يخالط ٢ ه ياضها شقرة ٣ ، والصهب التي يغلب عليها الشقرة . و الحمرة ٤ الخالصة الحمرة ، و الرمك التي ٥ يخالط حررتها سواد ٥ و الورق التي يخالط ٦ ياضها سواد ٦ . و الحر من الإبل أظهرها جلدا ، و الورق أطيبها لحما . و قالت بنو عبس : ما صير معنا في حربنا إلا بنات العم و من الإبل إلا ٧ الحمرة ٨ و من الخيل إلا الكمت ٩ . و الكمت الشديد الحمرة ١٠ من الخيل . و لا يقال للفرس كمت حتى يكون عرفه و ذنبه أسودين . و إن الله ١١ أكرم الإبل و شرفها إذ قال لها : كوني ، فكانت . و أخرج

(١) عن بن ، و في بر : مختلف .

(٢) عن بن ، و في بر : يخالط .

(٣) في بن : شئ . من الشقرة .

(٤) في بن : و الحر .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : الذي .

(٦-٧) في بن : سوادها ياض .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) عن بن ، و في بر : الأحمر .

(٩) في بن : كمت . و بهامش بر : الكمت .

(١٠) زيد في بن : تعالى .

ناقة صالح 'عليه السلام' من صخرة ضمام^٢ وخص بها العرب دون غيرهم . و كان يركبها^٣ الأنبياء عليه السلام^٤ ، و جعلها مباركة، تقنع بما تجده ، و تصبر على الحمل الثقيل ، و السير الطويل . و تصبر على الماء^٥ أياماً عدة . و قد ذكرها ربنا في كتابه العزيز فقال : "و البُدن جعلناها من شعائر الله لكم فيها خير"^٦ . و أول من غزا^٧ من غزواته^٨ صلى الله عليه وسلم^٩ غزاة بدر ، و كان معه مائة نضج من الإبل ، و كان أصحابه يعتقبون الناضج في الطريق . و كان معه فرسان يركب أحدهما المقداد ابن الأسود ، و يركب الآخر مصعب بن عمير ، فلقوا قريشا في عددها و عديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى .
^{١٠} و لحم الإبل حارّ مسخن ملهب يزيد في السوداء كلحم البقر لأنه ١٠

(١-١) العبارة ساقطة من بن [١٥٦ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) عن بن ، و في بر : الأولياء .

(٤) في بن : امطش .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : أيم .

(٦) قرآن كريم ٢٢ : ٣٦ .

(٧) في بن : غزى .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩) هذا القسم من هنا إلى " و قوى الجماع جدا " ساقط من بر بأجمعه ، و هو وارد في بن [١٥٦ : الف] ، و قد نسخناه من الأصل كما هو لأهميته في الطب العربي و لو أن فيه عبارات غامضة لكنها قليلة العدد . و قد أدخلنا في أوله لفظة " لحم " بدل " لحوم " لا نجامها مع ما يلوها من الأفعال .

يولد دما غليظا على المرة السوداء، لكن ليس كغليظ المرة السوداء التي يولدها لحم البقر، فاذا طبخ بالخل كسر الخل حرارته. ولطف لحمه، وإن طبخ بالمرى النقيع الذي تصنعه المغاربة لطفه المرى أكثر مما يلففه الخل وهذا وأسرع باخراجه عن البدن، ولكنه مع ذلك أشد للحوم. ولبن الإبل سهل البطن مخرج للماء الأصفر من بطون المستقيين، وينفع من ورم الطحال لأنه ينقصه. لكنه يغذى البدن غذاء كثيرا، وينفع الكبد الوجعة، وأتقن ما هو للشيوخ لأن أجسادهم ضعيفة وأطعمتهم غليظة بما فيه من القوة البورية، وينفع أيضا من البراسير، وقد يهيج شهوة الغذاء، ويقوى الجماع. وقد قال جالينوس:

١٠ ألبان الإبل جيدة للبدن الذي فيه أخلاط حارة يابسة لأنها تنقص الصفراء والسوداء المحترقتين، وينفع من الفساد المزاج، ولا شيء أنفع من ألبانها شفاء من الدرب، والدرب فساد المعدة. ودهن اللسان حار جدا إذا شرب أدر البول وقتت الحصى في المثانة ونفع من نهش الحوام ومن عسر النفس، وإذا اكتحل نفع من الظلمة في البصر والماء

١٥ الأسود النازل في العين، وإذا مسح به الظهر أبطل النافض، وإذا احتملت به المرأة أخرج الجنين والمشمة ونفع من خروج الرحم إذا احتمل مع تشمل المذاب. وإن دهن به الدهر^٢ والحالبان زاد في قوى

(١) في الأصل: التي. وتصحيحها لازم لاستقامة العبارة.

(٢) كذا في الأصل، ولعله يقصد «الذبر» الذي هو آلة الرجل، وقد تكون

الكلمة «الظهر» وهي أقل احتمالا من الأخرى.

الجماع جدا .

فلنذكر الآن ما قيل في البحيرة و السائبة و الوصلة و الحام ان شاء الله تعالى . البحيرة هي الناقة تلد خمس بطون فتشق أذننها و تسرح لا يحمل عليها و لا تركب . و السائبة إذا سافر الرجل أو مرض بقول : إن رجعت من سفرى أو أفقت من مرضى هذا . فتلك الناقة سائبة مثل البحيرة . و الوصلة كانت في الجاهلية إذا ولدت الشاة في البطن العاشر ذكرا ، و إن كان أنثى لا يؤكل ، و إن ولدت توأمين ذكرا و أنثى في البطن السابع لا يؤكل الذكر ولا الأنثى لأن الذكر وصلته أخته نفسها و ألقت عليه حرمتها بأن لا يؤكل . و الحام هو محل الإبل يلد عشر مرات فيقولون : حمى ظهره ، فلا يحمل عليه ولا يركب . فلما جاء الله بالإسلام ١٠ فعل هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب كفعلهم . فقال الله تعالى : " ما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام " - الآية .

[شجرة البلسان]

فلنذكر الآن شجرة البلسان . ٣ أما شجرة ٣ البلسان فنبتها بأرض مصر خاصة . و المستعمل منها حبها و عيدانها و دهنها ، و أقوى ما في ١٥ البلسان دهنه و بعد دهنه حبه و بعد حبه عيدانه . و من مصر يصل ذلك

(١-١) هذا القسم بأجمعه ساقط من بن .

(٢) قرآن كريم ٥ : ١٠٣ .

(٣-٣) في بن : وشجرة .

(٤) في بن : منبتها .

إلى جميع البلدان . وقد ذكر دياسقوريدوس الفيلسوف بعد طلوع نجم
الكلب بأن يشرط بالشارط من حديد^١ ، والذي يسيل منه شيء^٢ يسير
والذي يجتمع منه في كل سنة ما بين الخمين إلى الستين رطلا . ويباع
في مكانه وزن الفضة^٣ وله منافع كثيرة ، وقد كان يبعث الكنائس
هـ صنم من الرخام يبكي فتخشع^٤ النصارى لبيكاته^٥ ، وقد كان بعض المسلمين
اطلع على ذلك فقال : هذه حيلة ، فصر إلى حين [٣١٢ : الف] إبان
المطر ، فوضع ثيابه في جراب وأتى إلى الكنيسة عريانا وقت السحر ،
فوقف على بابها ، فلبس ثيابه ، غيَّب الجراب تحتها^٦ ودق بابها
واعتمد على عكازه منحيا ، فخرج القسيس فوجده كأنه قدم من سفر
١٠ : أثوابه لم تبطل بالمطر ، فسأله عن حاله فقال : قدمت من سفر
وأريد أن أقيم عندك قليلا^٧ أستريح وأرتحل . فقال تقيس : أرى
ثيابك غير مبلولة^٨ والمطر كأفواه القرب^٩ . فقال : إن من عادتي
أنني لم تبطل لي ثياب^{١٠} من المطر . فقال : ادخل . فلما دخل قال :

(١) في بن : الحديد .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الدرهم النقرة .

(٤-٤) في بن : لبيكاته النصارى .

(٥) في بن : تحتها .

(٦) ساقطة من بن وروادة في بن .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن ، وروادة في بن .

(٨) كذا في بن ، وهي في بن : ثيابا .

علمنى ذلك . فقال له المسلم : إن علمتى بكاء الصنم علمتك منع المطر
للثياب ١ لتصير لك حيلة أخرى ٢ نأكل بها أموال النصارى كما تأكلها
ببكاء الصنم ! فقال : نعم ، و مضى به إلى موضع الصنم فرفع رخامة ،
و إذا ٣ تحتها قرية ماء صغيرة متصل ٤ ماؤها إلى عيني الصنم ٥ بخيط مدهون
بدهن اللسان ، فإذا اجتمعت النصارى وانقضت صلاتهم استقبلهم بالوعظ ٥
و غمز الرخامة برجله فيجرى الماء في الخيط ٦ من باطنه ٧ إلى عيني الصنم
فتجرى منها الدموع فتضج النصارى ويتباكون عند رؤيتهم الدموع السائلة
على خدي الصنم . و يتهللون ٨ بالأدعية . و يمدون ٩ القيسر عند ذلك
بالدراهم وغيرها ١٠ و يقولون : إن الحجر ١١ خشع من وعظه حتى سالت
دموعه و ذلك لصلاحه ١٢ و بركته . فلما فهم المسلم منه تلك الحيلة التى ١٠

(١) فى بن : ثيابك .

(٢) فى بن : ثانية .

(٣) فى بن : فإذا .

(٤) فى الأصلين : متصلة .

(٥) سافطة من بن .

(٦-٧) العبارة سافطة من بن . و واردة فى بن .

(٧) فى بن [١٥٢ : ب) : فيتهلون .

(٨) كذا فى بن ، وهى فى بر : فيمدوا .

(٩-١٠) فى بن : يدفعهم - أو - يرفقهم . و الكلمة غير واضحة .

(١٠) فى بن : الصنم .

(١١) فى الأصل : صلاحيته .

تحيل بها على أخذ أموال النصارى، قال القيس له^١ : وإذا قد تعلمت حيلتي
فعلني أنت حيلتك^٢ . فأخرج^٣ له الجراب من تحته وقال : إذا أردت
أن تسلم ثيابك من المطر فضعها^٤ في جراب و امش عريانا . فقال^٥ : تمت
حيلتك^٥ على حتى ظهرت^٦ على حيلتي الخفية^٧ ، وليست حيلتك كحيلتي^٨
هـ فاكتمها على ولا تظهرها للنصارى . فقال^٩ : إن أردت كتمان^{١٠} فأعطني^{١١}
مما جمعت^{١٢} منهم بحيلتك هذه^{١٣} . فأكرمه القيس وأحسن إليه خوفا
من إظهار^{١٤} المسلم^{١٥} لهم حيلته^{١٦} ، فتركه المسلم على ما هو عليه ومضى
إلى حال سبيله .

(١-١) في بن : فعلني أنت إذا حيلتك إذا قد تعلمت حيلتي .

(٢) زيد في بن : المسلم .

(٣) في بن : فجعلها .

(٤) زيد في بن : القيس يا مسلم .

(٥) زيد في بن : الباردة .

(٦) في بن : أظهرتك .

(٧) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) - ساقطة من بن .

(٩-٩) - ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(١٠) عن بن ، وفي بر : أعطني .

(١١) في بن : جمعت .

(١٢) الكلمة ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(١٣) في بن : هك .

وكذلك كان يفعل مثل ذلك في كنيسة إقامة التي يحجها^٢
 النصارى بالقدس الشريف في يوم السبت الذي تسميه النصارى سبت^٣
 النور . يعمل القيس خيط إبريسم من خلف حائط الكنيسة مدهونا
 بدهن اللسان متصلا طرفه بالقنديل المعمر^٤ بالزيت ، فيطلق فيه^٥ القيس
 النار من وراء الحائط فتسرى [٢١٢ : ب] النار فيه إلى أن تصل^٥
 بالفتيلة فيشتعل القنديل ، والنصارى مجتمعون^٦ في وقت السحر بها
 منتظرون^٧ النور ينزل في القنديل من السماء بزعمهم ، فإذا اشتعل
 القنديل من ذلك الحيط الرقيق الذي هو كالشعرة من رفته صرخوا
 صرخة عظيمة^٨ يزعمون بقلّة عقولهم^٩ أن النور نزل من السماء في
 القنديل . فظهر^{١٠} المسلمون على حيلة القيس فُضرب وأُمين وأُخذت^{١٠}
 منه الأموال التي^{١١} جمعها بحيلته تلك وحلت إلى السلطان - انتهى^{١٢} .

(١) في بن : القامة .

(٢) عن بن ، وفي بر : تزورها .

(٣) في بن : سبت .

(٤) الكلمة ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : يتصل .

(٦) في الأصليين : مجتمعين .

(٧) في بر : منتظرين . وفي بن : ينتظرون .

(٨) في بن : واحدة .

(٩) في بن : عقولهم .

(١٠) في الأصليين : فظهرت .

(١١) في الأصليين : وأخذ .

(١٢) كذا في بن ، وهي في بر : الذي .

[من عجائب مصر العرس]

نعود إلى ذكر عجائب مصر . ومن أعاجيب مصر العرس وهي من أعاجيب الدنيا . وذلك أنها دويبة متحركة ، وإذا رأت الثعابين دنت منها ، فينطوي الثعبان عليها ، ويريد أن يقطعها ويأكلها . فتتحى ٥ وتزفر زفرة يقطع الثعبان قطعاً . و ثعابين بمصر أكثر منها في بلاد الدنيا . ولولا العرس لاكلت ثعابين سكان مصر وأهل أعماها . وهي هناك أنفع لاهلها من القنافذ لاهل ٢ سجستان . لأن سجستان بلد كثير القنافذ والأفاعى . وفي شرطهم أن لا يصاد منها ٣ قنفذ ولا يقتل لأن الثعبان يحسه ناعم ٥ والقنفذ مشوك . فإذا رأى الثعبان تسعى له ١٠ وجرحه بشوكه ، فينتن جرحه ، فيموت الثعبان من أذى النمل له بأكل جرحه ٦ .

[سجستان بعراق العجم]

وسجستان مدينة بعراق العجم ، وكان أميرها فيما مضى يقال له

(١) في بن : أعاجيت .

(٢) في بر : بأهل ، وصحتها في بن .

(٣) في بن : فيها .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : ناعما .

(٥-٥) في بن : والقنافذ ذوات شوك . وفي بر : مشوكا .

(٦-٦) في بن : القنفذ سعى له فإذا لمسه جرحه القنفذ بشوكه القافم بجسده فينتن

الجرح فيشمه النمل فيسعى إليه يأكل جرحه فيموت الثعبان من أذى النمل له .

طلحة الطلحات ، وكان شجاعا سخيا له عطايا و مكارم ، فلما مات رثى
بمرثية منها :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات - انتهى .

[بن ١٥٦ : ب] اقال الأصمعي : المعروف بالكرم طلحة بن عبد الله التيمي ،
وهو طلحة الخير ، وطلحة بن عمرو ، وهو طلحة الجود ، وطلحة بن ه
عبد الله بن خلف . وهو طلحة الطلحات . و سمي بذلك لأنه كان أجودهم .
دخل كثير عزّة عليه عابدا . فقعده عند رأسه ، فلم يكلمه لشدة ما به من
الضعف . فأخذ كثير في الثناء عليه ، ففتح طلحة عينه فقال : ويحك
يا كثير ما تقول؟ فقال [بن ١٥٧ : الف] كثير :

يا بن! الذوائب من خزاعة والذى لبس المكارم وارتدى بنجاد ١٥
حلت باحتك الوفود من ثورى فكأئما كانوا على ميعاد
لنعود سيدنا وسيد غينا ليت التشكى كان بالعواد
فاستوى جالسا وأمر له بمئنه ألف درهم وقال : هي لك إن عشت في
كل سنة . وكانت وفاة طلحة الطلحات بسجستان فرثاه بعض الشعراء
بمرثية منها البيت المتقدم ذكره وهو :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

[اول من ابتدع المساحة]

[٢١٢ : ب] فلنرجع ٣ إلى ذكر من ابتدع المساحة . قبل إن أول

(١) هذا القسم إلى « فلنرجع إلى ذكر من ابتدع المساحة » ساقط من بر و وارد
في بن . (٢) في الأصل : يا ابن .

(٣) هنا يتألف الكلام في كلا الأصلين . وفي هامش بر : أول من
ابتدع المساحة .

من ابتدع المساحة أهل مصر، و ذلك بمكان زيادة النيل ونقصانه،
 فيعملون^١ المساحة بحدود التجوف^٢ من الغرق^٣ لإفاضة الماء^٤ على أرضهم
 وتصوبه عليها، فحدوا الحدود وتحرزوا من الغرق^٥ . و سيأتي ذكر
 المساحة^٦ وما^٧ قيل فيها عند تعدد^٨ العلوم إن شاء الله تعالى .

[من عيوب مصر]

٥

و ذكر بعض الأطباء إن أجل عيوب^٩ مصر اختلاف الهواء في كل
 وقت وحين يوجد بها الحر ثم البرد في يوم واحد .

[عن الاهوية]

^{١٠} فلنذكر الآن الاهوية وما قيل فيها . أما الاهوية فأصلها الهواء
 البارد لأنه يصلح لحفظ الصحة ويقوى لأبدان والشهوات . ويسخن
 الأجفان، ويجود الهضم، و لاسيما لأصحاب الأمزجة الحارة . و أما
 الهواء الحار فلا يصلح لحفظ الصحة على أكثر الأمر للأبدان الحارة .
 لأنه يسخن الأبدان، و يصفّر الألوان، و يهيج العطش . و يرخي

(١) في بر : فيعملوا . و صحتهما في بن كما أوردناه بالنص .

(٢) في بر : التجوف . و هي كما أوردناه بالنص عن بن .

(٣-٤) في بن : والإفاضة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : ما .

(٦) عن بن ، و في بر : تعدد .

(٧) في بن : عيون .

(٨) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد في بن لغاية « في المنفعة والمضرة » .

الحواس ، ، يحمى القلوب ، ، يعفن الدماء ، إلا الأبدان الباردة التي تحتاج إلى تسخين ، ، للزكومين و المفلوجين و المشحنين من الرطوبة .
و أما الهواء الرطب فقائده كثيرة . و ذلك يحفظ الرطوبات على الأبدان و يصلح أحوال النحفاء . و يلين الجواد و اللحم . و يكسها لدونة و نقاء ،
• الهواء الباس على ضد ذلك . و كذا أصلح الرياح الأربع الشمالية ه
أعنى الحريفة . لأنها تشد الأبدان ، و تذكي الحواس ، و تدفع العفونات
عن الهواء و يصح بها . و أما القليلة فهي على ضد ذلك ترخي الأبدان .
و تكدر الحواس . و تثير الدماء . و الشرقية و الغربية دون هاتين الريحين
في المنفعة و المضرة .

١٠ [وصف مصر مدينة فرعون]

[٢: ٢٠ ب] و مصر مدينة فرعون اتخذ لها سبعين^١ باباً ، و جعل
حيطانها بالحديد و الصفر ، و فيها كانت الأنهار تجري من تحته و هي
أربعة أنهار قيل إن هارون الرشيد قرأ في المصحف ذات يوم فر
بقوله تعالى حكاية عن فرعون " أليس لي^٢ ملك مصر و هذه الأنهار
تجري من تحتي " فقال الرشيد : [٢: ٢١٣ الف] افتخر الكافر بملك ١٥
مصر ، فوالله لا أوليها إلا لعبد نكاه له . فولى عليها عبدا يقال له خصياً^٣
احتقاراً لفرعون ، و قال : فإن كان لا بد من الافتخار فأهل الإسكندرية

(١) هنا يستأنف الكلام في كل من بروين .

(٢) في بر : سبعون . و صحته في بن كما أو رداه بالنص .

(٣) الكلمة سائطة من الآية في بن . (٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٢ .

(٥) في بن : الحصيب . (٦) في بن : ولا .

أحق منه بالافتخار لأن الأنهار تجري من تحتهم تخترق أسرارها من خليجها . وهم لا يعدّون ذلك افتخار على أحد بل يحمّدون الله تعالى على ما أنعم عليهم بها ليعلموا أنها صهاريج دورهم ، فتباً لفرعون افتخر بالماء وبالماء غرق ، فلعنة الله على الكافرين .

[في موضوع اللعنة]

و^٢ سأذكر هنا ما قيل في اللعنة إن شاء الله تعالى . قيل اللعنة البعد ، ومعنى لعنه الله : أبعد الله . وكان^٣ العرب إذا تمرد الشريك منهم طردوه وأبعدوه عنهم ثلاثاً يؤخذون^٤ بجرائده وسموه لعياء . واللعان مشتق من اللعنة ومعناه البعد ، فلما كان لفظ اللعن مذكوراً في حلف الزوج^٥ عن^٦ التحالف الواقع بين الزوجين لعاناً وملاعنة غلب فيه ما يصدر من الرجل على ما يصدر من المرأة لأن حلف الزوج سابق على حلف الزوجة وسبب له . ولما أنزل الله سبحانه : ” والذين يرمون المحصنات “ الآية . كان هذا الحكم عاماً في الزوجات والأجنبيات . ثم جعل للأزواج مخلصاً من حد القذف باللعان لأن الزوج يلحقه العار ويفسد النسب بزناه زوجته . فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيف أمره

(١) في الأصلين : ليعلموا .

(٢) هذا قسم بكامله عن موضوع «اللعنة» ساقط من بن ، ويستأنف الكلام فيه ابتداءً من «نعود إلى ذكر صفة دار فرعون» ، وبها مسمى بر : فرق بين اللعنة والغضب .

(٣) في الأصل : وكانت .

(٤) في الأصل : يؤخذوا .

(٥) كذا في الأصل ، وربما كانت الكلمة « عند » ويستقيم بها السياق .

على البيّنة كالمعتذر بخلاف الاجنبى فانه لا يلحقه عار بزناه غير زوجته ،
 و لا يفسد نسه و الاولى به الستر . و فى حديث ابن عباس أنه قال :
 لما نزلت الآية ” و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
 فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً “ قال سعد بن عباد :
 أهكذا نزلت يا رسول الله ، لو رأيت لكاع و قد تفخذها رجل لم يكن ٥
 لى أن أهيجهُ أو أن أخرجهُ حتى آتى بأربعة شهداء ؟ فوالله ما كنت
 لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 يا معشر ! ألا تسمعون ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : لا تلبه فأنه رجل غيورٌ
 ما تزوج ثيب قط إلا عذرا و لا طلق زوجته فاجترى أحد أن يتزجها .
 فقال سعد : يا رسول الله بأبى أنت و أمى و الله إني لأعرف أنها من الله ١٠
 و أنها لحق . فوالله ما لبثوا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى
 بعينه و سمع [٢١٢ : ب] بأذنيه . فأمسك حتى أصبح ثم غدا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني جئت أهلى عشاء
 فرأيت رجلا مع أهلى . رأيت بعينى و سمعت بأذنى . فكره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما آتته و ثقل عليه جدا حتى عرفت الكراهة فى ١٥
 وجهه . فقال هلال : يا رسول الله ! إني رأيت الكراهة فى وجهك ،
 و الله يعلم إني لصادق ، و إني لأرجو أن يجعل الله فرجا . فقال : ابتلينا
 بما قال سعد ! يجلد هلال و تبطل شهادته فى المسلمين . فهم رسول الله

(١) قرآن كريم ٢٤ : ٥٠ .

(٢) ربما كان الأصح : يا معشر الناس .

صلى الله عليه وسلم بضربه فانه ' اخذاك ' يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي : " و الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم " الآيات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سعد إن الله قد جعل فرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلوا إليها . فلما اجتمعا فقال لها ه فكذبت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يعلم أن أحدا لكاذب ، فهل فيكما تائب ؟ فقال هلال : لقد صدقت وما قلت إلا حقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخونا بينهما ! قيل لهلال إشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس . وإنها لموجة تتي توجب ١٠ عليك العقوبة . فقال هلال : والله ما يعذبني الله عليها كما لم يحلني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فشهد الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل لها : تشهدين . فشهدت بالله إنه لمن الكاذبين . ثم قيل لها عند الخامسة : اتق الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الموجة التي توجب عليك العذاب . فتلكأت ساعة وقالت : ١٥ والله لا أفصح قومي . فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما . وقضى أن

(١-١) كذا في الأصل ولا تستقيم العبارة بها وربما كان الأصح أن يحل محلها لفظة " كذلك " .

(٢) قرآن كريم ٢٤ : ٧٠ .

(٣) في لأصل : يوجب .

الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها . وقد أشار بعض أهل المعاني أن الغضب أشد من اللعنة ، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ، فعلى هذا إن بدلت المرأة الغضب باللعنة لم يحزها و أعادت اليمين الخامسة على سنتها . ولو بـ بدل الرجل اللعنة بالغضب أجزاء . و الأولى اتباع الآية - انتهى .

٥

[صفة دار فرعون و الهرمين]

نعود إلى ذكر صفة دار فرعون و مجالسه و عرفه إن شاء الله تعالى . ذكر بعض [٢١٤ : الف] أهل العلم أنه رأى بمصر - و يقال لمصر أيضا منف^٢ - دار فرعون و مجالسه و مشربه و غرفه ، و كل ذلك حجر واحد ، فان كانوا هذبوه و حسنوا صنعه حتى صار في الملوسة واحدا ٣ ١٠ لا يستبان فيه مجمع حجرين و لا ملتقى صخرتين فهذا عجب . و إن كان جبلا واحدا فثقبوه الرجال و حذاق الصناع بلمناقر حتى خرقت تلك المخارق فان هذا لا عجب .

و بمصر الهرمان^٥ و هى مبنية بالرخام و المرمر ، عرض كل حجر و طوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمانية أذرع ، كل حجر ملتصق إلى ١٥

(١) هما يتألف الكلام في كلا الأصلين بر و كذلك بن .

(٢) ساقطة من بن و مكانها يابض بالأصل .

(٣) في الأصلين : واحد .

(٤) في الأصلين : ملتقا . و بهامش بر : مجالس فرعون .

(٥) في بن : الهرمين . و بهامش بر : الأهرام .

الآخر لا يستين التصاقه إلا لحاذ البصر ، سَمَك كل واحد منهما أربعمائة ذراع طول في أربعمائة ذراع عرض . فكلما ارتفع رق ، مكتوب عليهما بالقلم المسند كل حجر وكل شيء من الطب ٢ و كل طلسم مكتوب عليها ، إِنَّا بَيْنَاهَا فِي سِتِّ سِنِينَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَهْدَمْهَا فِي سِتِّ سِنِينَ . فَإِنْ الْهَدْمُ أَيْسَرَ مِنْ الْبِنَاءِ ١ .

فذكر أن بعض ملوك بني العباس قصد هدمها . فاذا خراج مصر جميعه لا يقوم بهدمها فتركها . و سَأَى فِيهَا يَرُدُّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مَا قِيلَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

و في واحات مصر حجارة من تناول منها حجرا فحركه فانما يحرك ١٠ مقلة في جوفها نواية .

تم الجزء الثالث

(١ - ١) كذا في الأصلين ، وربما كان الأصح صياغة العبارة من جديد على الوجه الآتي : في ست سنين فمن شاء فليهدمها في ستين سنة فإن الهدم أيسر من البناء . [فيها] كل حجر وكل شيء من الطب و كل طلسم .
(٢) في بر : الطيب . و صحتها في بن [١٥٧ : ب] كما أوردها بالنص .

خاتمة الطبع

تم بمتة تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثالث من كتاب الإمام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الاثنين التاسع من شهر
 رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ = ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . و اعتنى بتصحيحه
 و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه -
 أباه الله للخدمة العلمية . و عنى بتقيقه و مراجعة نسخته راقم هذه الخاتمة
 تحت إدارة الحبيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محامد على العباسي
 عم كرمه الداني و القاصي .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
 ويرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي
 العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد و آله و صحبه
 و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الغفار خان عنى عنه
 (الماچسٲر - الجامعة العثمانية)
 المصحح بدائرة المعارف العثمانية

• • • • •

